تاريخ اليعقوبي

أقدم كتاب عربي يتضمن التاريخ على العموم
من آدم فما بعده الى ظهور الاسلام ومنه الى زمن
المعتمد على الله العباسي سنة ٢٥٩

تأليف

أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب
المعروف بابن واضح الأخباري
المتوفى بعد سنة ٢٩٢

الجزء الأول

من نشريات المكتبة المرتضوية في النجف

١٣٥٨

مطبعة الغري
النجف

وكان هو بحاثة في التاريخ واخبار البلدان ولقد اعطى التنقيب حقه في سياحته في البلاد شرقاً وغرباً ودخل بلاد فارس وأطال المقام في بلاد أرمينية وكان فيها سنة ٢٦٠ ودخل الهند أيضاً والأقطار العربية فالشام فالمغرب الى الاندلس وأغرق نزعاً في البحث فطفق يسائل أهل الأمصار عنها وعنهم وعن عاداتهم ونحلهم وحكوماتهم وعن المسافات بين البلاد فاذا وثق بنقلهم أثبته في كتابه ، وذكر من فتح البلاد من الخلفاء والأمراء ومبلغ خراجها فلم يدع صغيرة ولا كبيرة وقف عليها إلا وأحصاها فالف كتابه [البلدان] الذي هو أقدم مصدر تاريخي وأوثقه لما تحمله في تأليفه من جهد وعناء وعناية وحسن بلاء

وكان نبوغه في القرن الثالث لأنه كان حياً سنة ٢٩٢ ، ففي ليلة عيد الفطر منها تذكر ما كان عليه بنو طولون في مثل هذه الليلة من بلهنية العيش والنعيم الرغيد والوفر السابغ . ورثاهم بأبيات مطلعها :

إن كنت تسأل عن جلالة ملكهم * فارتع وعج بمرابع الميدان

(انظر ص ١٣١ من كتاب « البلدان » طبع النجف) إذاً فلا يكاد يصح ما في معجم الأدباء عن أبي عمرو محمد بن يوسف بن يعقوب المصري في تاريخه من ان اليعقوبي توفي سنة ٢٨٤ ، ولا ما ذكره الزركلي في الأعلام من ان وفاته كانت سنة ٢٧٨ ، وكأنه تبع جرجي زيدان الذي صدر ترجمته بهذا التاريخ ، ولكنه يقول في اثناء الترجمة في (تاريخ آداب اللغة العربية) ج ٢ ص ١٩٧ « ولكن يؤخذ من سياق كتبه أنه توفي بعد سنة ٢٧٨ »

والمترجم من معاصري أبي حنيفة الدينوري كما أنه صحبه سعيد الطبيب ، وإن حفيده

محمد بن احمد بن خليل التميمي المقدسي ابن سعيد المذكور يروي في كتابه جيب العروس وريحان النفوس عن اليعقوبي بواسطة أبيه وجده خليل (أنظر ص ١٢٢ وما بعدها من كتابه (البلدان)

آثاره

عد ياقوت الحموي في « معجم الأدباء » وغيره من أرباب المعاجم من آثار المترجم التاريخ الكبير وهو هذا الذي نزفه الى القراء الكرام ، وكان قد نشره المستشرق « هوتسما » وطبعه في ليدن سنة ١٨٨٣ في مجلدين (الأول) في التاريخ القديم على العموم من آدم فما بعده الى ظهور الاسلام ، وتدخل فيه أخبار الاسرائيليين والسريان والهنود واليونان والرومان والفرس والنوبة والبجة والزنج والحميريين والغساسنة والمناذرة (والثاني) في تاريخ الاسلام وينتهي في زمن المعتمد على الله العباسي سنة ٢٥٩ ، وقد رتبه حسب الخلفاء ، ومن مزاياه التي يمتاز بها عن سائر التواريخ العامة فضلاً عن قدمه أن مؤلفه يأتي فيه بلباب التاريخ ويتحرى القضايا الصدقة ويجتنب الأخبار المستبشعة وتراه يقول (ص ١٢٩ ج ١) من الكتاب « وفيه ـ ملوك فارس ـ أخبار قد أثبتت رأينا أكثر الناس ينكرونها ويستبشعونها فتركناها لأن مذهبنا حذف كل مستبشع » ذلك لا يلتزم به كل مؤرخ ، فتراه يملي عليك الوقايع والحوادث ببيان سلس وأسلوب جذاب حتى كأنك شاهدتها بنفسك ورأيتها بعينك وبما أن الطبعة الليدنية نادرة الوجود حتى أنه لا يسمع إلا اسمها ولا يهتدي اليها إلا ذو حظ عظيم ، وتشوق رواد المعارف لهذا السفر الثمين الذي طبقت شهرته وشهرة صاحبه العالم الاسلامي وغيره فقد بذلت (المكتبة المرتضوية) الجهود في طبعه خدمة لنشر المعارف فجزاها الله عن العلم وذويه خير الجزاء ، وتمتاز هذه الطبعة بالجودة والصحة والاتقان مضافاً الى بعض التعليقات المهمة التي خلت عنها الطبعة الأولى ، وبعض الميزات الاخرى التي لا تخفى على القراء .

ومن آثار المترجم أيضاً (كتاب البلدان) في الجغرافية ، وقد أوقفناك على أهميته وعناء صاحبه به ومقدار الثقة به ، وقد أفاض فيه – على الخصوص – وأبدع في وصف بغداد كما كانت في أيامه ، ووصف سامراء وتاريخها ، فهو يعد – بحق – من أمهات الكتب الجغرافية لأنه لا ينقل فيه صاحبه عن كتاب آخر ، وكان قد طبع أولاً في ليدن سنة ١٨٦١ ميلادية بعناية المستشرق « جونبول » وطبع ايضاً في جملة المكتبة الجغرافية التي طبع فيها ثمانية مجلدات من كتب الجغرافية العربية بعناية المستشرق « دبغويه » وطبعتها أيضاً إدارة «المكتبة المرتضوية» بمطبعتها الحيدرية في ص ١٣٢

ومن آثاره أيضاً (كتاب) في أخبار الأمم السالفة صغير (وكتاب) مشاكلة الناس لزمانهم ، هذه الكتب الأربعة هي التي ذكرها ياقوت الحموي في المعجم ويظهر من آخر النسخة المطبوعة من كتاب « البلدان » أن له كتاباً آخر أسماه بكتاب (الممالك والمسالك) .

وكان المترجم أديباً شاعراً ونبوغه قبل الطبري والمسعودي ، ومن بديع شعره قوله يصف سمرقند :

علت سمرقند أن يقال لها * زين خراسان جنة الكور
أليس أبراجها معلقة * بحيث لا تستبين للنظر
ودون أبراجها خنادقها * عميقة ما ترام من ثغر
كأنها وهي وسط حائطها * محفوفة بالظلال والشجر
بدر وأنهارها المجرة والـ * ـآطام مثل الكواكب الزهر

(م . ص)

٥

بسم الله الرحمن الرحيم

. . . . (١) . . . .

. . . . على آدم فلم

يطوعه شيء مما خلق الله جل وعز إلا الجنة ، فلما رأى آدم ما في الجنة من النعيم قال

لو كان سبيل إلى الخلود فطمع فيه إبليس لما سمع ذلك منه فبكى ونظر إليه آدم وحوا

يبكي فقالا له ما يبكيك قالا لأنكما تموتون هذا و ﴿ ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة

إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ﴾ وكان

لباس آدم وحوا ثيابا من نور (فلما ذاقا) من (الشجرة بدت لهما سوآتهما)

فزعم أهل الكتاب أن مكث آدم في الأرض قبل أن يدخل الجنة كان ثلاث

ساعات ومكث هو وحوا في النعيم والكرامة قبل أن يأكلا من الشجرة فتبدو لهما

سوآتهما ثلاث ساعات ، فلما بدت لآدم سوآته أخذ ورقة من الشجرة فوضعها على

نفسه ثم صاح هأنا يارب عريان قد أكلت من الشجرة التي نهيتني عنها ، فقال الله

إرجع الى الأرض التي منها خلقت فإني مسخر لك ولولدك طير السماء ونون البحار ،

وأخرج الله آدم وحوا مما كانا فيه فيما يقول أهل الكتاب في تسع ساعات من يوم

الجمعة وهبطا إلى الأرض وهما حزينان باكيان ، وكان هبوطهما على أدنى جبل من

---

(١) كذا بياض في الأصل .

جبال الأرض الى الجنة وكان يبلاد الهند ﴿ وقال قوم ﴾ على ابي قبيس — جبل بمكة — ونزل آدم في مغارة في ذلك الجبـل سماها « مغارة الكنز » ودعا الله أن يقدسها ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن آدم لما هبط كثر بكاؤه ودام حزنه على مفارقة الجنة ثم ألهمه الله أن قال لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ واجتباه وأنزل له من الجنة التي كان فيها الحجر الأسود وأمره أن يصيره الى مكة فيبني له بيتاً فصار الى مكة وبنى البيت وطاف به ، ثم أمره الله أن يضحي له فيدعوه ويقدسه فخرج معه جبريل حتى وقف بعرفات فقال له جبريل هذا الموضع أمرك ربك أن تقف له به ، ثم مضى به إلى مكة فاعترض له ابليس فقال ارمه فرماه بالحصى ثم صار الى الأبطح فتلقته الملائكة فقالت له بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك ألفي عام ، وأنزل الله عز وجل الحنطة على آدم وأمره أن يأكل من كده فحرث وزرع ثم حصد ثم داس ثم طحن ثم عجن ثم خبز فلما فرغ عرق جبينه ثم أكل فلما امتلأ ثقل ما في بطنه فنزل اليه جبريل ففجه فلما خرج ما في بطنه وجد رائحة تكره فقال ما هذا قال له جبريل رائحة الحنطة ، ووقع آدم على حوا فحملت وولدت غلاماً وجارية فسمى الغلام قابيل والجرية لوبذا ، ثم حملت فولدت غلاماً وجارية فسمى الغلام هابيل والجرية إقليما ، فلما كبر ولده وبلغوا النكاح قال آدم لحوا مري قابيل فليتزوج إقليما التي ولدت معها بيل ومري هابيل فليتزوج لوبذا التي ولدت مع قابيل فحسده قابيل أن يتزوج بأخته التي ولدت معه ﴿ وقد روى بعضهم ﴾ أن الله عز وجل أنزل لهابيل حوراء من الجنة فزوجه بها وأخرج لقابيل جنية فزوجه بها فحسد قابيل أخاه على الحوراء فقال لهما آدم قربا قرباناً فقرب قابيل من تبن زرعه وقرب هابيل أفضل كبش في غنمه لله فقبل الله قربان هابيل ولم يقبل قربان قابيل فازداد نفسة وحسداً وزين له الشيطان قتل أخيه فشدخه بالحجارة حتى قتل فسخط الله

على قابيل ولعنه وأنزله من الجبل المقدّس الى ارض يقال لها نود ، ومكث آدم وحوا بنوحان على هابيل دهراً طويلا حتى يقال إنه خرج من دموعهما كالنهر ، ووقع آدم على حوا فحملت فولدت غلاماً بعد أن أتى له مائة وثلاثون سنة فسمّاه شيثاً فكان أشبه ولد آدم بآدم ، ثم زوّج آدم شيثاً فولد له غلام بعد أن أتت عليه مائة وخمس وستون سنة فسماه أنوش ، ثم وِلد لأنوش غلام فسماه قينان ، ثم ولد لقينان غلام فسماه مهلائيل ، فهؤلاء ولدوا في حياة آدم وعلى عهده ، ولما حضرت آدم الوفاة جاءه شيث ابنه وولده وولده فصلى عليهم ودعا لهم بالبركة وجعل وصيته إلى شيث وأمره أن يحفظ جسده ويجعله إذا مات في مغارة الكنز وأن يوصي بنيه وبني بنيه ويوصي بعضهم بعضاً عند وفاتهم إذا كان هبوطهم من جبلهم أن يأخذوا جسده حشمةً فيجعلوه وسط الأرض ، وأمر شيثاً ابنه أن يقوم بعده في ولدهم فيأمرهم بتقوى الله وحسن عبادته وينهاهم أن يخالطوا قابيل اللعين وولده ، ثم صلى على بنيه اولئك واولادهم ونسائهم ثم مات لست خلون من نيسان يوم الجمعة في الساعة التي خلق فيها ، وكانت حياته تسعمائة سنة وثلاثين سنة إتفاقاً .

شيث بن آدم

وقام بعد موت آدم إبنه شيث ، وكان يأمر قومه بتقوى الله سبحانه والعمل الصالح ، وكانوا يسبحون الله ويقدسونه وابناؤهم ونساؤهم ليس بينهم عداوة ولا تحاسد ولا تباغض ولا تهمة ولا كذب ولا خلف ، وكان أحدهم إذا أراد أن يحلف قال لا ودم هابيل ، فلما حضرت وفاة شيث أتوه بنوه وبنو بنيه وهم يومئذ أنوش وقينان ومهلائيل ويرد وأخنوخ ونساؤهم وأبناؤهم فصلى عليهم ودعا لهم بالبركة وتقدّم إليهم وحلفهم بدم هابيل أن لا يهبط أحد منهم من هذا الجبل المقدس ، ولا يتركوا أحداً من أولادهم يهبط منه ، ولا يخالطوا بأولاد قابيل الملعون ، وأوصى إلى أنوش ابنه ، وأمره أن يحتفظ بجسد آدم ، وأن يتقي الله وبأمر قومه بتقوى

الله وحسن العبادة ، ثم توفي يوم الثلاثاء لسبع وعشرين ليلة خلت من آب على ثلاث ساعات من النهار ، وكانت حياته تسعمائة واثنتي عشرة سنة .

أنوش بن شيث

وقام أنوش بن شيث بعد أبيه بحفظ وصية أبيه وجده وأحسن عبادة الله وأمر قومه بحسن العبادة ، وفي أيامه قتل قابيل الملعون ، رماه لمك الأعمى بحجر فشدخ رأسه فمات ، وكان قد ولد لأنوش قينان بعد أن أتت له تسعون سنة ، ولما حضرت أنوش الوفاة اجتمع اليه بنوه وبنو بنيه قينان ومهلائيل ويرد وأخنوخ ومتوشلح ونساؤهم وأبناؤهم فصلى عليهم ودعا لهم بالبركة ونهاهم أن يهبطوا من جبالهم المقدس أو يدعوا أحداً من بنيهم أن يختلطوا بولد قابيل اللعين ، وأوصى قينان بجسد آدم وأمرهم أن يصلوا عنده ويقدسوا الله كثيراً ، وتوفي لثلاث خلون من تشرين الأول حين غابت الشمس ، وكانت حياته تسعمائة وخمساً وستين سنة .

قينان بن أنوش

وقام قينان بن أنوش ، وكان رجلا لطيفاً تقياً مقدساً فقام في قومه بطاعة الله وحسن عبادته واتباع وصية آدم وشيث ، وكان قد ولد له مهلائيل بعد أن أتت عليه سبعون سنة ، فلما دنا موته اجتمع اليه بنوه وبنو بنيه مهلائيل ويرد ومتوشلح ولمك ونساؤهم وأبناؤهم فصلى عليهم ودعا لهم بالبركة ، فاقسم عليهم بدم هابيل أن لا يهبط أحد منهم من جبالهم المقدس الى ولد الملعون قابيل ، وجعل وصيته الى مهلائيل ، وأمره أن يحتفظ بجسد آدم ، ومات قينان وكانت حياته تسعمائة سنة وعشرين سنة .

مهلائيل بن قينان

ثم قام بعد قينان مهلائيل بن قينان فقام في قومه بطاعة الله تعالى واتباع وصيته

وكان قد ولد له برد بعد أن أتت عليه خمس وستون سنة ، فلما دنا موت مهلائيل أوصى إلى ابنه برد ، وأوصاه بجسد آدم ، ثم توفي مهلائيل لليلتين خلتا من نيسان يوم الأحد على ثلاث ساعات من النهار ، وكانت حياته ثمانمائة سنة وخمساً وتسعين سنة .

برد بن مهلائيل

ثم قام بعد مهلائيل برد ، وكان رجلا مؤمناً كامل العمل لله سبحانه والعبادة له كثير الصلاة بالليل والنهار ، فزاد الله في حياته ، وكان قد ولد له أخنوخ بعد أن أتت عليه اثنتان وستون سنة ، وفي الأربعين ليرد تم الألف الأول ، ولما مضى من حياة برد خمسمائة سنة نقض بنو شيث العهد والمواثيق التي كانت بينهم فجعلوا ينزلون الى الأرض التي فيها بنو قابيل ، وكان أول نزولهم أن الشيطان اتخذ شيطانين من الانس إسم أحدهما يوبل والآخر توبلقين فعلمهما أصناف الغناء والزمر فصنع يوبل المزامير والطنابير والبرابط والصور ، وصنع توبلقين الطبول والدفوف والصنوج ، ولم يكن لبني قابيل عمل يشغلهم ولا ذكر لهم إلا أمام الشيطان ، وكانوا يركبون المحارم والمآثم ويجتمعون على الفسق ، وكان ذوو السن من رجالهم ونسائهم أشد في ذلك من شبانهم ، فكانوا يجتمعون فيزمرون ويضربون بالطبول والدفوف والبرابط والصنوج ويصيحون ويضحكون حتى سمع أهل الجبل من بني شيث أصواتهم فاجتمع منهم مائة رجل على أن يهبطوا إلى بني قابيل فينظروا ما تلك الأصوات ، فلما بلغ ذلك برد أتاهم وناشدهم الله وذكرهم وصية آبائهم وحلف عليهم بدم هابيل ، وقام فيهم أخنوخ بن برد فقال اعلموا أنه من عصى منكم أبانا برد ونقض عهود آبائنا وهبط من جبلنا لم ندعه يصعد ابداً فابوا إلا أن يهبطوا ، فلما هبطوا اختلطوا ببنات قابيل بعد أن ركبوا الفواحش ، فلما دنا موت برد أجتمع اليه بنوه وبنو بنيه أخنوخ ومتوشلح وملك ونوح فصلى عليهم ودعا لهم بالبركة ونهاهم أن يهبطوا

من الجبل المقدس وقال إنكم لا محالة تهبطون الى الأرض السفلى فايكم كان آخر هبوطاً فليهبط معه بجسد أبينا آدم ثم ليجعله وسط الأرض كما أوصانا ، فأمر أخنوخ ابنه أن لا يزال يصلي في مغارة الكنز ، ثم توفي يوم الجمعة لليلة خلت من أذار حين غابت الشمس ، وكانت حياته تسعمائة سنة واثنتين وستين سنة .

أخنوخ بن يرد

ثم قام من بعد يرد أخنوخ بن يرد فقام بعبادة الله سبحانه ، ولما أتت له خمس وستون سنة ولد متوشلح ، وأخذ بنو شيث ونساؤهم وأبناؤهم في الهبوط فعظم ذلك على أخنوخ فدعا ولده متوشلح ولمكا ونوحاً فقال لهم إني أعلم أن الله معذب هذه الامة عذاباً عظيماً ليس فيه رحمة ، وكان أخنوخ أول من خط بالقلم وهو إدريس النبي ، فأوصى ولده أن يخصوا عبادة الله ويستعملوا الصدق واليقين ، ثم رفعه الله بعد أن أتت له ثلاثمائة سنة .

متوشلح بن أخنوخ

ثم قام متوشلح بن أخنوخ بعبادة الله تعالى وطاعته ، وكان لما أتت عليه مائة وسبع وثمانون سنة ولد له لمك فأوحى الله إلى نوح في عصره وأعلمه أنه باعث الطوفان على الناس ، وأمره ان يعمل السفينة من الخشب ، ولما كانت لنوح ثلاثمائة سنة وأربع وأربعون سنة تم الألف الثاني ، وتوفي متوشلح في إحدى وعشرين من ايلول يوم الخميس ، وكانت حياته تسعمائة وستين سنة .

لمك بن متوشلح

فقام لمك بعد أبيه بعبدة الله وطاعته ، وكان قد ولد له بعد أن أتت عليه مائة واثنتان وثمانون سنة ، وكثرت الجبابرة في عصره ، وذلك أنه كان لما وقع بنوشيث في بنات قابيل ولدت منهم الجبابرة ، ثم دنا موت لمك فدعا نوحاً وساماً وحاماً ويافثاً

ونساءهم ولم يكن بقي من أولاد شيث في الجبل أحد غيرهم إلا هبطوا إلى بني قابيل فكانوا ثمانية أنفس ، ولم يكن لهم أولاد قبل الطوفان فصلى عليهم ودعا لهم بالبركة ثم بكى وقال لهم إنه لم يبق من جنسنا أحد إلا هؤلاء الثمانية الأنفس وأسأل الله الذي خلق آدم وحوا وحدهما ثم كثر ولدهما أن ينجيكم من هذا الرجز الذي أعد للأمة السوء ويكثر ولدكم حتى يملئوا الأرض ويعطيكم بركة أبينا آدم ويجعل في ولدكم الملك ، وأنا متوفى ولن يفلت من أهل الرجز غيرك يا نوح فاذا أنا مت فاحملني واجعلني في مغارة الكنز فاذا أراد الله أن تركب السفينة فاحمل جسد أبينا آدم فاهبط به معك ثم اجعله وسط البيت الأعلى من السفينة ، ثم كن أنت وبنوك في طرف السفينة الشرقي ، ولكن امرأتك وكنائنك في طرف السفينة الغربي ، وليكن جسد آدم بينكم فلا تجوزوا إلى نسائكم ولا يجزن نسؤكم اليكم ، ولا تأكلوا ولا تشربوا معهن ، ولا تقربوهن حتى تخرجوا من السفينة ، فاذا ذهب الطوفان وخرجتم من السفينة الى الأرض فصل انت عند جسد آدم ثم أوص سام أكبر بنيك فليذهب بجسد آدم حتى يجعله في وسط الأرض وليجعل معه رجلاً من أولاده يقوم عليه وليكن حبراً لله حياته لا ينكح امرأة ولا يبني بيتاً ولا يهريق دماً ولا يقرب قرباناً من الدواب ولا الطير فان الله مرسل معه ملكاً من الملائكة يدله على وسط الأرض ويونسه ، وتوفي لمك لسبع عشرة ليلة خلت من أذار يوم الأحد على تسع ساعات من النهار ، وكانت حياته سبعمائة وسبعاً وسبعين سنة .

نوح

وأوحى الله عز وجل إلى نوح في أيام جده أخنوخ وهو إدريس النبي وقبل أن يرفع الله إدريس ، وأمره أن ينذر قومه وينهاهم عن المعاصي التي كانوا يركبونها ويحذرهم العذاب ، فاقام على عبادة الله تعالى والدعاء لقومه وحبس نفسه على عبادة الله تعالى والدعاء لقومه لا ينكح النساء خمسمائة عام ثم أوحى الله اليه أن ينكح هيكل

بنت ناموسا بن أخنوخ وأعلمه أنه باعث الطوفان على الأرض وأمره أن يعمل السفينة التي نجاه الله وأهله فيها ، وأن يجعلها ثلاث بيوت سفلاً ووسطًا وعلواً ، وأمره ان يجعل طولها ثلاثمائة ذراع بذراع نوح وعرضها خمسين ذراعًا وسمكها ثلاثين ذراعًا ويصير حوالها رفوف الخشب ، ويكون البيت الأسفل للدواب والوحش والسباع ويكون الأوسط للطير ، ويكون الأعلى لنوح وأهل بيته ، ويجعل في الأعلى صهاريج (١) الماء وموضعاً للطعام ، فولدله بعد أن أتت عليه خمسمائة سنة ، ولما فرغ نوح من عمل السفينة وكان ولد قابيل ومن اختلط بهم من ولد شيث إذا رأوه يعمل الفلك سخروا منه فلما فرغ دعاهم إلى الركوب فيها وأعلمهم أن الله باعث الطوفان على الأرض كلها حتى يطهرها من أهل المعاصي فلم يجبه أحد منهم ، فصعد هو وولده إلى مغارة الكنز فاحتملوا جسد آدم فوضعوه في وسط البيت الأعلى من السفينة يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من أذار ، وأدخل الطير البيت الأوسط . وأدخل الدواب والسباع البيت الأسفل وأطبقها حين غابت الشمس . وأرسل الله الماء من السماء وفجر عيون الأرض (فالتقى الماء على أمر قد قدر) وأخذ الأرض كلها والجبل وظلمت الدنيا وذهب ضوء الشمس والقمر حتى كأن الليل والنهار سواء . وكان الطالع في ذلك الوقت الذي أرسل الله تعالى فيه الماء فيما تقول اصحاب الحساب السرطان والشمس والقمر وزحل وعطارد والرأس مجتمعة في آخر دقيقة من الحوت . فاتصل الماء من السماء والأرض أربعين يوماً حتى علا فوق كل جبل خمس عشرة ذراعا ثم وقف بعد أن لم تبق بقعة من الأرض إلا غمرها الماء وعلاها . ودارت السفينة الأرض كلها حتى صارت الى مكة فطافت حول البيت أسبوعا . ثم انكشف الماء بعد خمسة أشهر . فكان ابتداؤه لسبع عشرة ليلة خلت من أيار الى ثلاث عشرة ليلة

---

(١) الصهاريج بفتح الصاد المهملة حياض المياه مفرده الصهريج والصهارج بكسر الصاد المهملة في الأول وضمها في الثاني . (المصحح)

خلت من تشرين الأول ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن نوحا ركب السفينة أول يوم من رجب واستوت على الجودي في المحرّم فصار اول اشبور بعدهُ . وأهل الكتاب يخالفون في هذا . ولما استوت على الجودي وهو جبل بناحية الموصل أمر الله تعالى ماء السماء فرجع من حيث جاء . وأمر الأرض فبلعت ماءها فاقام نوح بعد وقوف السفينة أربعة أشهر ثم بعث الغراب ليعرف خبر الماء فوجد الجيف طافية على الماء فوقع عليها ولم يرجع . ثم أرسل الحمامة فجاءت بورقة زيتون فعلم أن الماء قد ذهب فخرج لسبع وعشرين من أيار ، فكان بين دخوله السفينة وخروجه سنة كاملة وعشرة أيام ، فلما صار إلى الأرض هو وأهله بنوا مدينة فسموها ثمانين ، ولما خرج نوح من السفينة ورأى عظام الناس تلوح غمه ذلك وأحزنه وأوحى الله اليه أني لن أرسل الطوفان على الأرض بعدها أبداً ، ولما خرج نوح من السفينة أقفلها بقفل ودفع المفتاح إلى سام ابنه ثم زرع نوح وغرس كرماً وعمر الأرض ، وإن نوحا يوماً لنائم إذا انكشف ثوبه فرأى حام ابنه سوءته فضحك وخبّر لأخويه سام ويافث فاخذا ثوباً حتى أتياه به ووجوههما مصروفة عنه فألقيا الثوب عليه فلما انتبه نوح من نومه وعلم الخبر دعا على كنعان بن حام ولم يدع على حام ، فمن ولده القبط والحبشة والهند ، وكان كنعان أول من رجع من ولد نوح إلى عمل بني قابيل فعمل الملاهي والغناء والمزامير والطبول والبرابط والصنوج وأطاع الشيطان في اللعب والباطل ، وقسم نوح الأرض بين ولده فجعل لسام وسط الأرض والحرم وما حوله واليمن وحضرموت إلى عمان الى البحرين الى عالج ويبرين ووبار والدو والدهناء ، وجعل لحام أرض المغرب والسواحل فولد كوش بن حام وكنعان بن حام والنوبة والزنج والحبشة ، ونزل يافث بن نوح ما بين المشرق والمغرب فولد له جومر وتوبل وماش وماشج وماجوج ، فولد جومر الصقالبة ، وولد توبل برجان ، وولد ماش الترك والخزر ، وولد ماشج الأشبان وولد ماجوج ياجوج وماجوج وهم في شرقي الأرض من جهة الترك ، وكانت منازل

الصقالبة وبرجان أرض الروم قبل أن يكون الروم ، فهؤلاء ولد يافث ، وعاش نوح بعد خروجه من السفينة ثلاثمائة وستين سنة ، ولما حضرت وفاة نوح اجتمع اليه بنوه الثلاثة سام وحام ويافث وبنوهم فأوصاهم بعبادة الله تعالى وأمر ساماً أن يدخل السفينة إذا مات ولا يشعر به أحد فيستخرج جسد آدم ويذهب معه بملكيزدق بن لمك بن سام فان الله اختاره ليكون مع جسد آدم في وسط الأرض في المكان المقدس وقال له يا سام إنك إذا خرجت انت وملكيزدق بعث الله معكما ملكاً من الملائكة يدلكما على الطريق ويريكما وسط الأرض فلا تعلمن احداً ما تصنع فان هذا الأمر وصية آدم التي أوصى بها بنيه وأوصى بها بعضهم بعضاً حتى انتهى ذلك اليك فاذا بلغتما المكان الذي يريكما الملك فضع فيه جسد آدم ثم مر ملكيزدق أن لا يفارقه ولا يكون له عمل إلا عبادة الله سبحانه وتعالى ، وأمره أن لا ينكح امرأة ولا يبني بنياناً ولا يهريق دماً ولا يلبس ثوباً إلا من جلود الوحش ولا يقص شعراً ولا ظفراً وليجلس وحده وليكثر حمد الله ثم مات في أيار يوم الأربعاء ، وكانت حياته تسعمائة سنة وخمسين كما حكى الله تعالى ﴿ ألف سنة إلا خمسين عاماً ﴾ .

سام بن نوح

وقام سام بن نوح بعد أبيه بعبادة الله وطاعته ، وكان قد ولد له أرفخشد بعد أن أتت عليه مائة سنة وسنتان ثم انطلق وفتح السفينة فاخذ جسد آدم فهبط به سراً من اخويه وأهله ودعا أخويه يافث وحاماً فقال لهما إن أبي أوصى إلي وأمرني أن آتي البحر فأنظر في الأرض ثم أرجع فلا تتحركوا حتى آتيكم واستوصوا بامرأتي وبني خيراً ، فقال له أخواه إذهب في حفظ الله فانك قد علمت أن الأرض خربة ونخاف عليك السباع قال سام إن الله تعالى يبعث ملكاً من الملائكة فلا أخاف إن شاء الله تعالى شيئاً ، ودعا سام ابنه لمكا فقال له ولامرأته (يا وزدق) أرسلا معي ابنكما ملكيزدق يونسني في الطريق فقالا له اذهب راشداً فقال سام لأخويه وأهله وولده قد علمتم أن أبانا نوحاً قد أوصى

إلي وأمرني أن أختم السفينة فلا أدخلها أنا ولا احد من الناس فلا يقربن السفينة منكم أحد ، ثم إن ساماً خرج ومعه ابنه فعرض لهما الملك فلم يزل معهما حتى صار بهما إلى الموضع الذي أمروا أن يضعوا جسد آدم فيه فيقال إنه بمسجد منى عند المنارة (ويقول) أهل الكتاب بالشام في الأرض المقدسة فانفتحت الأرض فوضع الجسد فيها ثم انطبقت عليه ، وقال سام لملكيزدق بن لمك بن سام أجلس هاهنا وأحسن عبادة الله فان الله مرسل إليك في كل يوم ملكاً من الملائكة يؤنسك ثم سلم عليه وانصرف فأتى اهله فسأله ابنه لمك عن ملكيزدق فقال إنه قد مات في الطريق فدفنته فحزن عليه ابوه وأمه ، ثم حضرت ساماً الوفاة فأوصى إلى ابنه أرفخشد ، ومات سام يوم الخميس لسبع خلون من ايلول ، وكانت حياته ستمائة سنة .

أرفخشد بن سام

ثم قام أرفخشد بن سام بعبادة الله تعالى وطاعته وكان قد ولد له شالح بعد أن أتت عليه مائة وخمس وثمانون سنة وقد تفرق ولد نوح في البلاد وكثرت الجبابرة والعتاة منهم وأفسد ولد نوح كنعان بن حام واظهروا المعاصي ، ولما حضرت أرفخشد الوفاة جمع اليه ولده واهله وأوصاهم بعبادة الله تعالى ومجانبة المعاصي وقال لشالح ابنه إقبل وصيتي وقم في اهلك بعدي عاملاً بطاعة الله تعالى ، ومات يوم الأحد لسبع بقين من نيسان ، وكانت حياته اربعمائة وخمساً وستين سنة .

شالح بن أرفخشد

ثم قام شالح بن أرفخشد في قومه يأمرهم بطاعة الله تعالى وينهاهم عن معاصيه ويحذرهم ما نال اهل المعاصي من الرجز والعذاب ، وكان قد ولد له عابر بعد أن أتت عليه مائة وثلاثون سنة ثم حضرته الوفاة فأوصى الى ابنه عابر بن شالح وامره أن يتجنب فعل بني قابيل اللعين ، ومات يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من أذار وكانت حياته اربعمائة وثلاثين سنة .

عابر بن شالح

ثم قام عابر بن شالح يدعو قومه إلى طاعة الله تعالى ويحذر بني سام بن نوح أن يختلطوا بولد كنعان بن حام المغير دين آبائه والمرتكب للمعاصي ، وكان قد ولد له فالغ بعد أن اتت عليه مائة واربع وثلاثون سنة ؛ ثم حضرته الوفاة فأوصى إلى ابنه فالغ فقال له يا بني إن ولد قابيل اللعين لما اكثروا العمل بمعاصي الله سبحانه وتعالى ودخل معهم ولد شيث بعث الله عليهم الرجز فلا تدخل انت ولا اهلك في ملة بني كنعان ومات عابر يوم الخميس لثلاث وعشرين من تشرين الأول ، وكانت حياته ثلثمائة واربعين سنة (وقيل) مائة واربعاً وستين سنة .

فالغ بن عابر

ثم قام بعد عابر فالغ ابنه يدعو الناس إلى طاعة الله تعالى فكان في زمانه اجتماع ولد نوح ببابل ، وذلك إن ماش بن إرم بن سام بن نوح صار الى ارض بابل فولد نمرود الجبار ونبيط وهو ابو النبط ، وهو اول من استنبط الأنهار وغرس الأشجار وعمر الأرض . وكان لسانهم جميعاً السرياني وهو لسان آدم . فلما اجتمعوا ببابل قال بعضهم لبعض لنبنين بنياناً اسفله الأرض واعلاه السماء فلما اخذوا في البنيان قالوا نتخذه حصناً يحرزنا من الطوفان فهدم الله حصنهم وفرق الله السنتهم على اثنين وسبعين لساناً وتفرقوا على اثنتين وسبعين فرقة من موضعهم ذلك فكان في ولد سام تسعة عشر لساناً وفي ولد حام ستة عشر لساناً وفي ولد يافث سبعة وثلاثون لساناً فلما رأوا ما هم فيه اجتمعوا الى فالغ بن عابر فقال لهم إنه لا يسعكم ارض واحدة مع افتراق السنتكم فقالوا اقسموا الأرض بيننا فقسم لهم فصارت لولد يافث بن نوح الصين والهند والسند والترك والخزر والتبت والبلغر والديلم وما والى ارض خراسان . وكان ملك بني يافث في ذلك الزمان جم شاذ . وصار لولد حام ارض المغرب وما وراء الفرات الى مسقط الشمس . وصار لولد سام الحجاز واليمن وباقي الأرض . وكان قد ولد له

أرغو بعد أن أتت عليه ثلاثون سنة ، وحضرت فالغ الوفاة فأوصى إلى ابنه أرغو ، ومات فالغ يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ايلول ، وكانت حياته مائتي سنة وتسعاً وثلاثين سنة .

أرغو بن فالغ

ثم قام أرغو بن فالغ بعد أبيه وقد تفرقت الألسن على اثنتين وسبعين فرقة لبني سام تسع عشرة فرقة ولولد حام ست عشرة فرقة ولولد يافث سبع وثلاثون ، وكان في زمانه نمرود الجبار وكان مسكنه ببابل وكان الذي ابتدأ بناء الصرح وأول من عمل التاج وملك سبعاً وستين سنة ، وكان قد ولد لأرغو ساروغ بعد أن أتت عليه اثنتان وثلاثون سنة ، ولما أتت لأرغو أربع وسبعون سنة من عمره كمل الألف الثالث وحضرت أرغو الوفاة فأوصى ابنه ساروغ ، وتوفي أرغو يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من نيسان ، وكانت حياته مائتي سنة .

ساروغ بن أرغو

وقام ساروغ بن أرغو في ولد سام بعد موت أبيه وقد كثرت الجبابرة وعتت في الأرض ، وكان في زمن ساروغ أول ما عبدت الأصنام ، وكان أول شأن الأصنام أن الناس كان إذا مات لأحدهم الميت الذي يعز عليهم من أب او أخ او ولد صنع صنماً على صورته وسماه باسمه فلما أدرك الخلف الذي بعدهم ظنوا وحدثهم الشيطان أنه إنما صنعت هذه لتعبد فعبدوها ثم فرق الله دينهم ، فمنهم من عبد الأصنام ومنهم من عبد الشمس ، ومنهم من عبد القمر ، ومنهم من عبد الطير ، ومنهم من عبد الحجارة ، ومنهم من عبد الشجر ، ومنهم من عبد الماء ، ومنهم من عبد الريح ، وفتنهم الشيطان وأضلهم وأطغاهم ، وكان قد ولد له ناحور بعد أن أتت عليه مائة وثلاثون سنة ، ولما حضرت ساروغ الوفاة أوصى ابنه ناحور وأمره بعبادة الله تعالى ومات ساروغ لثلاث بقين من آب يوم الاحد ، وكانت حياته مائتين وثلاثين سنة .

ناحور بن ساروغ

وكان ناحور مكان أبيه فكثرت عبادة الأصنام في زمانه فأمر الله سبحانه الأرض فزلزلت عليهم زلزلة شديدة حتى سقطت تلك الأصنام فلم يكترثوا بذلك وأعادوا أصناماً مكانها ، وفي زمانه ظهر السحر والكهانة والطيرة وذبح الناس أولادهم للشياطين وجعلت المكاييل والموازين ، وكانت حياة ناحور مائة وثماني واربعين سنة وكانت جبابرة ذلك العصر عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، وكانوا قد انتشروا في البلاد ، وكانت منازلهم بين أعالي حضرموت الى أودية نجران ، فلما عاثوا وعتوا بعث الله تبارك وتعالى هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح فدعاهم إلى عبادة الله تعالى والعمل بطاعته واجتناب المحارم وكذبوه فقطع الله عنهم المطر ثلاث سنين فوجهوا وفداً لهم الى البيت الحرام يستسقي لهم فاقاموا يطوفون بالبيت ويسعون أربعين صباحا ثم رفعت لهم سحابتان إحداهما بيضاء فيها غيث ورحمة والأخرى سوداء فيها عذاب ونقمة ، وسمعوا صوتاً يناديهم اختاروا أيتهما شئتم فقالوا اخترنا السوداء فمرت وهي على رؤوسهم فلما قربت من البلاد قال لهم هود إن هذه السحابة فيها عذاب قد أظلكم فقالوا عارض ممطرنا فاقبلت ريح سوداء لا تمر بشيء إلا أحرقته فما نجا منهم إلا هود ﴿ ويقال ﴾ إنه نجا لقمان بن عاد وعاش حتى عمر عمر سبع نسور ، ولما مضت عاد صار في ديارهم بنو ثمود بن جاثر بن ثمود بن إرم بن سام بن نوح ، وكانت ملوكهم تنزل الحجر فلما عتوا بعث الله اليهم صالح بن تالخ بن صادوق بن هود نبياً فسألوه أن يأتيهم بآية فأخرج الله لهم ناقة من الأرض معها فصيلها فقال لهم صالح إن لهذه الناقة يوماً ترد فيه الماء ولكم يوماً فاحذروا أن تصدوها عن الماء فكذبوه فقام رجل منهم يقال له قدار فعقرها ضرب عرقوبها بالسيف فارتفع فصيلها على نشز من الأرض ثم رغا فبعث الله عليهم العذاب فما فلت منهم إلا امرأة يقال لها الذريعة ، وضرب الله العرب بقدار المثل .

تارخ بن ناحور

وكان تارخ بن ناحور هو أبو ابراهيم خليل الله في عصر نمرود الجبار ، وكان نمرود أول من عبد النار وسجد لها ، وذلك أنه خرجت نار من الأرض فاتاها فسجد لها وكلمه منها شيطان فبنى عليها بنية وجعل لها سدنة . وفي ذلك العصر تعاطى الناس علم النجوم وحسبوا الكسوف للشمس والقمر والكواكب السائرة والراتبة وتكلموا في الفلك والبروج وكان الذي علم نمرود ذلك وجلاً تنطق (١) وكان تارخ — وهو آزر (٢) أبو ابراهيم — مع نمرود الجبار فحسب المنجمون لنمرود فقالوا له إنه يولد في مملكته مولود يعيب دينه ويزري عليه ويهدم أصنامه ويفرق جمعه فجعل لا يولد في مملكته مولود إلا شق بطنه حتى ولد إبراهيم فستره أبواه وأخفيا أمره وصيراه في مغارة حيث لا يعلم به أحد ، وكان مولده بكوثا ربا ، وكان مولد ابراهيم بعد أن أتت لتارخ مائة وسبعون سنة ، وعاش تارخ أبوه مائتي سنة وخمس سنين .

ابراهيم

ونشأ إبراهيم في زمان نمرود الجبار فلما خرج من المغارة التي كان فيها قلب طرفه في السماء فنظر في الزهرة فرأى كوكباً مضيئاً فقال ﴿ هذا ربي ﴾ فان له علواً وارتفاعاً ثم غاب الكوكب فقال إن ربي لا يغيب ثم رأى القمر لما طلع فقال (هذا ربي) فلم يلبث أن غاب القمر فقال ﴿ لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ﴾ فلما جاء النهار طلعت الشمس فقال (هذا ربي) هذا أنور وأضوأ فلما غابت الشمس قال غابت وربي لا يغيب ، كما قص الله خبره وأمره ، فلما كملت سنه جعل يعجب إذ رأى

---

(١) كذا في الأصل ولعل الصحيح (يتفلسف) .

(٢) هذا خلاف قول أكثر المفسرين وخلاف قوله تعالى في النبي (ص) (وتقلبك في الساجدين) الدال على إسلام آباء النبي (ص) فان آزر عمه والعرب تقول للعم أب . (المصحح)

قومه يعبدون الأصنام ويقول ﴿ أتعبدون ما تنحتون ﴾ فيقولون أبوك علمنا هذا فيقول إن أبي لمن الضالين ، فظهر قوله في قومه وتحدث الناس به وأرسله الله نبياً وبعث اليه جبريل فعلمه دينه فجعل يقول لقومه (إني بريء مما تشركون) وبلغ خبره نمرود فارسل اليه فيها ثم جعل إبراهيم يكسر أصنامهم فيقول ادفعي عن نفسك فالهب نمرود ناراً ووضعه في منجنيق ورمى به فيها فاوحى الله اليها أن (كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) فجلس وسط النار ما تضره فقال نمرود من اتخذ إلهاً فليتخذه مثل إله ابراهيم فآمن معه لوط وكان لوط ابن اخيه خاران بن تارخ ، وأمر الله عز وجل ابراهيم أن يخرج من بلاد نمرود إلى الشام الأرض المقدسة فخرج ابراهيم وامرأته سارة بنت خاران بن ناحور عمه ولوط بن خاران مهاجرين حيث امرهم الله فنزلوا أرض فلسطين وكثر ماله ومال لوط فقال ابراهيم للوط إن الله قد كثر لنا مالنا وماشيتنا فانتقل منا حتى تنزل مدينتي سدوم وعمورة بالقرب من الموضع الذي كان فيه ابراهيم فلما صار لوط الى مدينة سدوم وعمورة ونزلها أتاه ملك تلك الناحية فقاتله وأخذ ماله فمضى ابراهيم حتى استنقذ ماله ووسع الله عز وجل على ابراهيم في كثرة المال فقال رب ما أصنع بالمال ولا ولد لي فاوحى الله عز وجل اليه أني مكثر ولدك حتى يكونوا عدد النجوم ، وكان لسارة جارية يقال لها هاجر فوهبتها لابراهيم فوقع عليها فحملت وولدت إسماعيل ، وابراهيم يومئذ ابن ست وثمانين سنة وقال الله أني مكثر ولدك وجاعل فيهم الملك الباقي مدى الدهر حتى لا يدري احد ما عددهم ، فلما ولدت هاجر غارت سارة وقالت أخرجها عني وولدها فأخرجها ومعها إسماعيل حتى صار بهما الى مكة فانزلهما عند البيت الحرام وفارقهما فقالت له هاجر على من تدعنا قال على رب هذه البنية فقال اللهم إني أسكنت ابني بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ونفد الماء الذي كان مع هاجر فاشتد باسماعيل العطش فخرجت هاجر تطلب الماء ثم صعدت الى الصفا فرأت بقربه طائراً واقفاً فرجعت فاذا بالطائر قد فحص برجله الأرض فخرج الماء فجمعته لئلا

يذهب فهي بئر زمزم ، وعمل قوم لوط المعاصي وكانوا يأتون الذكران من العالمين وذلك أن إبليس لعنه الله تعالى تراآى لهم في صورة غلام أمرد ثم أمرهم أن ينكحوه فاشتهوا ذلك حتى تركوا نكاح النساء وأقبلوا على نكاح الذكران فنهاهم لوط فلم ينتهوا وجاروا في الأحكام حتى ضرب بهم في الجور المثل وقالوا (أجور من حكم سدوم) وكان الرجل منهم إذا نال احداً بمكروه فضربه او سحه قال له أعطني أجراً على فعلي بك ، وكان لهم حاكمان يقال لهما شقرى وشقروني يحكمان بالجور والظلم والعدوان ولما كثر عمل قوم لوط وجورهم بعث الله عز وجل ملائكة لهلاكهم فنزلوا بابراهيم وكان يضيف الأضياف ويعمل القرى فلما نزلوا قرَّب اليهم عجلاً مشوياً فلما رآهم لا يأكلون نكرهم فعرفوه بانفسهم وقالوا إنا رسل ربك لهلاك أهل هذه القرية يعنون سدوم القرية التي كان فيها قوم لوط فقال لهم ابراهيم إن فيها لوطاً ﴿ قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته ﴾ وكانت سارة امرأة ابراهيم واقفة فعجبت من قولهم فبشروها باسحق فقالت (ءألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً كبيراً) وكان ابراهيم ابن مائة سنة وهي بنت تسعين فلما أتوا الى لوط ورأتهم امرأته دخنت لقومها فجاؤا الى لوط فقالوا ادفع الينا أضيافك فقال (لا تفضحون في ضيفي) فلما اكثروا صدهم جبريل فأعماهم فقالوا له إنا مهلكوهم قال فمتى قالوا الصبح قال تؤخروهم الى الصبح قال له جبريل ﴿ أليس الصبح بقريب ﴾ فلما كان السحر قال له جبريل اخرج ثم قلبها عليهم (ويقال) نزلت عليهم نار فلم ينج منهم احد ، وكانت امرأة لوط فيهم فمسخت ملحاً فما بقي منهم مخبر ، ووهب الله لابراهيم إسحق بن سارة فعجب الناس من ذلك وقالوا شيخ ابن مائة سنة وعجوز بنت تسعين سنة فخرج اسحق أشبه شيء بابراهيم ، وكان إبراهيم يزور إسماعيل وأمه في كل وقت ، وبلغ اسماعيل حتى صار رجلاً ثم تزوج امرأة من جرهم فزاره ابراهيم مرة فلم يلقه وكانت أمه قد ماتت فكلم امرأته فلم يرض عنها وسألها عن اسماعيل فقالت في الرعي فقال اذا جاء

فقولي له غير عتبة بابك فلما انصرف اسماعيل من رعيه قالت له امرأته قد جاء هنا شيخ يسأل عنك فقال اسماعيل فما قال لك قالت قال لي قولي له غير عتبة بابك قال أنت خالية فطلقها وتزوج الحيفاء بنت مضاض الجرهمية فعاد اليهم ابراهيم من الحول فوقف ببيت إسماعيل فلم يجده ووجد امرأته فقال كيف حالكم قالت بخير قال هكذا فليكن ، أين زوجك قالت ليس بحاضر إنزل قال لا يمكنني قالت فاعطني رأسك أقبله ففعل ذلك وقال إذا جاء زوجك فاقرأيه السلام وقولي له تمسك بعتبة بابك فلما انصرف جاء اسماعيل فاخبرته امرأته بخبر ابراهيم فوقع على موضع قدمه يقبلها ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم أن يبني الكعبة ويرفع قواعدها ويؤذن في الناس بالحج ويريهم مناسكهم فبنى ابراهيم واسماعيل القواعد حتى انتهى الى موضع الحجر فنادى ابراهيم أبو قبيس إن لك عندي وديعة فاعطاه الحجر فوضعه ، وأذن ابراهيم في الناس بالحج فلما كان يوم التروية قال له جبريل تروّ من الماء فسميت التروية ، ثم أتى منى فقال له بت بها ، ثم أتى عرفات فبنى بها مسجداً بحجارة بيض ثم صلى به الظهر والعصر ، ثم عمد به الى عرفات فقال له هذه عرفات فاعرفها فسميت عرفات ، ثم أفاض به من عرفات فلما حاذى المأزمين قال له ازدلف فسميت المزدلفة وقال له اجمع الصلاتين فسميت جمع ، وصار الى المشعر فنام عليه فأمره الله أن يذبح ابنه (فالرواية) تختلف في اسماعيل واسحاق فيقول قوم إنه اسماعيل لأنه الذي وضع داره وبيته واسحاق بالشام ، ويقول قوم إنه اسحاق لأنه أخرجه وأخرج أمه معه وكان يومئذ غلاماً واسماعيل رجل قد ولد له ، وقد كثرت الروايات في هذا وهذا واختلاف الناس فيهما فلما أصبح ابراهيم صار الى منى وقال للغلام زورني بالبيت ، وقال لابنه إن الله أمرني أن أذبحك فقال ﴿ يا أبت افعل ما تؤمر ﴾ فأخذ السكين وأضجعه على جمرة العقبة وطرح تحته قرطان حمار (١) ثم وضع الشفرة على حلقه وحوّل وجهه عنه فقلب

(١) قرطان : بضم القاف وقد تكسر هي البرذعة وقال الخليل هي الحلس الذي يلقى تحت الرحل

جـــبريل الشفرة فنظر إبراهيم فاذا الشفرة مقلوبة ففعل ذلك ثلاث مرات ثم نودي ﴿ يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ﴾ وأخذ جبريل الغلام وانحط الكبش من قلة ثبير فوضعه تحته فذبحه ، فاهل الكتاب يقولون إنه كان إسحاق وإنه فعل به هـذا في برية الأموريين بالشام ، فلما فرغ ابراهيم من حجه وأراد أن يرتحل أوصى إلى ابنه اسماعيل أن يقيم عند البيت الحرام وأن يقيم للنـاس حجهم ومناسكهم وقال له إن الله مكثر عدده ومثمر نسله وجاعل في ولده البركة والخير ، وتوفيت سارة عند مصيرهم الى الشام فتزوج ابراهيم قطورة فولدت له اولاداً كثيراً وهم زمرن ويقشن ومدن ومدين ويشباق وشوح ، وتوفي ابراهيم وكانت وفاته يوم الثلاثاء لعشر خـلون من آب وكانت حياته مائة وخمساً وتسعين سنة .

اسحاق بن ابراهيم

ولما توفي إبراهيم بالشام قام إسحاق بعده وتزوج رفقا بنت بتوئيل فحملت فثقل حملهـا فأوحى الله عز وجل الى اسحاق إني مخرج من بطنهـا شعبين وأمتين فأجعل الأصغر أعظم من الأكبر فولدت رفقـا عيصو ويعقوب توأمين وخرج عيصو أولاً وخرج يعقوب بعده وعقبه مع عقب عيصو فسمي يعقوب ، وكان اسحاق يوم ولد له ابن ستين سنة وكان اسحـاق يحب عيصو ورفقا تحب يعقوب ، وسكن اسحاق وادي جارر وكان قد ذهب بصره فقـال لابنه عيصو خذ سيفك وقوسك واخرج فصد لي صيداً حتى آكل وأبارك عليك قبل أن أموت فسمعت رفقا أمه ذلك فقالت ليعقوب إصنع لأبيك طعاماً اذهب الى الغنم فخذ جديين فاصنع طعاماً وقربه لأبيك حتى تقع عليك البركة فقال أخاف أن يلعنني فقالت إن لعنك كانت لعنتك علي فمضى يعقوب وأخذ جديين وذبحهما وطبخهما وقربهما اليه وكان عيصو مشعر الذراع فاخذ يعقوب جلد الجديين فوضعهما على ساعديه فلما قرب الطعام من أبيه قال النغمة نغمة يعقوب والمسحة مسحة عيصو ثم بارك عليه ودعا له وقال له كن رأساً على إخوتك وجاء

عيصو بصيده فقال له اسحاق من قدّم الي الطعام فبار كته ومبار كاً يكون قال خدعني أخي يعقوب قال له اسحاق قد جعلته رأساً عليك وعلى اخوته ثم دعا له وقال على مميتة الأرض تنزل ، وأمر اسحاق يعقوب أن يصير الى حران فيكون عند لابان بن بتوئيل بن ناحور أخي ابراهيم وخاف اسحاق عيصو عليه وأمره أن لا يتزوج من نساء الكنعانيين فصار الى حران الى خاله لابان ، فكان حياة اسحاق مائة وخمساً وثمانين سنة .

يعقوب بن اسحاق

ثم إن اسحاق قال ليعقوب إن الله قد جعلك نبياً وجعل ولدك أنبياء وجعل فيك الخير والبركة وأمره أن يسير الى الفدان وهو موضع بالشام فسار الى الفدان فلما دخلها رأى امرأة معها غنم على البئر تريد أن تسقي غنمها وعلى رأس البئر حجر لا يرفعه إلا عدة رجال فسألها من هي فقالت أنا ليا بنت لابان وكان لابان خال يعقوب فرحزح يعقوب الحجر وسقى لها وسار الى خاله فزوجه إياها فقال يعقوب ان التي كانت مسماة لي راحيل أختها فقال هذه اكبر وأنا أزوجك ايضاً راحيل فتزوجها جميعاً ودخل بليا أولاً فاولدها روبيل وشمعان ولاوى ويهوذا وأشاجر وزفولون وجارية يقال لها دينا ، ثم زوجه خاله بابنته الأخرى وهي راحيل فابطأ عليها الولد حتى عظم ذلك عليها ، ثم وهب الله سبحانه وتعالى يوسف وبنيامين ووقع يعقوب بزلفا جارية كانت لليا فولدت منه كاذ وآشر ونفتالى ، ووقع بوليدة راحيل فولدت دان ﴿ وقال قوم ﴾ ان يعقوب تزوج راحيل قبل ليا (وقال) أهل الكتاب تزوجها جميعاً في وقت واحد فماتت راحيل وبقيت ليا ، وكان يوسف أحب ولد يعقوب الى يعقوب لأنه كان أجملهم وجهاً وكانت أمه أحب نسائه اليه فحسده اخوته ذلك فاخرجوه معهم وكان من خبرهم ما قصه الله عز وجل في كتابه العزيز حتى بيع واستعبد وغاب عن أبيه أربعين سنة ثم ردّه الله سبحانه عليه وجمعهم يوسف بمصر على ما قصه الله في كتابه ،

وولد ليوسف بمصر علة أولاد فاقام يعقوب بمصر سبع عشرة سنة ولما حضرته الوفاة أوصى يوسف أن لا يدفنه ولده بمصر ، وتوفي وله مائة وأربعون سنة .

ولد يعقوب

وكان ليعقوب من الولد اثنا عشر ذكراً روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا ويشاجر وزفولون ويوسف وبنيامين وكاذ وآشر ودان ونفتالى ، فهؤلاء بنو يعقوب وهم بنو إسرائيل وهم الأسباط ، وكان لروبيل من الولد خنوخ وفلو وحصران وكرمى وكان لشمعون من الولد نموئيل ويامين وشاوول ، وكان للاوى من الولد جرشون وقهث ومرارى ، وكان ليهوذا من الولد عار وأونان وشيلا وفارص وزارح ، وكان ليشاجر من الولد تولع وفوا ويوب وشمرون ، وكان لآشر من الولد يمنا واشوا وأشوي وبريعا وسارخ ، وكان لزفولون من الولد سارد وأيلون ويحلائيل ، وولد ليوسف بارض مصر أفرائيم ومنشى ، وكان لبنيامين بالع وبخر وأشبال ونعمان وأوخى ومفيم وحفيم وأرد ، وكان لكاذ من الولد صفيان وشونى وأصبون وعارى وأرودى وأرالى ، وكان لنفتالى من الولد يحصيل وغونى ويبصر وشاليم ، فهؤلاء أولاد يعقوب وولد ولده الذين اجتمعوا بمصر عند يوسف مع ولد يوسف الذين ولدوا بمصر وأعطاهم ارضاً وقال ازرعوا فما خرج فلفرعون الخمس ، ولما حضرت يعقوب الوفاة جمع ولده وولد ولده فبارك عليهم ودعا لهم وقال لكل واحد منهم قولاً وأعطى ليوسف سيفه وقوسه وقرّب اليه يوسف ابنيه منشى وأفرائيم فصيرمنشى على يمينه وأفرائيم عن شماله لأن منشى كان اكبر فقلب يده اليمنى على أفرائيم وأوصى يوسف أن يحمله ويدفنه الى جنب قبر ابراهيم واسحاق ، ولما توفي يعقوب قاموا يبكون عليه سبعين يوماً ثم حمله يوسف وأخرج معه غلماناً من أهل مصر وصار به الى أرض فلسطين فدفنه الى جنب قبر ابراهيم واسحاق ولما فرغوا من دفن يعقوب قال لاخوته ارجعوا معي الى أرض مصر فخافوه فقالوا له قد أوصاك أبوك يعقوب أن

تغفر خطيئتنا قال لا تخشوني فاني أخشى الله فاطمأنت قلوبهم فرجعوا الى أرض مصر فاقاموا بها وعاش يوسف بمصر دهراً ثم حضرته الوفاة فجمع بني اسرائيل وقال إنكم تخرجون بعد حين من أرض مصر إذا بعث الله رجلاً يقال له موسى بن عمران من ولد لاوى بن يعقوب وسيذكركم الله ويرفعكم فأخرجوا بدني من هذه الأرض حتى تدفنوني عند قبور آبائي ، ومات يوسف وله مائة وعشر سنين فصير في تابوت حجارة وصير في النيل ، وكان في ذلك العصر أيوب النبي ابن اموص بن زارح بن رعوئيل ابن عيصو بن اسحاق بن ابراهيم وكان كثير المال فابتلاه الله تعالى بخطيئة أخطأها فشكر الله وصبر ثم رفع الله عنه البلاء ورد اليه ماله وأضعف له .

موسى بن عمران

وولد موسى بن عمران بن قهث بن لاوى بن يعقوب بمصر في زمان فرعون الجبار وهو الوليد بن مصعب « ويقال » كان اسمه ظلمى وبنو إسرائيل يومئذ بمصر قد أقاموا في زمان يوسف في الرق والعبودية ، وكان سحرة فرعون وكهنته قد قالوا له يولد في هذا الوقت مولود من بني اسرائيل يفسد عليك ملكك ويكون به هلاكك وكان فرعون قد ملك مصر دهراً طويلاً ممتعاً بالسلامة حتى قال أنا ربكم الأعلى فامر فرعون فوضع على كل امرأة حامل من بني إسرائيل حرساً فكانت لا تلد منهن امرأة غلاماً إلا قتل والدها فلما جاء أم موسى المخاض قالت لها القابلة إني اكتم عليك فلما ولدت قالت للحرس إنما خرج منها دم وأوحى الله إلى أم موسى أن اعملي تابوتاً ثم ضعيه فيه وأخرجيه ليلاً فاطرحيه في نيل مصر ففعلت ذلك وضربته الريح فطرحته الى الساحل فرأته امرأة فرعون فدنت منه حتى أخذته فلما فتحت التابوت ورأت موسى وقع عليه منها محبة فقالت لفرعون نتخذه ولداً وطلبت له من ترضعه فلم يأخذ من المرضعات حتى جاءت أمه فاخذ منها وشب أحسن شباب وبلغ في أسرع وقت ما لا يبلغ الصبيان ، وكان يوسف قد قال لبني اسرائيل انكم لن تزالوا في العذاب

حتى يأتي الغلام الجعد ولد لاوى بن يعقوب يقال له موسى بن عمران فلما طال الأمر على بني إسرائيل ضجوا وأتوا شيخاً منهم فقال لهم كأنكم به فبينا هم في ذلك إذ وقف عليهم موسى فلما رآه الشيخ عرفه بالصفة فقال له ما اسمك فقال موسى قال ابن من قال ابن عمران فقام هو والقوم وقبلوا يديه ورجليه واتخذهم شيعة ودخل يوماً مدينة من مدائن مصر فاذا رجل من شيعته ينازع رجلاً من آل فرعون فوكزه موسى فقتله ونذر به فرعون وآل فرعون وأرادوا قتله فلما علم ذلك خرج وحيداً على وجهه حتى صار الى مدين وآجر نفسه من شعيب النبي ابن نويب بن عيا بن مدين بن ابراهيم على أن ينكحه إحدى ابنتيه فلما قضى موسى الأجل سار بامرأته يريد بيت المقدس على ما قص الله عز وجل من خبره في كتابه العزيز فبينا موسى يسير في طريقه إذ رأى ناراً فقصد نحوها وخلّف أهله فلما دنا منها إذا شجرة تضطرم من أسفلها الى أعلاها ناراً فلما دنا منها تأخرت نفسه ووجل واشتد رعبه فناداه الله جل وعلا ﴿ يا موسى لا تخف إنك من الآمنين ﴾ فسكن عنه رعبه وأمره الله أن يلقي عصاه فالقاها فاذا هي حية كالجذع فامره الله أن يأخذها فصارت عصاً ، وبعثه الله تعالى الى فرعون وأمره أن يأتيه ويدعوه الى عبادة الله فعظم ذلك في قلب موسى فقال الله إني آمرك إلى عبد من عبيدي بطر نعمتي وأمن مكري وزعم أنه لا يعرفني وإني أقسم بعزتي لولا العدل والحجة التي وضعتها بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار تغضب لغضبه السماوات والأرض فقال اللهم اشدد عضدي باخي هارون و ﴿ إني قتلت منهم نفساً فاخاف أن يقتلون ﴾ فقال له الله قد فعلت ذلك ف ﴿ اذهب أنت وأخوك بآياتي ﴾ فأخرجا بني اسرائيل هذا أوان إخراجي إياهم من الرق والعبودية فرّد موسى امرأته الى ابيها وصار الى فرعون هو واخوه هارون وأعلمه ما بعثه الله به وخبرّ بني اسرائيل فعظم سرورهم وعلموا أن يوسف صدقهم .

ثم ساروا الى باب فرعون وعليه مدرعة صوف وفي وسطه حبل ليف وفي يده

عصاً فمنع من الدخول فضرب الباب بالعصا فانفتحت الأبواب ثم دخل فقال لفرعون أنا رسول رب العالمين بعثني اليك لتؤمن به وتبعث معي بني اسرائيل ، فاعظم فرعون ذلك فقال له ائت بآية نعلم بها صدقك ﴿ فألقى عصاه فاذا هي ثعبان عظيم ﴾ قد فتح فاه وأهوى نحو فرعون فسأل موسى أن ينحيه عنه ثم أدخل يده في جيبه وأخرجها بيضاء من غير سوء — برص — وكان فرعون أراد أن يصدقه فقال له هامان أما في عبيدك أيها الملك من يعمل مثل هذا فاحضر السحرة من جميع البلاد وخبروا بخبر موسى فاقاموا حيناً يعملون من جلود البقر حبالاً مجوفة وعصياً مجوفة ويزوقونها ويصيرون فيها الزيبق ثم احموا المواضع التي أرادوا أن يلتنوا فيها الحبال والعصي ثم جلس فرعون واحضره فألقى السحرة حبالهم وعصيهم فلما حمي الزيبق تحرك ومشت الحبال والعصي فالقى موسى عصاه فأكلت ذلك كله حتى لم يبق منه شيء ونكص السحرة فقتل فرعون من قتل منهم وبعث الله موسى بآيات الى فرعون العصا ثم اليد التي خرجت من جيبه بيضاء ثم الجراد ثم القمل ثم الضفادع ثم الدم وموت الأبكار فلما اتصل بهم هذا قال له فرعون إن كشفت عنا الرجز آمنا واخرجنا معك بني اسرائيل فكشف الله عنهم ولم يؤمنوا وامر الله موسى ان يخرج بني اسرائيل فلما أرادوا الخروج طلب جسد يوسف بن يعقوب ليحمله معه كما اوصى يوسف بني إسرائيل فاتته شارح بنت آشر ابن يعقوب فقالت تضمن لي البقاء حتى ادلك عليه حتى ضمن ذلك لها فصارت به الى موضع من النيل فقالت له هو ههنا فأخذ موسى اربع صفائح ذهب فصور في واحدة صورة نسر واخرى صورة سبع وأخرى صورة انسان واخرى صورة ثور وكتب في كل صفيحة اسم الله الأعظم والقاها في الماء فطفا التابوت — الحجارة — الذي كان فيه جسد يوسف وبقيت فى يد موسى صفيحة واحدة فيها صورة ثور فوهبها لشارح بنت آشر وحمل التابوت وقفل موسى ببني اسرائيل وهم ستمائة الف إنسان بالغ واتبعه فرعون وجنوده فغرقهم الله جميعاً وكانوا الف الف فارس ﴿ وقيل ﴾ هبط جبريل وفرعون واصحابه

يحاولون الدخول إثرهم وإذ قد نزل جبريل بعد أن لم يجزع من خيل فرعون فرس واحد وكان تحت جبريل مهرة وكان تحت فرعون فرس طويل الذنب فدخل جبريل البحر فنظر فرس فرعون إلى مهرة جبريل فاقتحم إثرها البحر وتبعه اصحابه فغرقوا كلهم أعني فرعون وجميع أصحابه وانطبق البحر عليهم وصار موسى الى التيه وجعل بنو إسرائيل يستعجلونه ليدخل الى الأرض المقدسة فاوحى الله الى موسى ﴿ إنها محرمة عليهم أربعين سنة ﴾ فأقاموا في التيه واشتد بهم العطش فاوحى الله الى موسى أن يضرب بعصاه الحجر فقام موسى مغضباً فضرب الحجر ﴿ فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ﴾ لكل سبط عين يشربون منها فاوحى الله الى موسى إنك ضربت الحجر قبل أن تقدسني ولم تذكر اسمي وانت ايضاً فلا تخرج من التيه وأمره أن يبني فيه قبة الزمان ويجعل فيها الهيكل ويجعل في الهيكل تابوت السكينة ويكون هارون كاهن ذلك الهيكل الذي لا يدخله غيره فجمع غزول نساء بني اسرائيل فنسجت وجميع الحلي وعمل سرادقاً طوله مائة ذراع في صدره الهيكل وفي صدر الهيكل تابوت السكينة وكان عمله ذلك في السنة الثانية من خروجه من مصر وجعل فيه مائدة من ذهب وجعل للقبة أجراس ذهب وكلل القبة بالجوهر وجعل فيها مجمرة ذهب للدخنة وجعل فيها منارة ذهب مكللة بالجوهر فكان هارون وحده يدخل القبة ويقدس الله وموسى على الستر وسائر بني اسرائيل في السرادق وكانت غمامة تجلل القبة ولا تبرحها وأمرهم الله أن يقربوا قربانهم وقال لموسى قل لبني اسرائيل يقربون قرباناً سليمة من العيوب من البقر والغنم ويجعلون شحم القربان على المذبح وينضحون الدم ايضاً عليه وما كان من القربان فهو حل لبني هارون خاصة حرام على غيرهم ومن أذنب منهم ذنباً فليقرب قرباناً لله عند المذبح على قدر ما يجد بقراً أو غنماً أو شفنينين أو فرخي حمام فاوحى الله عز وجل الى موسى أن يكتب العشر الآيات في لوحي زمرد فكتبها على ما أمره الله وهذه العشر الآيات :

(١) قال الله إني أنا الرّب الذي أخرجتك من أرض بيت الرق والعبودية ولا يكون لك إله آخر دوني ولا تتخذ تمثالاً ولا صنماً مشتبهاً بي من فوق السماء ولا تحت الأرض ولا تسجد لها ولا تعبدها من أجل أنا الرب الملك القاهر قاضي ديون الآباء عن الأبناء (٢) نقمي على الثلاث والرباع لمبغضي واصنع نعمي لمحبي وحافظ وصيتي الى ألوف الآلاف من المحبين لي الحافظين لوصيتي (٣) لا تحلف باسم الرب كاذباً لأن الله لا يزكي من حلف باسمه كاذباً (٤) واذكر يوم السبت لتطهره إعمل ستة أيام واسع في اعمالك كلها واليوم السابع سبت الرب إلهك لا تعمل فيه شيئاً من الأعمال أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك ونعمك وبهائمك والساكن في قراك لأنه في ستة أيام خلق الله السماء والأرض والنجوم وجميع ما فرّع في السماء فلهذا بارك الله اليوم السابع وطهره (٥) وأكرم أباك وأمك لتطول أيامك في الأرض التي أعطاكها الرب إلهك (٦) ولا تقتل (٧) ولا تزن (٨) ولا تسرق (٩) ولا تشهد على صاحبك شهدة كاذبة (١٠) ولا تشته بيت صاحبك ولا زوجة صاحبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً من مال صاحبك .

وصعد موسى طور سيناء فاقام أربعين يوماً فكتب التوراة فاستبطأه بنواسرائيل فقالوا لهارون إن موسى قد ذهب ولا نظنه يرجع ثم عمدوا الى حلي نسائهم فعملوا منها عجلاً مجوفاً وكانت الريح تدخله فتخور فيه فقال الله لموسى إن بني اسرائيل قد اتخذوا عجلاً وعبدوه من دوني فدعني أهلكهم فدعا لهم موسى وقال يا رب احفظ فيهم ابراهيم واسحاق ويعقوب ولا يشمت بهم أهل مصر ، وهبط موسى من الجبل بعد اربعين يوماً فلما رأى العجل ورآهم عكوفاً عليه اشتد غضبه فالقى الألواح وكسرها وأخذ برأس أخيه هارون فنظر الى العجل يخور فكسره وسحقه حتى صيره كالتراب وذرّاه في الماء وقال لبني لاوى جردوا سيوفكم واقتلوا من قدرتم عليه ممن عبد العجل فجرد بنو لاوى سيوفهم وقتلوا في ساعة واحدة خلقاً عظيما وقال الله لهم أيبدوا

من اتخذ إلهاً غيري .

وأمر الله موسى أن يعدّ بني اسرائيل ويجعل على كل سبط رجلاً خيراً فاضلاً وكان عددهم ممن بلغ العشرين سنة فما فوقها الى الستين ممن يحمل السلاح ستمائة الف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين رجلاً وكان عده إياهم بعد خروجهم من مصر بسنتين فكان رئيس بني يهوذا نحشون بن عميناذاب وعدد من معه من سبطه اربعة وسبعون الفاً وستمائة رجل ، ورئيس بني يشاجر نثنيل بن صوعر وعدد من معه أربعة وخمسون الفاً واربعمائة رجل ، ورئيس سبط زبلون الياب بن حيلون وعدد من معه سبعة وخمسون الفاً واربع مائة رجل ، ورئيس سبط بنى روبيل اليصور بن شذياور وعدد من معه سبعة واربعون الفاً وخمسمائة رجل ، ورأس بني شمعون شلوميال بن صورى شذاي وعدد من معه تسعة وخمسون الف وجل وثلاثمائة رجل ، ورأس بنى كاذ السيف بن دعوال وعدد من معه خمسة واربعون الفاً وستمائة وخمسون رجلا ، ورأس بنى افرائيم اليشمع بن عميهوذ وعدد من معه أربعون الفاً وخمسمائة رجل ، ورأس بنى منشا جمليال بن فدا صور وعدد من معه اثنان وثلاثون الفاً ومائتا رجل ، ورأس بنى بنيامين ابيذان بن جذعونى وعدد من معه خمسة وستون الفاً واربع مائة رجل ، ورأس بنى دان أخيعازر بن عميشذاي وعدد من معه اثنان وثلاثون الفاً وسبع مائة رجل ، ورأس بنى آشر فجعيال بن عحزن وعدد من معه أحد واربعون الفاً وخمسمائة رجل ، ورأس سبط نفتالى اخيرع بن عينان وعدد من معه ثلاثة وخمسون الفاً وأربع مائة رجل ، وكان بنو لاوى خدام قبة الزمان وحرسها فلم يدخلوا معهم وكانوا مخصوصين بالكرامة والقدس وخدمة قبة الزمان والتطهير ، فهذا عدد بنى اسرائيل ، واسم رئيس كل سبط منهم ومن كان معه من سبط على ما في السفر الرابع من التوراة ، وأمر الله سبحانه موسى أن يقول لرؤساء أسباط بنى اسرائيل أن يقرب كل عظيم منهم قرباناً فكان قربان كل رجل منهم صحفة فضة من مائة وثلاثين مثقالا

ومصفاة فضة من سبعين مثقالا وملء الصحفة سميد ملتوت بدهن ومدهن ذهب من عشرة مثاقيل مملوا طيبا وثوراً وكبشا وحملا حوليا وحولية من المعزى ، وكان الذبح الكامل ثورين وخمسة اكبش وخمسة جداء وخمسة حملان حولية ، وأمر الله عز وجل موسى أن يقول لبني اسرائيل أن يذبحوا بقرة صفراء مسلمة لا عيب فيها ثم يأخذ دمها فيرشه على حبال قبة الزمان ثم يحرقها وجلدها ثم ليأت رجل آخر فايجمع الرماد وليصيره في موضع فاذا أراد أحد ان يطهر فليجعل في الماء من ذلك الرماد فيكون طهوراً

وأقام موسى وبنو اسرائيل في التيه دهراً وكان طعامهم المن وكان المن مثل حب الكسبرة يطحنونه بالأرحاء ويجعلونه أرغفة فيكون طعامهم طيباً أطيب من كل شيء وكان ينزل عليهم بالليل ويجمعونه بالنهار فضجوا وبكوا وجعلوا يقولون من يطعمنا لحما أما تذكرون ما كنا نأكل بمصر من النون والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والفوم فاشتد غم موسى لذلك وجعلوا يقولون أطعمنا لحماً فقال موسى اللهم إني لا أقوى على بني اسرائيل فاوحى الله اليه إني مطعمكم لحماً فبعث لهم السلوى وأعلمهم الله أنه يخرجهم الى الشام فبعث موسى الى الشام بيوشع بن نون وغيره الى أرض بني كنعان ليأتوه بخبرها فقالت بنو اسرائيل لا طاقة لنا بحرب الجبابرة وأذن الله لموسى أن ينتقم من أهل مدين فوجه باثني عشر الف رجل من بني اسرائيل فقتلوا جميع أهل مدين وقتلوا ملوكهم وكانوا خمسة ملوك أوى ورقم وصور وحور وربع ، وقتل بلعام بن باعور في الحرب وكان نبياً فاشار على ملك مدين أن يوجه بالنساء على عسكر بني اسرائيل حتى يفسدوهم فغضب موسى من ذلك فامر الله موسى أن يقسم تلك الغنائم بين بني اسرائيل ويأخذ منهم من كل خمسين واحداً فيجعله لله يدفعه الى ولد هارون ثم امره الله أن يوجه بني اسرائيل الى الشام يقاتلون من بها فوجه جيشاً عظيما فجعلوا يسيرون قليلاقليلا وينزلون ويقولون إنا نخاف الجبارين فاقاموا بجبل ساعير فقال الله تعالى لموسى إن بني اسرائيل عصوا أمري فليشتروا الطعام بالثمن وليخضعوا الآن لمن كان يخضع لهم

وكان ذلك بعد أن قتل موسى سيحون ملك الأموري واستباح أرضه .

ولما كان في سنة الأربعين من مقامهم في التيه وهي برية سينا أوحى الله الى موسى إني قابض هارون إلي فاصعد به الجبل ليأتي ملائكتي فتقبض روحه فاخذ موسى بيد هارون أخيه فلما صعد به الجبل ولم يكن معه إلا اليعازر بن هارون فلما صار على الجبل إذ سرير عليه ثياب فقال له موسى إلبس يا أخي هذه الثياب المطهرة التي أعدها الله لك لتلقاه فيها فلبسها هارون ثم تمدد على السرير فمات وصلى عليه موسى فلما لم يروا بنو إسرائيل هارون ضجوا وقالوا اين هارون قال لهم موسى قبضه الله اليه فاضطربوا وكان هارون محبباً فيهم لين الجانب لهم فرفعه الله لهم على السرير حتى رأوا وجهه فعلموا أنه قد مات ، وكانت سني هارون يومئذ مائة وثلاثاً وعشرين سنة ، وكان له من الولد اربعة نادب واليهو واليعازر وايثمر ، وتوفي في حياته نادب واليهو وبقي اليعازر وايثمر وصار اليعازر مكان هارون يقدس في قبة الزمان ودعا موسى يوشع بن نون وقال له بين يدي إسرائيل سر وشد قلبك فانك تدخل بني اسرائيل الى ارض بني كنعان اتي ورثهم الله وهذه التوراة ادفعها الى كهنة بني لاوى الذين كانوا يقومون بتابوت السكينة ووقروا مقام الله واحفظوا وصاياه التي بينها لكم في التوراة وأوصاهم أن يتبعوا ما فيها وبرك عليهم ، وكان مما أوصى الله عز وجل به لبني اسرائيل على لسان موسى أن قال لهم اذكروا اليوم الذي قمتم فيه قدام الله إذ قال الله لي اجمع هذا الشعب قدامي فأسمعهم كلامي ليخشوني أيام حياتهم فقمتم في أسفل الجبل والجبل يتوقد ناراً الى قلب السماء وكلمني الله من جوف النار فسمعتم الصوت ولم تروا الشبه وأوصاكم الله أن تتعلموا العشر الآيات وأوصاني أن أعلمكم السنن والقضاء فتعملوا بذلك في الأرض التي تصيرون اليها فاحتفظوا بأنفسكم ولا تصنعوا أصناماً مما يشبه ذكراً ولا أنثى ولا شيئاً مما يدب على الأرض ولا مما يكون في البحر ، ولا ترفعوا رؤوسكم الى السماء فتعبدوا النجوم إن الله قد أقسم لا أدخل الأرض الصالحة فانا ميت بهذه الأرض

ولست أعبر الأردن ولكنكم ستعبرون وتصيرون الى الأرض الصالحة التي جعلها الله لكم ميراثاً فلا تضلوا ميثاق الله ربكم الذي واثقكم به فتصنعوا الأصنام ولا تعملوا أعمال السوء قدام إلهكم لو قد صرتم الى الأرض الصالحة فتوشكوا إن عصيتم فتهلكوا وتفرقوا بين الشعوب وإن عبدتم ما يعمله أيدي البشر من خشب وحجارة لا يبصرون وتدعون فلا يسمع لكم دعاء إن الله الرحيم بكم يسمع أصواتكم وإن من سمع من الله مثل الذي سمعتم ورأى مثل الذي رأيتم لا ينبغي أن يعصي الله فقد رأيتم ما صنع الله باهل مصر وأنتم تنظرون فان الله هوالرب الذي ليس غيره الذي بصركم ناره وأسمعكم صوته وأحب آباءكم فاجتبى خلوفهم وأهلك لكم قوماً كانوا أعظم وأشد منكم وإن الله سيدخلكم الأرض الصالحة ويجعلها ميراثاً لكم فاحفظوا سننه التي اوصاكم بها وأمركم بها ليحسن اليكم والى خلفكم من بعدكم ويكثر أيامكم في الأرض ، إقبلوا وصية الله التي أمركم بها لا تزيغوا عنها يميناً ولا شمالاً ، واسلكوا كل طريق أوصاكم بها ربكم ليحسن اليكم ، أحبوا الله من كل قلوبكم ومن هممكم وما لكم وقصوهن على أولادكم وأتموها واتلوها في بيوتكم إجعلوها علامة بين أعينكم واكتبوها في منازلكم إن الله سيعطيكم قرى عظاماً لم تبنوها وبيوتاً مملوءة من الخير لم تملأوها وآباراً مطوية لم تحفروها وكروماً وزيتوناً لم تغرسوها فلا تنسوا الله واخشوه واعبدوه واحلفوا باسمه ولا تتبعوا إلهاً آخر ، احذروا غضب الله الذي يبيدكم عن وجه الأرض ولا تخونوا الله واقبلوا أمره واعملوا خيراً وصدقاً ، أذكروا إذ كنتم عبيداً لفرعون فاخرجكم الله بيد شديدة وآيات معجزات عظام ساقت فرعون وأصحابه الى الهلكة وأنتم تنظرون ، إن الله يقول لكم سأعطيكم البلاد الصالحة وأقدركم على الأمم التي بين أيديكم وأظفركم بالجبارين والجرشيين والأموريين والكنعانيين والفرازيين والحويين والنسابلسيين هؤلاء السبع الأمم الذينهم اكثر منكم وأشد فاذظفركم الله بهم فاضربوهم وارجموهم ولا ترحموهم ولا تعطوهم ميثاقاً ولا تنكحوهم بناتكم

لكيلا يكونوا لكم عثرة فيزيغون اولادكم عني فيعبدون إلهاً غيري فيشتد عليكم غضبي فابيدكم عاجلاً ولكن اكسروا أصنامهم واهدموا مذابحهم واهدموا أنساكهم وأوقدوها ، إنكم إن سمعتم وصيتي وعملتم بقضاياي فسأحفظ لكم نعمكم والميثاق الذي واثقت آباءكم وأكثركم وأبر زرعكم وماشيتكم ، إجعلوا لله نصيباً في اموالكم فواسوا منه اليتيم والأرملة والمسكين والضعيف والساكن معكم الذي لا زرع له ، إذا قضيتم بين اثنين فاعدلوا ولا تأخذوا الرشا فان الرشوة تعمي عيون الحكام ، ولا تغرسوا شجرة عند مذبح ، ولاتذبحوا قرباناً فيه عيب من ثور ولا كبش ، واقتلوا من يعمل الأصنام التي تعبد من دون الله ، وإذا بلغكم أن أحداً يسجد للشمس والقمر والنجوم او شيء من الأنوار فافحصوا عنه فاذا علمتم صحته فارجموه بالحجارة حتى يموت ، ولا تقبلوا في الأحكام الموجبة للقتل شهادة واحد ولكن شهادة شاهدين او ثلاثة ، وإذا شهد الشهود على من يجب عليه القتل فليبدوا الشهود فليبسطوا أيديهم الى الذي يقتل فاذا أشكل عليكم الحكم فارجعوا الى الأحبار والكهان ، ومن قتل رجلاً خطأ ولم يرده فليفر من ولي الدم حتى لا يدركه ، ولا تسفكوا دم بريء ، أيما رجل قتل رجلاً بريئاً تعمداً فليقتل ، ولا تقتلوا أحداً حتى تقوم عليه شهادة عند الحبر والقاضي فان وقف القاضي على أن احداً شهد بزور فعل به الشاهد ما أراد أن يفعله بالمشهود عليه والنفس بالنفس والعين بالعين واليد باليد والرجل بالرجل وإذا أردتم قتال قوم فاتيتم قريتهم فادعوهم الى السلم فان أجابوكم فاجعلوا عليهم ضريبة فان لم يسلموا فقتلتم كل من يحمل السلاح ، ولا تفسدوا شجرها ، وقال الله عزوجل لموسى إذا خرجت لقتال عدوك فامكنك الله منهم فرأيت في السبي امرأة وأحببت أن تتخذها لنفسك فادخلها الى بيتك واكشف عن رأسها وقص أظفارها وأنزع عنها ثيابها التي سبيت فيها وأقعدها في بيتك ثلاثة أشهر تبكي على ابيها وأمها ثم استحلها فان كرهتها بعد أن تمسها فأخرجها ولا تبعها ولا تأخذ لها ثمناً بعد أن وقعت عليها ،

وأيما ابن عصى أباه ولم يطعه ولم يقبــل أمره فليخرجه أبوه الى شيوخ سبعة فيرجموه حتى يذهب الشر والقطيعة منكم ويحذر أمثاله من بني اسرائيل ، وإذا وجد أحد منكم ضالة قد ضلت من صاحبها من نعجة او ثور أو حمار فليردها على صاحبها فان لم يجده فليحبسها في بيته حتى يحضر صاحبها ، ولا تلبسوا ثوبًا منسوجًا بقطن وصوف جميعًا واصنعوا خيوطًا في أطراف اكسيتكم ؛ وأيما رجل قذف امرأته ورماهـا بفجور فلم يصح عليها فليغرَّم مائة درهم وتكون امرأته آخر الدهر وإن كان ما قذفها به حقًا فلترجم ، وأيمـا رجل وجد يزني بامرأة لها زوج فليقتلا كلاهما ، وأيمـا رجل غلب امرأة على نفسها فليقتل الرجل ، وأي رجل وقع على جارية تكون في حجر ابيها فافتضها وأحبها فليعط اباها خمسين مثقالاً فضة ولتكن امرأته آخر الدهر ولا يخل سبيلهـا ، ولا يحل لرجل أن يمس امرأة قد مسها ابوه ولا ينظر الى عورتها ، ولا يدخل الرجل الجنب مسجداً من مساجد الله ولا تأكلوا ربا الفضة ولا ذهب ، وإذا نذرتم فلا تؤخروا قضاءه ، وأوفوا بالعهد إذا عاهدتم ولا تنقضوا العهد فان الله يحب من وفى بعهده ، إعتزلوا من كان به برص وتباعدوا منه ، ولا تحبسوا اجر الأجير ولا تأخذوا ابًا بذنب ابنه ولا ابنًا بذنب ابيه ، وأدوا زكاة اموالكم وثمراتكم الى الحبر قربانًا ، وأعطوا الفقراء والأرامل واليتـامى والمساكين وبني السبيل ، وإذا دخلتم الأرض الصالحة فاعملوا مذبحًا للقدس من حجارة مستوية فليقل احبار بني اسرائيل ملعون من يضل الأعمى عن الطريق ملعون من يحيف في القضاء على المساكين واليتيم والأرملة ملعون من يضاجع امراة اخيه ملعون من يضاجع دابة ملعون من يضاجع اخته وامه ملعون من يضاجع ام امراته ملعون من يأكل لحم اخيه سراً ملعون من يأخذ رشوة في قتل نفس زكية ظلمـاً ملعون كل من لم يعمل بوصية الله ، ثم قال لهم موسى قد بلغتكم وصـايا الله وعرفتكم امره فاتبعوا ذلك واعملوا به فقد اتت لي مائة وعشرون سنة وقد حانت وفاتي وهذا يوشع بن نون القيم فيكم بعدي فاسمعوا له

وأطيعوا أمره فانه يقضي بينكم بالحق وملعون من خالفه وعصاه ، وكانت بين وفاة هارون إلى أن حضرت موسى الوفاة سبعة أشهر ثم صعد موسى الى جبل نابون فنظر الى الشام وقال الله له هذه الأرض التي ضمنت لابراهيم وإسحاق ويعقوب أن اعطيها خلفهم وقد أريتكها بعينك ولكنك لن تدخلها فمات في ذلك الموضع فقبره يوشع بن نون ولم يدر أين قبره .

أنبياء بني اسرائيل وملوكهم بعد موسى

وكان موسى لما حضرته وفاته أمره الله عز وجل أن يدخل يوشع بن نون — وكان يوشع بن نون من شعب يوسف بن يعقوب — الى قبة الزمان فيقدس عليه ويضع يده على جسده لتتحول فيه بركته ويوصيه أن يقوم بعده في بني اسرائيل ففعل موسى ذلك فلما مات موسى قام يوشع بعده في بني إسرائيل ثم خرج من التيه بعد وفاة موسى بيوم ﴿ وقال بعض أهل الكتاب ﴾ ثلاثين يوماً وصار الى الشام وفيها الجبابرة ولد عمليق بن لاود بن سام بن نوح ، وكان أول من ملك منهم السميدع ابن هوبر فصار من أرض تهامة الى الشام يريد غزو بني إسرائيل فوجه اليه يوشع بن نون من قتله ثم قام بعده من بني أبيه جماعة فقتلهم يوشع وسار يوشع حتى انتهى الى البلقاء فلقي رجلاً يقال له « بالق » وبه سميت البلقاء فجعلوا يخرجون يقاتلونه فلا يقتل منهم رجلا واحداً فسأل عن ذلك فقيل له إن في مدينته امرأة منجمة تستقبل الشمس بفرجها ثم تحسب فاذا فرغت عرضت عليها الخيل فلا يخرج يومئذ من حضر أجله ، فصلى يوشع ركعتين ثم دعا أن يؤخر الله الشمس ساعة فأخرت له ساعة فاختلط عليها حسابها فقالت لبالق أنظروا ما كانوا يسألونك فأعطهم فان حسابي قد اختلط علي قال تصفحي آلتك وأخرجي منها فانه لا يكون صلح إلا بقتال فتصفحت الخيل على غير علم منها لاختلاط الأمر عليها فقتلوا قتلة لم يقتلها قوم فسألوا يوشع الصلح فابى عليهم حتى يدفعوا اليه المرأة فقال بالق لا أدفعها فقالت ادفعني اليه فدفعها اليه وصالح فقالت له هل تجد فيما أنزل على صاحبك

قتل النساء قال لا قالت فاني قد دخلت في دينك قال فاسكني في مدينة أخرى فأنزلها مدينة أخرى ، ولما افتتح يوشع بن نون البلقاء اكثر بنو اسرائيل الزناء وشرب الخمور ووقعوا على النساء و كثرت فيهم الفاحشة فعظم ذلك على يوشع بن نون وخوفهم الله وحذرهم سطوته فلم يحذروا فأوحى الله عز وجل إلى يوشع بن نون إن شئت سلطت عليهم عدوهم وإن شئت أهلكتهم بالسنين وإن شئت بموت حثيث عجلان فقال هم بنو اسرائيل ولا أحب أن تسلط عليهم عدوهم ولا يهلكوا بالسنين ولكن بموت حثيث فوقع فيهم الطاعون فمات في وقت واحد سبعون الفاً ، وكانت أيام يوشع في بني اسرائيل بعد موسى بن عمران سبعاً وعشرين سنة .

ثم كان على بني اسرائيل بعد يوشع بن نون دوشان الكفري فلبث فيهم ثماني سنين ثم كان بعد دوشان عثنايل بن قنز أخي كالب من سبط يهوذا بن يعقوب أربعين سنة وقد كان كثر ظلم بني إسرائيل وعتوهم فسلط الله عليهم كوشان جبار مؤاب فلما ملك عثنايل قتل كوش وملك أربعين سنة ثم ارتدت بنو إسرائيل الى الكفر فسلط الله عليهم عقلون ملك مؤاب خمس عشرة سنة ثم تابوا فبعث الله لهم رجلاً يقال له أهود بن جيرا من سبط افرائيم فقتل عقلون ملك مؤاب وكان يقاتل بشماله ويمينه فسموه ذا اليمينين وهو أول من طبع السيوف ذوات الحدين وكانت قبله ذوات أقفية وفي زمانه بنيت البنية بالشام ، وفي خمس وعشرين سنة من ملك أهود تم الألف الرابع .

ثم ارتدت بنو اسرائيل بعد أهود فسلط الله عليهم يابين ملك كنعان عشرين سنة وكان سمجر بن عانات قد ملك على بني اسرائيل قبل فقتل من اهل فلسطين ستمائة رجل ثم إن الله رحمهم فبعث اليهم رجلاً يقال له بارق بن ابينعم من سبط نفتالي فملكهم اربعين سنة ثم ارتدت بنو اسرائيل الى الكفر فسلط الله عليهم اهل مدين سبع سنين ، ثم إن الله تعالى رحمهم فبعث اليهم رجلاً يقال له جدعان بن يواس من سبط منشا وكان صالحاً وهو الذي بيت اهل مدين فقتل منهم مائتي الف وخمسة وثمانين الفاً وملكهم

اربعين سنة ، ثم ملك بعده ابنه ابيملك بن جدعون وكان ابن سوه وهو الذي قتل سبعين أخاً كانوا له فقتلته امرأة ورمته بحجر من فوق باب المدينة فشدخته وكان ملكه ثلاث سنين ، ثم ملك تالع بن فواي من سبط يشاجار فاقام ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم ملك جلعاد من سبط منشا وكان له ثلاثون ابناً يركبون معه على ثلاثين مهراً وكان ملكه اثنين وعشرين سنة ، ثم ارتدت بنو إسرائيل الى الكفر فسلط الله عليهم بني عمون سبع عشرة سنة ، وفي زمانه بنيت مدينة صور بالشام وسامهم سوء العذاب ثم إن الله تعالى رحمهم فبعث لهم رجلاً من أهل جلعاد اسمه « يفتح » فقتل من بني اسرائيل من آل أفرائيم اثنين واربعين الفاً وكان من سبط منشا وكان ملكه ست سنين ، ثم كان عليهم أيصان الذي يدعى نخشون سبع سنين ، ثم كان عليهم أيلان من سبط زبلون عشرين سنة ، ثم كان عليهم عكران ثماني سنين ، ثم كان عليهم الانكساس فسامهم سوء العذاب وسلط عليهم أشد التسليط أربعين سنة ، ثم كان عليهم شمسون عشرين سنة ثم لبثوا ليس عليهم أحد اثنتي عشرة سنة ، ثم كان عليهم عالي الأحباري أربعين سنة ، ثم كان عليهم شمويل النبي وهو الذي ذكره الله تعالى ﴿ إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله ﴾ فلما قالوا لشمويل النبي سل الله أن يبعث لنا ملكاً حتى يقاتل عدوه وقال إنه لا وفاء لكم ولا صدق نية وقالوا بلى قال فان الله قد بعث لكم طالوت ملكاً واسمه « شاول » قالوا والله ماهو من سبط الملك والنبوة ما هو من ولد لاوى ولا يهوذا وإنما هو من سبط بنيامين قال شمويل فليس لكم أن تختاروا على الله فدعا شمويل شاول وهو طالوت فقال له إن الرب أمرني أن أبعثك ملكا على بنى اسرائيل والله يأمرك أن تنتقم من عماليق فأهلك عماليق وكل ماله ولا تبق له شيئاً من رجل ولا امرأة ولا صبي رضيع ولا عجل ولا شاة ولا بعير ولا حمار وأوصى الجماعة كلها بهذا وكان عددهم أربع مائة الف مقاتل فأقبل شاول إلى عمليق فقتل أصحاب عمليق وأسر أغاغ ملك العمالقة فأخذه حياً فاستبقاه وامتنعوا من

إتلاف شيء من البقر والغنم وأبقوا لأنفسهم فأوحى الله تعالى إلى شمويل إن شاول عصاني ولم يهلك عمليق وكلما حواه ملكه فقال شمويل لشاول إن الله قد غضب من فعلك فدعا شاول باغاغ فقال ما أمر الموت قال الذبح فذبحه ثم قال شاول لشمويل امض معي لنسجد بين يدي الله تعالى فامتنع فامسك رداء شمويل فخرقه فقال شمويل كذا ينخرق ملكك وارتفعت النصرة عن شاول ودخلته ريح سوء وكان يضطرب ويتغير لونه فقالوا له أصحابه لو أتيت بانسان حسن الصوت من الشعارير يقرأ عليك إذا دخلتك هذه الريح السوء فأرسل إلى أيشا ابعث الي داود ابنك فبعث به اليه فكان إذا خنق شاول أخذ داود قيثارة بيده وتكلم عليها فيذهب عنه الريح السوء ، ثم اجتمع الحنفاء الذين كانوا في وقت شاول فقاتلهم وهم عبدة النجوم وخرج اليهم شاول في جموعه فخرج منهم رجل طوله خمس أذرع قال له « غلياث » وهو جالوت فقال يبرزلي منكم رجل واحد فقال داود لشاول أنا أبرز اليه فقال لداود انطلق والرب يكون معك فأخذ عصاً وخمسة أحجار وخرج إلى غلياث فلما رآه احتقره فقال له الى كلب خرجت بعصاً وحجر فقال له الى أشد من الكلب ثم أخذ حجراً من مخلاته ورماه به حتى غاب الحجر في جبهة جالوت وسقط فسعى اليه داود فاخذ سيفه وحز رأسه وأخذ راجعاً فانهزم عسكر غلياث واشتد سرور بني يهوذا فاغتم شاول وحسد داود فطرده عنه وصيره رئيساً على الف ونفاه بمكان بني يهوذا وتزوج ميخل بنت شاول وكان شاول يريد قتل داود فكان يوجهه يقاتل الحنفاء عبدة النجوم فيفتح الله عليه فهم أن يقتله بغير حيلة فهرب داود فجاء الى شموئيل النبي فخبره بخبر شاول ولم يزل شاول يحاول قتل داود حتى هرب فمر باخيش ملك جات فلما رآه عرفه فتحيل عليه داود حتى أطلقه فصار الى سارع فنزلها ولما علم شاول أنه قد فاته قتل الكهنة الذين كانوا يقدسون وقال قد علمتم به ولم تخبروني ثم خرج شاول في طلب داود حتى أدركه فدخل داود مغارة فلما صار شاول عند المغارة نزل لحاجته فدخل المغارة وهو لا يعلم أن داود فيها فقام داود فتوارى فقال له اصحابه

يا داود اقتله فقد أمكنك الله منه قال ما كنت لأفعل ، وتوفي شمويل النبي فاجتمعت بنو إسرائيل وأعظموا ذلك وناحوا عليه ثلاثين يوماً وخرج شاول يقاتل الحنفاء والتحم القتال بينهم فهزموا بني اسرائيل وقتل منهم خلق عظيم وكان داود بن ايشا يقاتل العماليق مع قومه من ولد يهوذا فلما انهزم عن شاول جميع بني اسرائيل قام هو وولده يحارب ثم قال لصاحبه الذي يحمل سلاحه خذ سيفك فاقتلني به لئلا يقتلني هؤلاء القلف ويلعبوا بي فلم يفعل فأخذ شاول سيفه فأقامه ثم ألقى نفسه عليه فمات وقتل أولاده الثلاثة وكان ملك شاول أربعين سنة .

داود

ولما مات شاول وهو طالوت إنصرف داود من قتال عمليق الى سقلاغ فاقام بها يومين ثم أتاه الخبر بموت شاول فحزن لذلك وأظهر جزعاً وملك داود على بنى يهوذا ، وكان لداود عدة نسوة قد ولدن منه أولاداً فكان اكبر أولاده أمنون وأمه شيتموم والثاني دالويا بن اريخايل ، والثالث أبا شلوم بن موخا ، والرابع اريتا بن دحات ، والخامس سفاطيا بن أيطال ، والسادس ناتان بن أغلا ، فهؤلاء الستة من ست نسوة ولم تلد ميخل بنت شاول فهربت من داود إلى أصحاب شاول ، واجتمعت بنو اسرائيل من الأسباط على تمليك داود فملكوه بعد سبع سنين ملكها على بني يهوذا خاصة الى أن ملكته جميع أسباط بني اسرائيل ، وينزل داود مدينة صيون وهي بيت المقدس وبنى بها منزلاً وتزوج النساء فولد له بعد أن ملك صمون وسوباب ونوتان وسلامان ويابار واليشوس ونافاق ويافيا واليشماس والسنابا واليفلات ، فكثر أولاد داود وعز ملكه وأعظمته بنو اسرائيل ، وسمع الحنفاء أن داود قد ملك على بنى اسرائيل واجتمعوا لقتاله فقاتلهم داود فقتل فيهم قتلا كثيراً حتى أبادهم فلما فرغ من قتالهم حمل تابوت السكينة على عجل حتى أدخله مدينة بيت المقدس وصنع طعاماً لبنى اسرائيل لرجالهم ونسائهم وكان في ذلك العصر ناتان النبي فاوحى الله إلى ناتان قل لعبدي داود

ابن لي بيتاً فقد ملكتك على بني اسرائيل بعد أن كنت في صيرة الغنم وقتلت أعداءك فقال ناتان النبي لداود فعظم في قلب داود ﴿ ويقال ﴾ إن ناتان كان ابن داود وقاتل داود الحنفاء فهزمهم وقاتل أهل مؤاب وهزمهم وقاتل أدد ازار ملك سوبا فهزمه وأخذ له الف مركب وسبعة آلاف من الخيل واجتمع أهل الشام ودمشق مع أدد ازار ليقاتلوا داود فقتل منهم إثنين وعشرين الفاً واستحوذ على الأرض فكان أهل الشام جميعاً عبيداً له ثم اجتمعوا جميعاً على محاربة داود فوجه اليهم يؤاب ابن اخته وأبيشا أخاه ثم خرج داود حتى عبر نهر الأردن فقتل من القوم أربعين الفاً وقتل أشان رأس القوم ثم وجه يؤاب ابن اخته لقتال بنى عمون إلى أسافل الشام ورجع الى بيت المقدس فقام يمشي على سطح له إذ نظر الى برسبا بنت اليات امرأة أوريا بن حنان الشطي فسأل عنها فاخبر بحالها وأنها امرأة أوريا بن حنان فوقعت في قلبه فارسل الى أوريا بن حنان فاقدمه عليه ثم كتب إلى يؤاب ابن اخته أن قدم أوريا أمام الخيل يحارب فقدمه يؤاب فقاتل فقتل (١) وأرسل داود إلى امرأته فتزوجها وأحبلها فارسل الله اليه الملكين على ما قص في كتابه جل وعز ، وأرسل اليه ناتان النبي فقال له يا داود ألم يأمرك الله أن تعدل في القضاء وتحكم بالحق ولاتتبع الهوى قال بلى قال فهذان رجلان يسكنان مدينة واحدة أحدهما غني والآخر فقير وكان للغني مواش وبقر كثيرة ولم يكن للفقير شيء إلا رخلة واحدة صغيرة رباها فشبت معه ومع أولاده

---

(١) هذا وماهو أشنع منه مما هو في صموئيل الثاني من كتب العهد القديم لا ريب أنه من الخرافات التي لم يثبت بها نقل ودحرته نواميس الأديان واستفاضت الروايات عن ائمة أهل البيت عليهم السلام بتفنيده ، وقد أغرق نزعاً في تكذيبه سيدنا المرتضى علم الهدى في كتابه « تنزيه الأنبياء » ولم يدع شيخنا الحجة البلاغي في كتابه (الهدى) ملتحداً عن القول بان ذلك من مختلقات القصاصين ، وإنك لاتجد من محققي العلماء من يعطف على تلك الخرافة نظر القبول بل ينكرها أشد الانكار ، والأصل فيه ما ثبت بالبراهين —

فكانت تأكل من طعامه وتشرب من كأسه وتنام في حجره ونزل بالغني ضيف فلم يأخذ من بقره وغنمه شيئاً وأخذ رخلة الفقير فهيأها لضيفه ، فغضب داود وقال أهل أن يموت ويغرم بتلك الرخلة سبعة أضعف فقال ناثان النبي لداود أنت الرجل الذي فعلت هذا إن الرب إلهك يقول لك أنا الذي جعلتك ملكاً على بني اسرائيل بعد أن كنت راعي غنم وانقذتك من يدي شاول وأعطيتك بيت اسرائيل وبيت يهوذا ففعلت هذا فلأنتقمن منك باشر ولدك ولأسلطنه عليك وعلى نسائك فعظم ذلك على داود فقال له ناثان إن الله قد تجاوز عن سبيلك فلن تموت ولكنه ينتقم منك بشر بنيك وأعلمه الله أن ولده الذي ولدته المرأة يموت فجزع داود واشتد جزعه واشتكى الصبي فلما اشتدت علته صام وقام ليصلي ويبكي ويتمرغ بالشعر على الأرض فلما توفي الصبي أعظم خول داود أن يخبروه بذلك حتى سمع بوشوشتهم فعلم فغسل وجهه ولبس ثيابه وجلس في مجلسه ودعا بطعامه وقال إنما كنت أحزن قبل أن يهلك فاما الساعة فان حزني لا يرده إلي بل أنا أذهب اليه ثم واقع برسبا فحملت غلاماً فسماه سليمان ثم إن ابيشالوم بن داود قتل أخاه امنون وذلك أنه اتهمه باخت له من أمه فقتله وخرج على داود وكان ابيشالوم عظيم الجسم كثير الشعر فبعث اليه داود من رده حتى رجع ثم خرج عليه ثانية فهرب منه داود ماشياً على رجليه حتى صعد عقبة طور سينا وبلغ منه الجوع حتى لحقه رجل معه خبز وزيت فأكل منه ودخل ابيشالوم مدينة أبيه وصار الى

— القطعية من وجوب عصمة الأنبياء (ع) فلا يعرض النبي المؤمن المجاهد للقتل لمحض أن ينكح امرأته ، ولا يفعل ما في صموئيل الثاني من الزنا بالمحصنة وهي امرأة أوريا وزوجها مجاهد ، ثم إنه لا يسترد المجاهد فيسكره ليضاجعها في سكره فيموه أمر الحمل من الزنا وإذ أعيت الحيل عرضه للقتل ، كل ذلك مما يربي بنفسه عنه الدنايا فضلاً عن الأنبياء عليهم السلام ، وكل ما ذكره المؤلف هنا مما لا يلائم الصحيح من تاريخ داود «ع» كأنه مأخوذ من العهد القديم المملوء من الخرافات . (م . ص)

داره وأخذ سراري أبيه فوطئهن وقال ملكني الله على بني اسرائيل وخرج ومعه اثنا عشر الفاً فطلب داود ليقتله فهرب داود حتى جاز نهر الأردن فلما جاز اجتمع اليه جماعة من أصحابه ولفيف من القرى فوجه يؤاب ولده ليحارب أبشالوم وقال له خذه لي حياً صحيحاً فخرجوا فحاربوه وكان أبشالوم على بغل فدخل تحت شجرة بطم فتعلق بها فاندقت عنقه ورماه يؤاب بثلاثة اسهم وطرحه في جب فلما أتى داود الخبر جزع عليه جزعاً شديداً ورجع داود إلى موضعه .

وخرج على داود بعد ذلك أزلا ومعه جبابرة فحاربهم فقتلهم فلما قتلهم وأنقذه الله منهم قام يقدس الله ويسبحه فقال في تقديسه إياك يا رب أعبد ولك أخلص محبتي فانك قوتي وعدتي وملجأي ومخلصي بعد أن أحاطت بي سكرات الموت وقربت مني واحتوت علي أحداث الملكة فدعوتك في ضيقي واستعنت بك يا إلهي فسمعت صوتي فاستنقذتني من الذين اعتوروني واضطهدوني وكنت ناصري فاخرجتني من الضيق الى الفرج فما أعدلك يا رب وأنصرك المتوكلين عليك لأنه لا رب غيرك فألهمني القوة وبصرني طريق الرشد وثبت قدمي بين يديك وشدد ساعدي ولا تقدر علي أعدائي وهب لي طاعة بني اسرائيل وصيرهم خولاً خاضعين وألهمني شكرك .

وكان داود إذا سبح الله بهذا الكلام رفع صوتاً حسناً لم يسمع مثله وكان إذا قرأ الزبور قال طوبى لرجل (..........) في سبيل الأثمة لم يسلك وفي مجالس المستهزئين لم يجلس ولكن هواه سنة الله وبسنته تعلم الليل والنهار يكون كشجرة غرست على شط الماء تؤتي أكلها كل حين ولا يتناثر ورقها وليس كذلك المنافقون في القضاء ولا الخاطئون في مجمع الأبرار من أجل أن الله يعلم سبيل الأبرار وسبيل الأثمة يبطل ، ثم يقول سبح الله من في السماء وليسبحه من في العلى ولتسبحه ملائكته كلها ولتسبحه جنوده كلها ولتسبح له الشمس والقمر ولتسبح له الكواكب والنور وليسبح لاسم ربنا الماء الذي فوق السماء وذلك بانه قال لكل شيء كن فكان وهو خلق كل شيء

وبرأه وجعلهن دائمات الأبد وقدّر كل شيء منهن تقديراً وجعل لهن حداً ومنتهى لا يجاوزنه فليسبح الله من في الأرض والنار والبرد والثلج والجليدفانه خلق الريح العاصف بكلمته ، سبحوا الله تسبيحاً حديثاً في مسجد الصديقين وليفرح اسرائيل بخالقه وإن بني صيون يكبرون ربكم ويسبحون اسمه بالدف والطبل والكبر ، يكبرونه من أجل أن يسر الله بشريعته ويعطي المساكين النصر ليشيد الصديقون بالكرامة ويسبحون على أسرتهم ويكبرون الله على حناجرهم وسيف ذو شفرتين بأيديهم لينتصروا الشعوب ويتعظ الأمم فيوثقوا ملوكهم في القيود وذوي الكرامة بسلاسل من حديد ، ليفعل بهم القضاء الذي كتب والحمد لله لكل الصديقين سبحوه في مقدسه سبحوه في سماء عزته سبحوه بحوله وقوته سبحوه بعظمته سبحوه بصوت العزف سبحوه بالقيتارة والكبر (١) سبحوه بالبرابط والزمر سبحوه بالأوتار والكبر الطويل الحامات سبحوه في صلاصل السمع سبحوه بالأصوات العلى والندا سبحوا ربنا تسبيحاً خالصاً كل نفس بنفس ، ثم يقول داود في آخر الزبور إني كنت آخر إخوتي وعبد بيت أبي وكنت راعي غنم أبي ويدي تعمل الكبر وأصابعي تقص المزامير فمن ذا الذي حدث ربي عني هو ربي وهو الذي سمع مني وأرسل إلي ملائكته فانزعني من غنم إخوتي هم أكبر مني وأحسن فلم يرضهم ربي فبعثني للقاء جنود جالوت فلما رأيته يعبد أصنامه أعطاني النصر عليه فاخذت سيفه فقطعت رأسه .

ثم إن بني اسرائيل وقعوا في داود فاشتد غضب الله عليهم فأمر الله داود أن يحصي عدد بني اسرائيل فأحصاهم فوجدهم ثمان مائة الف رجل بطل وعدد بني يهوذا خمسمائة الف رجل فبعث الله حيرام النبي إلى داود وقال له قل لداود اختر واحدة من

(١) القيتارة بكسر القاف وسكون الياء ثم التاء المثناة وتقال بالثاء المثلثة ايضاً آلة للطرب ذات أوتار والكلمة من الدخيل ، والكبر بفتحتين الطبل أو الطبل ذو الرأسين أو الطبل الذي له وجه واحد ، والبرابط جمع بربط هو العود والمزهر . (م . ص)

ثلاث إما أن يكون جوع سبع سنين وإما أن تدفع إلى اعدائك فيعزونك ثلاثة أشهر ويطرحونك من سلطانك وإما أن يكون موت شديد ثلاثة أيام فضاق داود لذلك وقال ربنا أولى بنا من خلقه فسلط الله عليهم الموت فمات في ساعة واحدة سبعون الف رجل فقال داود يارب إني أنا أسأت فما ذنب هؤلاء الذين يشبهون البهائم فأوحى الله اليه أن ابن لي هيكلاً في بيدر اليبوساني فصعد داود الجبل حتى اشترى البيدر بخمسين أستاراً وابتنى هناك مذبحاً فكف الموت عن بني اسرائيل ، وكان داود قد أسن وضعف بدنه وكان له ابن يقال له ادونياس فاستمال يؤاب صاحب حروب داود وقوماً من قواد داود وقال لهم قد كبر الملك داود وأنا أولى أن أقوم مقامه فلما بلغ داود ذلك أرسل الى سادوق (١) الكاهن وناتان النبي فقال لهم اجمعوا أهل المملكة واحملوا سليمان ابنى على بغلتي وأجلسوه على منبري فقد جعله الله رأساً على بني اسرائيل والله يعظم ملكه ويرفع شأنه فمضوا مع سليمان حتى علا منبر داود واجتمع عليه أهل المملكة فقال داود هكذا أعطني الله أن يملك سليمان ابني وعيناي تنظر اليه ، وكان سليمان يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة ثم اشتدت على داود علته فاوصى سليمان وقال أنا مض في سبيل كل أهل الأرض لا تتقن (٢) فاعمل بوصايا الرب إلهك واحفظ مواثيقه وعهوده ووصاياه التي في التوراة المنزلة على موسى بن عمران ، ومات داود وله مائة وعشرون سنة وكان ملكه اربعين سنة .

سليمان بن داود

ولما قبض الله عز وجل داود قام مكانه سليمان نبياً وملكاً فسخر الله له الجن والانس والريح والسحب والطير والسباع وآتاه ملكاً عظيماً كما قص في كتابه العزيز ، ومال يؤاب صاحب حروب داود وقوم من أصحابه مع اخوة سليمان ليفسدوا

(١) وقيل عالي ، والكاهن في لغتهم كوهن ومعناه العالم الامام وكان هذا الكاهن رجلاً صالحا (كذا في هامش الأصل) (٢) لا تتقن أي لا تحذر ولا تتق (م)

على سليمان ملكه فقتلهم سليمان من عند آخرهم وقتل أدونياس أخاه فصلح الملك لسليمان وثبت سلطانه وتزوّج بنت فرعون ملك مصر ودخل بها في بيت داود وجمع سليمان بني اسرائيل ليقرب قربانا فقرّب الف ذبيحة فرأى سليمان في ليلة كأن الرب يقول له سل ما أحببت لأعطيك فقال سليمان أنت يا رب أنعمت على داود النعمة العظيمة وصيرت عبدك سليمان ملكاً بعده فأعطني قلباً حكيما لأحكم بالعدل وأفهم الخير والشر فقال الله لأنك طلبت هذا الأمر ولم تطلب مالاً ولم تطلب أنفس أعدائك ولم تطلب طول العمر لكنك طلبت حكمة تفهم بها الحكم والقضاء فقد استجبت لك وأعطيتك قلباً فهيماً بصيراً الى الأمر الذي لم يكن لأحد قبلك ولا يكون بعدك مثلك وأعطيتك مالم تطلب من الأموال والعتاق والكرامة وأنت إن سلكت في طريقي وحفظت شرائعي ووصاياي كما حفظ داود أبوك أطيل عمرك وأعظم أمرك ، فكان سليمان يجلس للقضاء ويحكم بين بني إسرائيل فيعجبون لحكمه وعدل قضائه وقوله وحسن لفظه ، وكان لسليمان قواد ووزراء وكتاب ووكلاء فكان وزيره زابود بن ناثان وعلى حروبه بنايا بن يو يادع وخازنه أيبشار وعلى الخراج ادونيرام بن عبدا ، وكان له اثنا عشر وكيلا على نفقاته يقوم كل وكيل بنفقة شهر ، وكانت نفقاته على أسباط بني اسرائيل ، وكانت وظيفته كل يوم ثلاثين كراً من الدقيق السميد وستين كراً من دقيق الخشكار وعشرة ثيران معلوفة وعشرين ثوراً ومائة كبش ، وكان له أربعون الف آري (١) معلق عليها دوابه وكان معجباً بالخيل ، وقد قصّ الله من خبره فيها ما قص .

وابتدأ سليمان في بناء بيت المقدس وقال إن الله أمر أبي داود أن يبني بيتاً وإن داود شغل بالحروب فأوحى الله اليه أن ابنك سليمان يبني البيت باسمي فأرسل سليمان

---

(١) الآري بالمد وتشديد الياء وقد يخفف عود يعرض في حائط او في حبل يدفن طرفاه في الأرض ويبرز طرفه كالحلقة تشد فيه الدابة ويسمى الآخية ايضا (م ص)

في عمل خشب صنوبر وخشب السرو ثم بنى بيت المقدس بالحجارة فاحكمه ولبسه الخشب من داخل وجعل الخشب منقوشاً وجعل له هيكلا مذهباً وفيه آلة الذهب ثم أصعد تابوت السكينة فجعله في الهيكل وكان في التابوت اللوحان اللذان وضعهما موسى ولما وضع سليمان تابوت السكينة قام بين يدي الهيكل وقد اجتمعت جموع بني اسرائيل فسبح الله وقدسه وأثنى عليه بآلائه إذ ملكه على بني اسرائيل وأجرى بناء بيت المقدس على يده . وكان يجتمع اليه بنو اسرائيل ويقول تبارك وتعالى الرب الذى وهب الراحة لاسرائيل وتمت كلمته الصالحة فلم يسقط شيء منها مما قاله لعبده موسى ونسأل الله ربنا أن يكون معنا كما كان مع آبائنا ولا يرفضنا ولا يخذلنا يقبل بقلوبنا اليه لنسلك الطريق التي يرضاها ونحفظ سننه وعهوده ووصاياه وأحكامه التي أمر آباءنا بها ويجعل قولنا قرباناً منه ورضيّ عنده وقلوبنا سليمة له حافظة لأمره .

ولما فرغ سليمان من بيت المقدس عمل عيدا وقرّب فيه الذبائح فاقام أربعة عشر يوما يفعل ذلك وقد جمع اليه بني اسرائيل فلما فرغ من طعامهم قام فقدس الله وسبحه فلما فرغ أوحى الله اليه أني قد سمعت صلاتك ورأيت قربانك فان دمت على طاعتي وصلت لك ملكك ولولدك بعدك فلست معدماً ثباتك آخر الدهر وإن حدتم عن أمري او نقض أحد منكم عهودي سوف املكه وجعلت هذا البيت الى آخر الابد ،

وقدمت بلقيس ملكة سبا على سليمان وكان من أمرها ما قد قصه الله في كتابه العزيز، ولما قدمت عليه جاءته بجمال موقرة ذهباً وعنبراً وقالت له لقد بلغني من أمرك ما لم أصدق به حتى رأيته، ثم انصرفت الى بلدها ، وكان سليمان معجباً بالنساء فتزوّج فيما يقال سبع مائة امرأة فيهن بنت فرعون ملك مصر وعدة من نساء بني عمون وعدة من نساء أهل مؤاب جبابرة الشام ومن آدوم ومن الحثانيين وهم الصيدانيون ومن الشعوب التي قد كان الله نهى عن مخالطتهم وكان له سبعمائة فاتخذت امرأة من نساء سليمان تمثالا على صورة أبيها فلما رأى غيرها من نسائه فعلن كفعلها فعاتب الله سليمان

وقال له تعبد الأصنام في بيتك ولا تغضبك لأسلبنك ملكك ولأنزعن العز من يدك ولأفرقن الأسباط من ولدك ولكني أحفظ أباك داود فيك فلا أسلبك الملك بقية عمرك ولا أسلب جميع الأسباط ولكني أدع في يدك سبطين لئلا يذهب ذكرك ، وإن سليمان لجالس على كرسيه المعمول من الذهب المكلل بالجوهر إذ انتزع خاتمه من يده فأخذه شيطان من الشياطين فوضعه في يده ونحى سليمان عن كرسيه وجلس عليه الشيطان ونزع ثياب سليمان ولبسها فمر سليمان على وجهه عليه جبة صوف وفي يده قصبة فكان يستطعم ويقول أنا ملك بني اسرائيل سلبني الله ملكي فيسخر منه من يسمعه وينكرون قوله فكان يقف على الصيادين الذين على البحر فيطلب منهم ما يطعمونه ، وأنكر آصف صاحب سليمان وغيره أمر ذلك الشيطان ولم يروه يذكر الله فهرب الشيطان وطرح الخاتم في البحر وأقام سليمان مسلوب الملك أربعين يوماً فانه بعد أن كملت له الأربعون يمشي على شط البحر حائراً إذ قال له بعض الصيادين تعال يا مجنون فخذ هذا الحوت فأعطاه حوتاً قد تغيرت رائحته فصار به الى البحر فغسله وشق بطنه وإذا في داخله حوت آخر فشق بطن الحوت الآخر فاذا خاتمه في جوفه فلبسه وحمد الله ورد الله عليه ملكه وأقام ملكاً على بني اسرائيل على ما وصف الله جل وعز من ملكه وتسخيره له الطير والجن والانس يعملون له أعاجيب الصنعة ويشيدون له البنيان ويطيعونه في كل أمره أربعين سنة ، ثم توفي ودفن الى جانب قبر داود ، وكان لسليمان يوم ملك اثنتا عشرة سنة فمات وله اثنتان وخمسون سنة .

رحبعم بن سليمان والملوك بعده

ولما مات سليمان بن داود ملك رحبعم بن سليمان فاجتمع اليه أسباط بنى إسرائيل وقالوا له إن أباك قد كان غلظ علينا واستعبدنا استعباداً شديداً فخفف انت الآن عنا فقال لهم رحبعم انصرفوا عنى اليوم وجيئوني بعد ثلاثة أيام فانصرفوا عنه فاستشار المشيخة من أصحاب أبيه فقال ما ترون قالوا نرى أن تحسن إجابة بني اسرائيل وتلين

لهم القول حتى تملكهم بعد اليوم فترك قول مشيخة بني اسرائيل واستشار أحداثاً نشوا معه فقالوا له نرى أن تغلظ القول لهم ليستقيم لك أمرهم كما استقام لأبيك فلما كان اليوم الثالث اجتمعوا اليه ليسألوه عما ذكروا له فقال لهم إن خنصري أثقل من إبهام أبي فلما قال لهم هذا انصرفوا عنه وتفرقوا في قراهم فلم يبق معه من أسباط بني اسرائيل إلا سبط يهوذا وسبط بنيامين ، وملكت الأسباط العشرة عليهم يوربعم بن ناباط وكان قد هرب من سليمان الى مصر فلما اختلفت بنو اسرائيل على رحبعم بن سليمان قدم ، وجمع رحبعم بن سليمان من سبط يهوذا وسبط بنيامين الف رجل يطلب محاربة يوربعم بن نابا ط ومن معه وأوحى الله الى سمعيا النبي أن قل لرحبعم ومن معه لا تحاربوا بني اسرائيل فسمعوا قوله وانصرفوا ، وكان ملك رحبعم سبع عشرة سنة وملك يوربعم ابن نبط على العشرة الأسباط من جبل فاران فقالت بنو اسرائيل إنا نريد أن نقرب قرابيننا الى الله فكره يوربعم أن يصعدوا الى بيت المقدس فيستميلهم آل يهوذا فيدخلوا في ملكهم فقال ليست بكم حاجة الى الصعود وأنا أعمل لكم مذبحاً فعمل لهم مذبحاً وصير فيه عجلاً من ذهب وقال هذه آلهتكم التي اصعدتكم من أرض مصر واتخذ للعجل أحباراً وعمل عيداً وقرب الذبائح للعجل فأتاه نبي بني اسرائيل فوعظه فمد يده اليه فيبست فقال له ادع الله أن يرد يدي فدعا له النبي فرجعت يد يوربعم ، وأقام يوربعم على طريقه لم يرجع عنها وأهلك الله يوربعم وكل من كان معه وقتله ودمر عليه ، وكان ملكه عشرين سنة .

ثم ملك ﴿ أبيام ﴾ بن رحبعم فسلك سبيل أبيه وأظهر الفواحش وارتكب القبيح فبتر الله عمره ، وكان ملكه ثلاث سنين .

ثم ملك ﴿ أسا ﴾ فاظهر العمل بطاعة الله تعالى ومنع الزنا وعاقب عليه وعلى الريب وأخرج من كان يعبد الأصنام من مملكته حتى طرد أمه لما بلغه أنها تعبد الأصنام ، وفي زمانه سار زارح ملك الحبشة وأقبل ملك الهند الى بيت المقدس

فبعث الله عذاباً فاهلك زارح وملك الهند ، وكان ملك أسا أربعين سنة ، ويقال إن بنى اسرائيل أوقدوا من خشب أسلحة اصحاب الهند لما قتلهم أسا سبع سنين .

ثم ملك بعده ابنه ﴿ يهوشافط ﴾ فسلك سبيل أبيه وكان ناسكاً صديقاً فملك العشرة أسباط وكان مرضياً في جميع بني إسرائيل ، وكان ملكه خمساً وعشرين سنة .

ثم ملك بعده ﴿ يورام ﴾ ابنه فكفر ورجع قومه إلى عبادة الأصنام وتزوج امرأة أطغته وأضلته ، وكان ملكه أربعين سنة .

ثم ملك ﴿ احزيا ﴾ بعد أبيه فسلك سبيله وكان العشرة الأسباط قد اعتزلت وملكت منهم ملكاً يقال له « يهو » فحارب احزيا حتى قتل من قومه مقتلة عظيمة ثم سلط الله عليهم ملك سورية ففعل بهم مثل ذلك ، وكان ملك احزيا سنة واحدة .

ثم ملكت ﴿ عتلايا ﴾ بنت عمرى فقتلت ولد داود حتى لم يبق من نسل داود أحد إلا غلام يقال له « يواش » وأخذته امرأة من بني عمه يقال لها « يوشبع » عمته وكان يرضع وأفسدت عتلايا وأظهرت الفواحش وأفسدت البلاد واجتمعت بنو اسرائيل الى يويدع الأحباري فشتكوا اليه الذي تفعل بهم فاجتمعوا فقتلوها وكان ملكها سبع سنين .

وملك بعد عتلايا الغلام الذي كان بقي من بني داود وهو ﴿ يواش ﴾ وكان يوم ملك له سبع سنين فصلحت أمور بنى اسرائيل وظهر فيهم العدل وارتفعت الفواحش وتركوا عبادة الأصنام ثم ظلم في آخر عمره واستعمل القتل حتى قتل أولاد الأحبار وقتل ولد يويدع الأحباري الذي ملكه ثم مات ، وكان ملكه أربعين سنة وهدم من سور بيت المقدس أربعين ذراعاً وانتهب كل ما كان فيها .

ثم ملك بعده ﴿ امصيا ﴾ وكان يشبه مذهب يواش في اول أمره ثم ظلم وجار وكان ملكه سبعاً وعشرين سنة .

ثم ملك ﴿ عزيا ﴾ بن امصيا وكان في زمانه أشعيا النبي فاحسن عبادة الله

والعمل بطاعته غير أنه أخذ المجمر ودخل الهيكل ولم يكن ذلك يصلح لأحد إلا للأحبار فعاقبه الله فبرص وعاقب اشعيا النبي لأنه لم ينهه عن ذلك فنزع الله منه النبوة حتى مات عزيا ، و كان ملكه اثنتين وخمسين سنة .

ثم ملك ﴿ يوتام ﴾ لما برص أبوه و كان ملكه ست عشرة سنة .

ثم ملك ﴿ احاز ﴾ ابنه فكفر فعبد الأصنام فسلط الله عليه بلعقس (تعلتفلس) ملك بابل فسباه واستعبده وضرب عليه الجزية وأخرب مدينة العشرة الأسباط بفلسطين وهي سبسطية وسبى أهلها فدحل بهم الى ارض بابل ، ثم أرسل الى المدينة قوماً من قبله فعمروها وبنوها فهم الذين يدعون السامرة بفلسطين والأردن فلما سكنوها سلط الله عليهم الأسد ثم بعث اليهم رجلاً من أحبار بنى اسرائيل من ولد هارون يعلمهم دين بنى اسرائيل فلما دخلوا في دينهم تركهم الأسد وصاروا سامرة فقالوا لا نؤمن بنبي إلا بموسى ولا نعرف إلا ما في التوراة وجحدوا نبوة داود وأنكروا البعث والنشور وامتنعوا من مجالسة الناس والاختلاط بهم ومن تناول شيء منهم ومن حمل الموتى ومن حمل ميتاً اعتزل سبعة أيام يعتزل في الصحراء لا يختلط بهم ثم يغتسل و كذلك من تناول شيئاً لا يحل له ولا يأوون الحائض منازلهم وجعلوا رئيسهم من ولد هارون يسمونه الرئيس ، ويتوارثون على التوراة فليس هم في بقعة من بقاع الأرض إلا بجند فلسطين ، و كان ملك احاز ست عشرة سنة .

ثم ملك بعد احاز ﴿ حزقيل ﴾ ابنه فاحسن عبادة الله تعالى و كسر الأصنام وهدم بيوتها ، و كان في زمانه سنحاريب بن سراطم ملك بابل فسار الى بيت المقدس فسبى بقية الأسباط فرشاه حزقيل بثلثمائة قنطار فضة وثلاثين قنطار ذهب على أن ينصرف فاخذها ثم غدر فلما فعل ذلك دعا الله اشعيا النبي وحزقيل على سنحاريب فاجاب الله دعاءهما فسلط الله على اصحاب سنحاريب القتل فقتل منهم في ساعة واحدة مائة الف وخمسة وثمانين الفاً فرجع سنحاريب مهزوماً حتى صار الى بابل وقتله ولده شرقتلة ،

وأمر الله سبحانه اشعيا النبي أن يعلم حزقيل أنه ميت فليوص فلما أعلمه الله ذلك دعا الله أن يزيد في حياته حتى يهب له ولداً يملك بعده فزاد الله في حياته خمس عشرة سنة حتى ولد له ولد ، وفي أيام حزقيل رجعت الشمس نحو مطلعها خمس درجات ، وكان ملك حزقيل سبعاً وعشرين سنة .

ثم ملك بعد حزقيل ﴿ منشا ﴾ بن حزقيل فكفرت بنو اسرائيل في أيامه وكفر وعبد الأصنام وكان أشر ملك في بني اسرائيل وبنى للأصنام مسجداً واتخذ صنماً له أربعة أوجه (١) فنهاه اشعيا فامر به فنشر بالمنشار من رأسه الى رجليه فسلط الله على منشا قسطنطين ملك الروم فحاربه وأسره فاقام في الأسر زماناً ثم تاب الى ربه فرده الله الى ملكه فكسر الصنم وهدم بيوت الأصنام ، وكان ملكه خمساً وخمسين سنة وأيام أسره عشرين سنة .

ثم ملك ﴿ أمون ﴾ بن منشا فاعاد الأصنام حتى كثرت وكان ملكه ست عشرة سنة .

ثم ملك بعده ﴿ يوشيا ﴾ ابنه فاحسن عبادة الله وكسر الأصنام وهدم بيوتها وقتل سدنتها وأحرقهم وكان في العدل وحسن عبادة الله تعالى وجميل مذهبه يشبه داود وسليمان ، وكان ملكه ثلاثين سنة .

ثم ملك ﴿ يهواخز ﴾ ابنه ثلاثة اشهر ثم أسره فرعون الأعرج ملك مصر ووضع على بلاده الخراج وصير عليها ملكاً من قبله وأخذ يهواخز فذهب به الى مصر فمات هناك .

ثم ملك بعده (يو يقيم) أخوه وهو أبو دانيال النبي ، وفي عصره سار بخت نصر ملك بابل إلى بيت المقدس فقتل في بني اسرائيل وسباهم وحملهم الى ارض بابل

---

(١) وبنى مذبحاً لباعل وسجد للكواكب وكل قوات السماء وأجاز ابنه في النار وكتب عقوداً ورباطات . (عن هامش الأصل)

ثم صار الى أرض مصر فقتل فرعون الأعرج ملكها ، وأخذ بخت نصر التوراة وما كان في الهيكل من كتب الأنبياء فصيرها في بئر وطرح عليها النار وكبسها ، وكان في ذلك العصر ارميا النبي فلما علم بقدوم بخت نصر أخذ تابوت السكينة فخبأه في مغارة حيث لم يعلم به أحد ولم ينج من بخت نصر إلا ارميا ، وكان عدة من حمل بخت نصر الى أرض بابل ثمانية عشر الفاً فيهم الف نبي وملكهم يخنيا بن يهو ياقيم فمنهم اليهود الذين بالعراق ﴿ ويقال ﴾ إن أرميا النبي قال اللهم إني لأعلم من عدلك مالا يعلمه غيري فعلام سلطت بخت نصر على بني اسرائيل فاوحى الله اليه إني إنما أنتقم من عبادي إذا عصوني بشرار خلقي ، ولم يزل بنو اسرائيل في الأسر تحت يد بخت نصر حتى تزوج امرأة منهم يقال لها « سيحب » بنت سلتايل فسألته ان يرد قومها إلى بلدهم فلما رجع بنو اسرائيل إلى بلدهم ملكوا عليهم « زربابل » بن سلتائيل فبنى مدينة بيت المقدس وبنى الهيكل وأقام على بنائه ستاً واربعين سنة وفي زمانه مسخ الله بخت نصر بهيمة أنثى فلم يزل ينتقل في أجناس البهائم سبع سنين ، ثم يقال إنه تاب الى الله عز وجل فاحياه بشراً ثم مات ، وكان زربابل الذي أخرج التوراة وكتب الأنبياء من البئر التي دفنها فيها بخت نصر فوجدها بحالها لم تحترق فاعاد نسخ التوراة وكتب الأنبياء وسننهم وشرائعهم وكان أول من رسم هذه الكتب .

وكان شريعة بني اسرائيل توحيد الله والاقرار بنبوة موسى وهارون ابني عمران ابن قهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الله ، وكان صيامهم في كل سنة ستة أيام أولها في رأس السنة وهم يعدون رأس السنة أول يوم من تشرين فاذا مضى من تشرين عشرة أيام صاموا يوماً واحداً وهو اليوم الذي نزلت فيه الألواح الثانية على موسى بن عمران ، ويصومون لعشر خلون من كانون الآخر يوماً وهو يوم نجى الله بني اسرائيل من هامان ، ويصومون لسبعة عشر يوماً من تموز يوماً واحداً وهو اليوم الذي نزل فيه موسى من الطور ، ويصومون لتسعة ايام من آب يوماً واحداً

وهواليوم الذي كان فيه خراب بيت المقدس ، ويصومون لثلاثة أيام من تشرين وهو الذي قتل فيه قدريا بن اخيقام ، ولهم اربعة أعياد في السنة ، عيد الفطير وهواليوم الذي خرج فيه موسى ببني اسرائيل من مصر فحملوا عجينهم ولم يختمر فاكلوه فطيراً وهو لخمسة عشر يوماً من نيسان وأيامه سبعة أيام ، ثم عيد لستة عشر يوماً يمضي من حزيران وهو يوم أنزلت فيه التوراة على موسى فذلك يوم عيد عندهم معظم ، ثم عيد أول يوم من تشرين وهو رأس السنة عندهم ، ثم عيد في خمسة عشر يوماً من تشرين وهو عيد المظلة ومعناها أن الله عز وجل أمر موسى أن يأمر بني اسرائيل أن يبنوا عريشاً بالسعف والجريد فهم يقيمون ثمانية أيام يتخذون في كنائسهم ظلالات من السعف والجريد وصلواتهم ثلاث صلوات صلاة بالغداة وصلاة عند غروب الشمس وصلاة بعد الغروب فاذا وقف أحدهم للصلاة جمع عقبيه وجعل يده اليمنى على كتفه الأيسر ويده اليسرى على كتفه الأيمن وهو مطرق يركع خمس ركعات لا يسجد فيهن ثم يسجد في الآخرة سجدة واحدة ويسبح بمزامير داود في أول الصلوات ويقرأ في صلاة المغيب من التوراة ، ومعتمدهم في سننهم وشرائعهم على كتب علمائهم وهي الكتب التي يقال لها (.....) بالعبرانية وهي اللغة التي صارت لهم لما عبروا البحر ، وهذا رسم الخط العبراني وهو سبعة وعشرون حرفاً (١)

وسننهم في مناكحهم أن لا يتزوجوا إلا بولي وشاهدين ، وأقل مهورهم للبكر مائتا درهم وللثيب مائة درهم بهذا الوزن لا يكون أقل منه ، والطلاق مباح متى كرهوا ولا يكون إلا بشهود ، وسننهم في ذبائحهم أن لا يأكلوا ما ذبحه غيرهم ، وأن يكون الذي يتولى الذبائح عالماً بالشرايع ثم يأتي بالسكين كلما أراد أن يذبح بها إلى الكاهن فاذا رضي حدها أطلق له الذبح بها وإلا أمره أن يحدها او يأتي بغيرها فاذا ذبح لم يقربها من حائط تضطرب عليه فاذا فرغ منها نظر الى الحلقوم فان وجده

(١) كذا في الأصل ولم يوجد فيه رسم الخط العبراني . (م . ص)

لم يرع الغلصمة ووجد الذبح مستويًا لم يؤكل حتى ينظر إلى الرئة فان وجد بها عيبًا أو علة أو شقًا أو بثرة أو ورمًا لم تؤكل الذبيحة فان سلمت الرئة نظر الى الدماغ فان وجد فيه علة لم تؤكل وإن سلم الدماغ نظر الى القلب فان وجد فيه علة لم يأكله وإن سلم ما في البطون والثرب من الشحم فلا يأكله ولا العروق وأكل ما سوى ذلك .

وتاريخهم على حسابهم من خراب بيت المقدس فعلى هذا يحسبون ولا بدّ لهم في كل يوم أن يذكروا اليوم الذي خرب فيه بيت المقدس وكم له إلى يوم ذلك .

المسيح عيسى بن مريم

وكانت حنّة امرأة عمران قد نذرت إن وهب الله لها ولدًا أن تجعله لله فلما ولدت مريم دفعتها الى زكرياء بن برخيا بن شوا بن نحرائيل بن سهلون بن ارسوا بن شويل ابن نعود بن موسى بن عمران ، وكان كاهن المذبح فلم يزل كذلك حتى إذا كملت سبع عشرة سنة بعث الله اليها الملك ليهب لها ولدًا زكيًا فكان من خبرها ما قصه الله عز وجل حتى اشتملت على الحمل فلما كملت أيامها طرقها المخاض على ما قال الله عز وجل ووصف من حالها وحاله وكلامه من تحتها وكلامه في المهد ، وكان مولده بقرية يقال لها (بيت لحم) من قرى فلسطين ، وكان ذلك يوم الثلاثاء لأربع وعشرين يومًا خلت من كانون الأول * قال ما شاء الله المنجم * كان الطالع للسنة التي ولد فيها المسيح الميزان ثماني عشرة درجة ، والمشتري في السنبلة احدى وثلاثين دقيقة راجعًا ، وزحل في الجدي ست عشرة درجة وثماني وعشرين دقيقة ، والشمس في الحمل دقيقة والزهرة في الثور أربع عشرة درجة ، والمريخ في الجوزاء احدى وعشرين درجة وأربعًا واربعين دقيقة ، وعطارد في الحمل أربع درجات وسبع عشرة دقيقة ، وأما اصحاب الانجيل فلا يقولون إنه تكلم في المهد ويقولون إن مريم كانت مسماة برجل يقال له يوسف من ولد داود وأنها حملت فلما قرب وضع حملها سار بها الى بيت لحم فلما ولدت ردها الى ناصرة من جبل الجليل فلما كان في اليوم الثامن ختنه على سنة موسى

ابن عمران ، وقد وصف الحواريون أخبار المسيح وذكروا حاله فابتنا مقالة واحد واحد منهم وما وصفوه به ، وكان الحواريون إثني عشر من أسباط يعقوب ، وهم شمعون بن كنعان من سبط (..........) ويعقوب بن زبدي (.......) ويحي بن حابر بن فالى من سبط زبلون ، وفيلفوس من سبط أشر ، ومتى من سبط اشجر بن يعقوب ، وشمعى من سبط هرام بن يعقوب ، ويهودا من سبط يهوذا بن يعقوب ، ويعقوب من سبط يوسف بن يعقوب ، ومنسا من سبط رو بيل بن يعقوب وكان دون هؤلاء سبعون رجلاً ، وكان الأربعة الذين كتبوا الانجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا إثنان من هؤلاء الاثني عشر واثنان من غيرهم .

انجيل متى

فأما متى فانه قال في الانجيل في نسب المسيح ايسوع بن داود بن ابراهيم الى اسفل حتى انتهى الى يوسف بن يعقوب بن مائن بعد اثنين واربعين اباً ، ثم قال وكان يوسف بعل مريم ، وإن المسيح ولد في بيت لحم من قرى فلسطين وملك فلسطين يومئذ هيرودس ، وإن قوماً من المجوس ساروا الى بيت لحم وعلى رؤوسهم نجم يهتدون به حتى رأوه فسجدوا له ، وإن هيرودس ملك فلسطين أراد أن يقتل المسيح ، وإن يوسف أخرجه وأخرج أمه إلى أرض مصر فلما مات هيرودس رده فانزله ناصرة جبل الجليل ، وإنه لما كمل المسيح وبلغ تسعاً وعشرين سنة صار الى يحي بن زكرياء ليصطنعه فقال يحي بن زكرياء أنا أحوج اليك منك إلي فقال له المسيح اترك هذا القول فان هكذا ينبغي أن يتم البر فتركه يحي ، وإن ايسوع خرج بتأبيد روح الله الى البرية فصام أربعين يوماً فاقترب اليه الشيطان فقال إن كنت الآن ابن الله فمر هذه الحجارة تصير خبزاً ، فقال ايسوع إنه ليس بالخبز وحده يحي البشر ولكن بكلمة الله فحمله فصيره على جناح الهيكل ثم قال له الشيطان فألق نفسك الى الأرض فانك إن كنت ابن الله تكنفته ملائكته ، فقال المسيح إنه مكتوب لا تجرب الله

بك ، ثم قال للشيطان إذهب فان لله أسجد وإياه أعبد فتركه الشيطان وذهب ، ثم إن ملائكة الله جل وعز اقتربت منه فجعلوا يخدمونه ثم إن تلامذته اقتربوا اليه فجعل يكلمهم بامثال ووحي وبغير أمثال ، وكان أول ما تكلم به من الانجيل على مافي انجيل متى : طوبى للمساكين القانعة قلوبهم بما عند ربهم بحق إن لهم ملكوت السماء طوبى للجياع العطاش في طاعة الله ، طوبى للصادقين في قولهم التاركين للكذب الذين هم ملح الأرض ونور العالم ، لا تقتلوا ولا تسخطوا أحداً وأرضوا من سخط عليكم وصالحوا خصمكم ، ولا تزنوا ولا تنظروا الى غير نسائكم فان كانت عينكم اليمنى تدعوكم الى الخيانة فاقلعوها حتى تنجوا بابدانكم ، ولا تطلقوا نساءكم من غير زنية ولا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين ولا بسمائه ولا بأرضه ، ولا تقاوموا الشر ولكن من لطمك على عارضك الأيمن فأقبل اليه بعارضك الأيسر ومن أراد أن ينزع قميصك فأعطه ايضاً رداءك ومن سخرك ميلاً فانطلق معه ميلين ومن سألك فأعطه ومن استقرضك فأقرضه ولا تحرمه ، قد سمعتم أنه قد قيل أحبب قريبك وأبغض عدوك أما أنا فاني أقول لكم أحبوا أعداءكم وصلوا من قطعكم وافعلوا الخير الى من بغضكم ، إن كنتم تحبون الذين يحبونكم فأي أجر لكم ، لا تظهروا صدقاتكم بين أيدي البشر لا تعلم شمائلكم بما عملت أيمانكم ، لا تراؤون الناس بصلاتكم وإذا صليتم فادخلوا بيوتكم وأغلقوا أبوابكم ولا يسمعكم أحد ، وإذا صليتم فقولوا أبانا الذي في السماوات يقدس اسمك وتأتي ملكوتك تكون مشيئتك كما في السماء وعلى الأرض ، خبزنا كفافنا أعطنا اليوم واترك لنا الذي علينا كمثل ما نترك نحن لغرمائنا ولا تدخلنا في تجربة يارب ولكن نجنا من الشرير ، ولا تظهروا صيامكم للبشر إذا صمتم لله ربكم ، ولا تغيروا وجوهكم ليراكم الناس فان ربكم يعلم بحالكم ، لا تدخروا الذخائر حيث السوس والأرضة الآكلة يفسدن وحيث اللصوص يحفرون ولكن تكون ذخائركم عند ربكم الذي في السماء حيث لا سوس يعدو ولا لص يسرق ، ولا تهتموا

بعاشكم ولا ما تأكلون ولا ما تشربون ولا ما تلبسون ، وانظروا الى طير السماء لا يزرعن ولا يحصدن ولا يجمعن في البيوت فان الله يرزقهن وأنتم اكرم على الله من الطير ، لا تهتدوا لأولادكم فانهم مثلكم كما خلقتم خلقوا وكما رزقتم رزقوا ، ولا تقل لأخيك أخرج القذى من عينك وفي عينك انت جذع ، لا تنظروا في عيوب الناس وتدعوا عيوبكم ، لا تعطوا القدس ولا اللؤلؤ للخنازير فتدوسه بارجلها ، سلوا ربكم يعطكم وابتغوا اليه فانكم تجدونه رحيماً بكم واقرعوا بابه يفتح لكم ، أما الباب فانه معرض والطريق بين وهو يبلغ الناس التلف وما أصغر الباب وأضيق الطريق التي تبلغ الناس النجاة ، تحفظوا من أهل الكتاب الذين يشبهون الذئاب الضارية كما لا تستطيعون وتقطفون العنبة من الشوك ولا التين من الحنظل هكذا لاتجدون شجرة سوء تخرج نباتاً صالحاً ولا شجرة صالحة تخرج ثمرة سوء ، كل من يسمع كلامي ثم يفهمه فانه يشبه رجلاً حليماً بنى بيته في مكان صلب شديد فجاء المطر ودرت الأنهار وارتفعت الرياح . . . (١) . . . فسقط البيت .

وفي ذلك الزمان كان الملك هيرودس قد أخذ يوحنا فسجنه وذلك أنه كان يأتي امرأة أخيه فيلفوس فنهاه يوحنا أن يأتي ذلك وكان يريد أن يقتله ويتقي لأنهم كانوا يعظمون يوحنا فقالت له امرأة أخيه اقتل يوحنا فوجه الى السجن فقطع رأس يوحنا ووضعه على طبق واقترب تلاميذه وأخذوا جثته فقبروها وجاءوا المسيح فاخبروه فخرج الى أرض قفر وجعل بأمر أصحابه لا تخبروا أحداً .

(١) كذا بياض في الأصل ولا ريب أن هنا سقطاً ، وفي نسخة انجيل متى المطبوع بعد قوله وارتفعت الرياح (ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط لأنه كان مؤسساً على الصخر ، وكل من يسمع أقوالي هذه ولا يعمل بها يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيماً) (م . ص)

انجيل مرقس

فأما مرقس فانه قال في أول انجيله ايسوع المسيح ابن الله كما هو مكتوب في اشعيا النبي إني مرسل ملأكي قدام وجهك لأصاح سبيلك وإن يحي بن زكرياء كان يعمده المعمودية للتوبة . وكان لباسه وبر الابل وكان يشد حقويه بغرفة من جلود وإن المسيح جاءه من ناصرة الجليل يعمّده في الأردن فلما عمده خرجت روح القدس على الماء كالحمامة وصوت من السماء ينادي من السماء أنت ابني خليلي الذي بك سررت وانصرف الى جبل الجليل فاذا قوم يصطادون السمك فيهم شمعون واندراوس فقال لهما الحقاني أجعلكما تصطادان البشر فمضيا معه فدخل قرية فأبرى مرضاها وبرصها وفتح أعين عميان بها فاجتمع اليه قوم وجعل يكلمهم بأمثال ووحي ويقول بحق أقول لكم لا تذهب القبيلة حتى يذهب السماء والأرض وكلامي لا يذهب .

انجيل لوقا

فأما لوقا فانه يقول في أول الانجيل من أجل أن كثيراً من الناس أحبوا أن يكتبوا القصص والأمور التي عرفناها رأيته يحق علي أن اكتب شيئاً علمته بحقه . إنه كان في أيام هيرودس الملك كاهن يسمى زكرياء من خدام آل ايا وامرأته من بنات هارون تسمى « اليسبع » وكانا جميعاً بارّين قدام الله عاملين بوصاياه غير مقصرين في طاعته ولم يكن لهما ولد وكانت اليسبع عاقراً وزكرياء عاقراً قد كبرت سنهما فبينا زكرياء يكهن الدخنة فدخل الهيكل وجماعة خارج الهيكل فتراءى لزكرياء ملك الرب قائماً عن يمين المذبح فارتعد زكرياء حين أبصره وحلت عليه الخشية فقال له الملك لا ترهبن يا زكرياء فان الله قد سمع صلواتك وأجاب دعاءك فيهب لك ابناً تسميه يحي ويكون لك فيه الخير والفرح ويكون عظيماً عند الله ولا يشرب خمراً ولا سكراً ويمتلي من روح القدس إذ هو في بطن أمه ويقبل الى الله بكثير من آل اسرائيل ويحل عليه الروح الذي حل على أولياء النبي ليقبل بقلوب الآباء على أبنائهم ويكونوا لله شعباً كاملا .

فقال زكرياء للملك كيف لي أن أعلم هذا وأنا شيخ وامرأتي كبيرة السن ، فقال له الملك إني أنا جبريل القائم بين يدي الله عز وجل أرسلني لأبشرك بهذا فمن الآن فكن صامتاً لا تتكلم حتى اليوم الذي يكون فيه هذا لأنك لم تصدق ولم تؤمن بقولي الذي يتم في حينه ، وكان الشعب قياماً ينتظرون زكرياء ويتعجبون من لبثه في الهيكل فلما أن خرج لم يقدر أن يكلمهم فعرفوا وأيقنوا أنه قد رأى رؤيا في الهيكل فكان يؤمي اليهم إيماءً ولا يتكلم فلما تمت أيام خدمته انصرف الى بيته وحبلت « اليسبع » امرأته وأقامت تخفي نفسها أشهراً خمسة وتقول هذا الذي صنع الي الرب في أيام نظره إلي ليمحو عني عاري في البشر ، ولما كان في الشهر السادس من حمل امرأة زكرياء أرسل الله جبريل الملك الى جبل الجليل الى مدينة تدعى « ناصرة » الى فتاة عذراء مملكة برجل يسمى يوسف من آل داود إسمها « مريم » فدخل اليها الملك وقال لها السلام عليك أيتها المملوءة من النعمة أيتها المباركة في النساء فلما رأته فزعت من كلامه وجعلت تفكر وتقول ما هذا السلام وقال لها الملك لا ترهبي يامريم قد لاقيت ووافيت عند الله نعمة بحق إنك تقبلين حبلى وتلدين ابناً وسميه « ايسوع » ويكون عظيماً وابن الأعلى يدعى ويعطيه الرب آلهه كرسي داود أبيه ويملك على آل يعقوب إلى الدهر ولا يكون لملكه فناء ولا انقطاع ، فقالت مريم للملك كيف يكون هذا ولم يمسسني رجل قال لها الملك روح القدس يحل عليك وهذا الذي يولد منك قدوس وابن الله يدعى وهذه اليسبع نسيبتك فهي ايضاً حبلى بابن على كبرها وهذا الشهر هو السادس لتلك التي تدعى عاقراً لأنه لا يعجز الله شيء ، فقالت مريم إني أمة الله فليكن لي كما قلت ، ودخلت مريم إلى بيت زكريا وسألت عن سلامة اليسبع فلما سمعت امرأة زكرياء كلام مريم ارتكض الجنين في بطنها وامتلأت من روح القدس وقالت لمريم مباركة أنت في النساء بحق إنه لما وقع صوت سلامك في مسامعي بفرح عظيم ارتكض الجنين في بطني وولدت اليسبع امرأة زكرياء ابناً وختنوه يوم

الثامن وسموه « يوحنا » ومن ساعته انفتح فوه وتكلم وبرك الله تعالى وامتلأ زكرياء من روح القدس وقال تبارك الرب إله اسرائيل الذي أبلى شعبه وأطلقهم بالخلاص وأقام لنا قرن الخلاص من آل داود كالذي تكلم على ألسنة انبيائه الطاهرين ، ولما كملت لمريم أيامها صعد بها يوسف الى جبل الجليل فولدت ابنها البكر فلفته في الخرق وأضجعته في الأري من أجل أنه لم يكن لها مكان حيث كانا نازلين (........) (١) فاتاهم ملك الرب ومجد الله أشرق عليهم فخافوه خوفاً شديداً وقال لهم ملك الرب لا تخافوا ولا تحزنوا بحق إني أبشركم بفرح عظيم يعم العالم ، ثم نسب المسيح من يوسف الى آدم وأنه لما تمت له ثمانية أيام أتوا به ليختنوه كسنة موسى وسموه ايسوع وختنوه وأتوا به الى الهيكل وأتوا بذبيحة زوج يمام وفرخي حمام ليقرب عنه وكان هناك رجل يقال له شمعان من الأنبياء فلما دنوا من المذبح ليقربوا عنه احتمله شمعان وقال قد أبصرت عيناي حنانك يا رب فمن الآن فتوفني وكان اهله يصعدونه في كل سنة الى اور شلم في عيد الفسح وكان يخدم العظماء ويعجبون به لما يرون من حكمته ، وأن المسيح لما كملت له ثلاثون سنة دخل الى الهيكل يوم السبت وقام ليقرأ كعادته وأعطى سفر أشعيا النبي ففتح السفر فوجد فيه مكتوبا روح الرب علي من أجل ذلك اصطفاني ومسحني لأبشر المساكين وأرسلني لاشفي المنكسرة قلوبهم ولأبشر السبيين بالخلاص والعميان بالبصر وأن أجبر المنكسر وأبشر المسبي بالعفو والمغفرة وأن أبشر بالسنة المتقبلة للرب ، وطوى السفر ودفعه الى الخادم وتنحى فجلس فعجب الناس لفعله وقالوا أليس هذا ابن يوسف .

---

(١) كذا بياض في الأصل ، وفي نسخة لوقا المطبوع في الاصحاح الثاني العدد الثامن ذكر بعد ذلك مايلي (وكان في تلك الكورة — اي التي ولد فيها بكر مريم — رعاة مبتدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم واذا ملاك الرب) الخ . (م ص)

انجيل يوحنا

وأما يوحنا السليح فانه يقول في أول انجيله في نسبة المسيح قبل كل كانت الكلمة وتلك الكلمة عند الله والله كان هو الكلمة هذه كانت قبل كل شيء كان بها كانت الحياة والحياة هو نور البشر وذلك الضياء في الظلام والظلام لم يدركه كان إنسان كان أرسله الله اسمه « يوحنا » أتى للشهادة ليشهد على النور ليهتدي الناس ويؤمنوا على يده ولم يكن هو النور فان نور الحق لم يزل يضيء ويبين في العالم والعالم كان في يده والعالم لم يعرفه إلى خاصته أتى وخاصته لم تقبله فأما الذين قبلوه وآمنوا به فاعطاهم الله سلطاناً ليكونوا يدعون أبناء الله اولئك الذين يؤمنون باسمه الذي لامن الدم ولاهو من هوى اللحم ولا من شهوة المرء ولد ولكن من الله ولد والكلمة صارت لحماً وحلت فينا ورأينا مجدها مجداً كالوحيد الذي من الأب المملوء من النعمة والقسط ويوحنا شهد عليه ونادى وقال هذا قلت إنه يأتي من بعدي وقد كان قبلي من أجل أنه أقدم مني ومن تمامه كلما نلنا نعمة فاضلة بدل النعمة الأولى لأن التوراة على يد موسى أنزلت فاما الحق والنعمة فبـا يسوع المسيح ... (١) ... الكلمة التي لم تزل في حضن أبيها .

فهذا قول الأربعة التلاميذ أصحاب الانجيل في نسبة المسيح ، ثم وصفوا بعد ذلك ما كان من أخباره وأنه أبرى المرض والبرص وأقام المقعد وفتح عيون العميان وأنه كان له صاحب يقال له العازر في قرية تدعى بيت عينا في ناحية بيت المقدس وأنه مات فصير في مغارة فاقام أربعة أيام ثم جاء المسيح إلى تلك القرية فخرجت أختان للعازر فقالتا له يا سيدنا إن خليلك العازر قد مات فحزن المسيح عليه وقال أين قبره

(١) كذا بياض في الأصل ، وفي نسخة أنجيل يوحنا المطبوع في الاصحاح الأول العدد ١٧ و ١٨ بعد قوله الحق والنعمة (فبيسوع المسيح صارا : الله لم يره أحد قط . الابن الذي هو في حضن الآب خبر) (م . ص)

فاتوا به الى المغارة وعليها حجر فقال نحوا الحجر فقالوا قد نتن منذ أربعة أيام فدنا
من المغارة فقال رب لك الحمد إني أعلم أنك تعطي كل شيء ولكني أقول من أجل
الجماعة الواقفة ليؤمنوا ويصدقوا أنك انت أرسلتني ، ثم قال للعازر قم فقام يجر خماراً
عليه ويداه ورجلاه مشدودتان وقد كان معهم قوم من اليهود فآمنوا به وأقبلوا ينظرون
إلى العازر ويتعجبون منه فاجتمع عظماء اليهود وأحبارهم فقالوا إنا نخاف أن يفسد علينا
ديننا ويتبعه الناس فقال لهم قيافا رئيس الكهنة لأن يموت رجل واحد خير من أن
يذهب الشعب باسره فاجمعوا على قتله ودخل المسيح الى أورشلم على حمار وتلقاه
أصحابه بقلوب النخل وكان يهوذا بن شمعان من أصحاب المسيح فقال المسيح لأصحابه
إن بعضكم يسلمني ممن يأكل ويشرب معي يعني يهوذا بن شمعان ثم جعل يوصي اصحابه
ويقول لهم قد بلغت الساعة التي يتحول ابن البشر إلى ابيه وانا أذهب الى حيث لا
يمكنكم تجيئوا معي فاحفظوا وصيتي فسيأتيكم الفارقليط يكون معكم نبياً فاذا أتاكم
الفارقليط بروح الحق والصدق فهو الذي يشهد علي وإنما كلمتكم بهذا كيما تذكروه
إذا أتى حينه فاني قد قلته لكم فاما أنا فاني ذاهب إلى من أرسلني فاذا ما أتى روح
الحق يهديكم إلى الحق كله وينبئكم بالأمور البعيدة ويمدحني وعن قليل لا تروني
ثم رفع المسيح عينه إلى السماء وقال حضرت الساعة إني قد مجدتك في الأرض والعمل
الذي أمرتني أن أعمله فقد تممته ، ثم قال اللهم إن كان لا بد لي من شرب هذا
الكأس فهو نها علي وليس كما أريد يكون ولكن ما تريد يارب ثم مضى المسيح مع
تلاميذه الى المكان الذي يجتمع هو وأصحابه فيه وكان يهوذا أحد الحواريين يعرف
ذلك الموضع فلما رأى الشرط يطلبون المسيح ساقهم والذين معهم من رسل الكهنة حتى
وقف بهم على الموضع فخرج اليهم المسيح فقال لهم من تريدون فقالوا ايسوع الناصري
فقال لهم ايسوع انا هو فرجعوا ثم عادوا فقال لهم المسيح انا ايسوع الناصري فان
كنتم تريدوني فانطلقوا بي لتتم الكلمة وكان مع شمعان الصفا سيف فاخترطه ثم ضرب

عبد سيد الكهنة فقطع يده اليمنى فقال المسيح يا شمعان ردّ السيف الى غمده فاني لا أمتنع من شرب الكأس التي أعطاني ربي فاخذوا الشرط المسيح وأوثقوه وجاءوا به الى قيافا رئيس اليهود الذي كان أشار بقتله وكان شمعان الصفا يمشي خلفه فدخل مع الأعوان فقيل له انت من تلاميذ هذا الناصري قال لا ، ولما أدخل المسيح على رئيس اليهود جعل يكلمه والمسيح يجيبه بما لا يفهمه فضربه بعض الشرط على فكيه ثم أخرجوا المسيح من عند قيافا الى فرطورين فقال انت ملك اليهود فقال له المسيح أمن نفسك قلت هذا أم أخبرك آخرون عني وجعل يكلمه ويقول إن ملكي ليس من هذا العالم ، ثم إن الشرط أخذوا إكليلاً من ارجوان فوضعوه على رأسه وجعلوا يضربونه ثم أخرجوه وعليه ذلك الاكليل فقال له رؤساء الكهنة اصلبه فقال لهم فيلاطوس خذوه انتم فاصلبوه فاما أنا فلم أجد عليه علة فقالوا قد وجب عليه الصلب والقتل من أجل أنه قال إنه ابن الله ثم أخرجه فقال لهم خذوه انتم فاصلبوه فأخذوا المسيح وأخرجوه وحملوه الخشبة التي صلبوه عليها .

هذا في انجيل يوحنا فأما متى ومرقس ولوقا فيقولون وضعوا الخشبة التي صلب عليها المسيح على عنق رجل قرناني وصاروا به الى موضع يدعى الجمجمة ويسمى بالعبرانية « ايما خاله » وهو الموضع الذي صلب فيه وصلب معه اثنان آخران واحد من هذا الجانب والآخر من هذا الجانب ، وكتب فيلاطوس في لوح : هذا ايسوع الناصري ملك اليهود ، فقال له رؤساء الكهنة اكتب الذي قال إنه ملك اليهود فقال لهم ما كتبت وقد كتبت ، ثم إن الشرط اقتسموا ثياب المسيح وكانت أمه مريم ومريم بنت قلوفا ومريم المجدلانية قياماً ينظرون اليه فكلم أمه من فوق الخشبة وجعل اولئك الشرط يأخذون اسفنجةً فيها خل يقربونها الى انفه فيتكرهها ثم أسلم روحه فجاؤا الى ذينك المصلوبين معه وكسروا سوقهما وأخذ أحد الشرط حربة فطعنه في جنبه فخرج دم وماء ثم كلم فيه أحد التلاميذ لفيلاطوس حتى أنزله وأخذ حنوطاً من مر وصبر ولفه

في ثياب كتان وطيب فكان في ذلك الموضع جنان وفيه قبر جديد فوضعوا المسيح فيه ، وكان ذلك يوم الجمعة فلما كان يوم الأحد — فيما يقول النصارى — بكرت مريم المجدلانية الى القبر فلم تجده فجاءت شمعان الصفا وأصحابه فاخبرتهم أنه ليس في القبر فمضوا فلم يجدوه وجاءت مريم ثانية الى القبر فرأت في القبر رجلين عليهما ثياب بياض فقالا لها لا تبكي ثم التفتت خلفها فرأت المسيح وكلمها وقال لها لا تدنين الي لأني لم أصعد إلى أبي ولكن انطلقي إلى اخوتي وقولي لهم إني أصعد الى أبي وابيكم وإلهي وإلهكم وإنه لما كان عشية الأحد جاءهم وقال لهم السلام معكم كما أرسلني أبي كذلك أرسلكم وإن غفرتم ذنوب احد فهي مغفورة فقالوا هذا الذي يكلمنا روح وخيال قال لهم انظروا إلى آثار المسامير باصبعي وإلى جانبي الأيمن ، ثم قال لهم طوبى للذين لم يروني وصدقوا بي ، وجاءوه بقطعة سمك فاكل وقال لهم إن أنتم صدقتم بي وفعلتم فعلي يحق أن لا تضعوا ايديكم على مريض إلا برئ ولا يضره الموت ، ثم ارتفع عنهم وكان له ثلاث وثلاثون سنة .

هذا ما يقول أصحاب الانجيل وهم يختلفون في كل المعاني قال الله عز وجل ﴿ ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه ﴾ .

ولما رفع عيسى المسيح اجتمع الحواريون الى اورشلم في جبل طور الزيتون وصاروا الى علية كان فيها بطرس ويعقوب ويوحنا واندراوس وفيلبس وتوما وبرتلموس ومتاوس ويعقوب (......) فقام شمعان على الحجر فقال يا معشر الاخوة قد كان ينبغي أن يتم الكتاب الذي سبق فيه روح القدس وأرادوا ان يجعلوا رجلاً يتم به الاثنا عشر فقدموا متى وبرسبا وقالوا اللهم أظهر لنا من تختاره فوقع على متى فاصابهم ريح شديدة امتلأت الغرفة التي كانوا فيها ورأوا مثل لسان النار فتكلموا بألسن شتى ثم قالوا لبطرس ماذا تصنع فقال لهم بطرس قوموا واعمدوا كل انسان منكم باسم

المسيح وتنحوا عن هذه القبيلة المعوجة وأقام بطرس ويوحنا كلما دخلا الكنيسة ذكرا أمر المسيح ووصفا فعله ودعوا الناس الى عبادته فانكروا ذلك عليهم اليهود وأخذوهم فحبسوهم ثم أطلقوهم وقالوا نختار سبعة رجال يقدسون الله ويذكرون حكمته ومسيحه فاختاروا اصطفانس وفيلبس وابرحورس ونيقانوروطيمون وبرمناو نيقولاوس الأنطاكي وأقاموهم فصلوا عليهم وقدسوهم فجعلوا يصفون أمر المسيح ويدعون الناس الى دينهم وكان بولس أشد الناس عليهم وأعظمهم ايذاءً لهم وكان يقتل من يقدر عليه منهم ويطلبهم في كل موضع فخرج يريد دمشق ليجمع قوماً كانوا بها فسمع صوتاً يناديه يا بولس كم تضطهدني ففزع حتى لم يبصر ثم جاءه حنانيا فقدس عليه حتى انصرف وبرأت عينه فصار يقوم في الكنائس فيذكر المسيح ويقدسه فارادت اليهود قتله فهرب منهم وصار مع التلامذة يدعو الناس ويتكلم بمثل ما يتكلمون به ويظهر الزهد في الدنيا والتقليل منها حتى قدموه الحواريون جميعاً على أنفسهم وصيروه رأسهم وكان يقوم فيتكلم ويذكر أمر بني اسرائيل والأنبياء ويذكر حال المسيح ويقول ميلوا بنا الى الأمم كما قال الله للمسيح إني وضعتك نوراً للأمم فتصير إخلاصاً الى أقطار الأرض فتكلم كل رجل منهم برأيه وقالوا ينبغي أن يحتفظ بناموس وأن يرسل الى كل بلد من يدعو الى هذا الدين وينهاهم عن الذبائح للأوثان وعن الزنا وعن أكل الدم ، وخرج بولس ومعه رجلان الى أنطاكية ليقيموا دين المعمودية ثم رجع بولس وأخذ فحمل الى ملك رومية فقام فتكلم وذكر حال المسيح فتحالف قوم على قتله لافساده دينهم وذكره المسيح وتقديسه عليه .

ملوك السريانيين

وكان أول الملوك بعد الطوفان بارض بابل ملوك السريانيين فأول من ملك منهم وعقد التاج على رأسه ﴿ شوسان ﴾ وكان ملكه ست عشرة سنة ثم ملك بعده ﴿ بربر ﴾ ابنه عشرين سنة ثم ملك ﴿ اسماشير ﴾ بن الاول سبع سنين ثم ملك بعده

﴿ عمرقيم ﴾ ابنه عشر سنين ثم ملك ﴿ اهريمون ﴾ ابنه عشر سنين ثم ملك ﴿ سمادان ﴾ ابنه عشر سنين ثم ملك ﴿ سبير ﴾ ابنه ثماني سنين ثم ملك ﴿ هريمون ﴾ ثماني عشرة سنة ، وملك ابنه ﴿ هوريا ﴾ اثنتين وعشرين سنة ثم ملك ﴿ ارود وحلحابيس ﴾ كلاهما اثني عشرة سنة .

ملوك الموصل ونينوى

وكان أول من ملك منهم ﴿ بالوس ﴾ اثنتين وثلاثين سنة وملك ﴿ نينوس ﴾ ابن بالوس اثنتين وخمسين سنة وبنى مدينة نينوى ثم ملكت امرأة يقال لها (شميرم) أربعين سنه ثم ملك ﴿ لاوسنسر ﴾ خمساً وأربعين سنة ، ثم ملك خمسة عشر ملكاً لا تاريخ لهم ولا قصص .

ملوك بابل

فكان أول ملوك بابل بعد السريانيين ﴿ نمرود ﴾ الجبار فملك تسعاً وستين سنة وملك ﴿ كودس ﴾ ثلاثاً وأربعين سنة وملك ﴿ أرقو ﴾ عشر سنين وملك ﴿ بولس ﴾ اثنتين وستين سنة ثم ملك ﴿ سميرم ﴾ اثنتين وأربعين سنة وملك ﴿ قوسميس ﴾ تسعاً وستين سنة وملك ﴿ انيوس ﴾ ثلاثين سنة وملك ﴿ ليلاوس ﴾ اثني عشرة سنة وملك ﴿ اطلوس ﴾ اثنتين وثلاثين سنة وملك ﴿ سفردس ﴾ ثلاثين سنة ثم ملك ﴿ حازم بوس ﴾ ثلاثين سنة ثم ملك ﴿ سعالوس ﴾ ثلاثين سنة وملك ﴿ سبسطاس ﴾ أربعين سنة وملك ﴿ اسنطرس ﴾ أربعين سنة وملك (دمنوطوس) خمساً وأربعين سنة وملك (العروس) ثلاثين سنة وملك (القرندوس) اثنتين وخمسين سنة وملك (قاربوس) ثلاثين سنة وملك (باباوس) خمساً وأربعين سنة وملك (شرسبا أدوموس) أربعين سنة وملك (دارا فوس) ثماني وثلاثين سنة وملك (لاوبس) خمساً وأربعين سنة وملك (فطريس) ثلاثين سنة وملك (فرطاوس) عشرين سنة وملك (افرطا) ستين سنة وملك (قولا) خمساً

وثلاثين سنة وملك (يعنطس) خمساً وثلاثين سنة وملك (اسعلوسرهم) أربع عشرة سنة وملك (اسرعون) سبع سنين وملك (قيمحدوم) ثلاث سنين وملك (فردوح) سبعاً وأربعين سنة وملك « سنحاريب » إحدى وثلاثين سنة وملك « معرسا » ثلاثاً وثلاثين سنة وملك « بخت نصر » خمساً واربعين سنة وملك « فرمورج » سنة واحدة وملك « سطسفر » ستين سنة وملك « ماسوسا » ثماني سنين وملك « معوسا » سبعة أشهر وملك « داريوش » احدى وثلاثين سنة وملك « كسرحوش » عشرين سنة وملك « فرطان » سبعة أشهر وملك « منحسمت » إحدى واربعين سنة وملك « سعلس » سبعة اشهر وملك « داريوش » وهو الذي قتله الاسكندر تسع عشرة سنة وملك « ارطحشاست » سبعاً وعشرين سنة .

هؤلاء الملوك ملوك الدنيا وهم الذين شيدوا البنيان واتخذوا المدن وعملوا الحصون وشرفوا القصور وحفروا الأنهار وغرسوا الأشجار واستنبطوا المياه وأثاروا الأرضين واستخرجوا المعادن وضربوا الدنانير وصاغوا وكالوا التيجان وطبعوا السيوف واتخذوا السلاح وعملوا آلات الحديد وصنعوا النحاس والرصاص واتخذوا المكاييل والموازين واختطوا البلدان وفلوا الأقاليم واسروا الأعداء واستعبدوا الأسراء واتخذوا السجون ووصفوا الأزمنة وسموا الشهور وتكلموا في الأفلاك والبروج والكواكب وحسبوا وقضوا بما يدل عليه الاجتماع والاقتراق والتثليث والتربيع والمجاسدات .

ملوك الهند

قال اهل العلم إن اول ملوك الهند الذي اجتمعت عليه كلمتهم ﴿ برهمن ﴾ الملك الذي في زمانه كان البدء الأول وهو أول من تكلم في النجوم وأخذ عنه علمها والكتاب الأول الذي تسميه الهند « السندهند » وتفسيره « دهر الدهور » ومنه اختصر الأرجبهر ، والمجسطي ، ثم اختصروا من الأرجبهر الأركند ، ومن المجسطي كتاب بطلميوس ، ثم عملوا من ذلك المختصرات والزيجات وما اشبهها من

الحساب ، ووضع التسعة الأحرف الهندية التي يخرج منها جميع الحساب الذي لا يدرك معرفتها وهي (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩) فالأول منها واحد وهو عشرة وهومائة وهو الف وهو مائة والف وهوالف الف وهو عشرة آلاف الف وهومائة الف الف وعلى هذا الحساب ابداً فصاعداً ، والثاني وهو اثنان وهو عشرون وهومائتان وهو الفان وهو عشرون الفاً وهو مائتا الف وهو الفا الف وعلى هذا الحساب يجري التسعة الأحرف فصاعداً غير أن بيت الواحد معروف من العشرة وكذلك بيت العشرة معروف من المائة وكذلك كل بيت ، وإذا خلا بيت منها يجعل فيه صفر ويكون الصفر دارة صغيرة .

وجعلوا الدنيا سبعة اقاليم ﴿ فالاقليم الأول ﴾ الهند وحده مما يلي المشرق البحر وناحية الصين الى الديبل مما يلي أرض العراق إلى خليج البحر مما يلي أرض الهند إلى أرض الحجاز .

والاقليم الثاني الحجاز حده هذا الخليج الى عدن الى أرض الحبشة مما يلي أرض مصر الى الثعلبية مما يلي أرض العراق .

والاقليم الثالث مصر حده مما يلي أرض الحبشة الى أرض الحجاز الى البحر الأخضر مما يلي الجنوب الى المغرب الى الخليج الذي يلي الروم الى نصيبين مما يلي ارض العراق .

والاقليم الرابع وهو العراق حده مما يلي الهند الديبل ومما يلي الحجاز الثعلبية ومما يلي أرض مصر والروم نصيبين ومما يلي أرض خراسان نهر بلخ .

والاقليم الخامس الروم حده مما يلي ارض مصر الخليج ومما يلي المغرب البحر ومما يلي الترك ياجوج وماجوج ومما يلي ارض العراق نصيبين .

والاقليم السادس ياجوج وماجوج حده مما يلي أرض المغرب الترك ومما يلي الخزر البحر ومفاوز بينه وبين سحور الشمال ، ومما يلي المشرق أرض نصيبين ومما يلي خراسان نهر بلخ .

والاقليم السابع الصين حده مما يلي المغرب ياجوج وماجوج ومما يلي المشرق البحر ومما يلي الهند ارض قشمير ومما يلي خراسان نهر بلخ .

﴿ وقالوا ﴾ كل اقليم من هذه الأقاليم يسع مأئة فرسخ في مثلها ، وذكر أن قطر الأرض الفان ومائة فرسخ ومدها ستة آلاف وثلاث مأئة فرسخ ، وأنهم قدروا هذا الفرسخ على ستة عشر الف ذراع ، وذكروا أن الذراع الذي يحيط باسفل دائرة النجوم وهو فلك القمر مائة الف فرسخ وخمس وعشرون الفا وسمائة واربعة وستون فرسخا وأن قطره من حد رأس الحمل الى حد رأس الميزان اربعون الف فرسخ بتقدير هذه الفراسخ التي قدروا بها الأرض ، فساعات طول النهار في الاقليم الأول ثلاث عشرة ساعة وفي الثاني ثلاث عشرة ساعة ونصف وفي الثالث اربع عشرة ساعة وفي الرابع اربع عشرة ساعة ونصف وفي الخامس خمس عشرة ساعة وفي السادس خمس عشرة ساعة وفي السادس خمس عشرة ساعة ونصف وفي السابع ست عشرة ساعة ، وكل مدينة كانت في مقادير طول نهارها في هذا القدر فهي متوسطة الاقليم الذي هي فيه وما كان فيما بين هذه الأقدار فهي من الاقليم الذي هي اليه أقرب في بمقدار الساعات فصار وسط الاقليم الأول على مسيرة نحو من ثلاثين ليلة من خط الاستواء بارض اليمن مدينة سبأ وما والاها الى المشرق والمغرب وذلك فيما دون عدن أبين بقدر عشرة أيام . ووسط الاقليم الثاني مكة وما والاها من المشرق الى المغرب ، ووسط الاقليم الثالث الاسكندرية وما والاها من ناحية الكوفة والبصرة من المشرق والمغرب ، ووسط الاقليم الرابع اصفهان وما والاها مما هو في مثل عرضها من المشرق الى المغرب ، ووسط الاقليم الخامس في أداني أرض مرو وما والاها مما هو في مثل عرضها من المشرق الى المغرب ، ووسط الاقليم السادس برذعة وما والاها مما هو في مثل عرضها ما بين المشرق الى المغرب ، ووسط الاقليم السابع بجبال الترك وما والاها مما هو في مثل عرضها مما بين المشرق والمغرب .

وقالت الهند إن الله عز وجل خلق الكواكب في أول دقيقة من الحمل وهو أول يوم من الدنيا ثم سيرها من ذلك الموضع في أسرع من طرفة العين فجعل لكل كوكب منها سيراً معلوماً حتى يوافي جميعها في عدة أيام السندهند الى ذلك الموضع الذي خلقت فيه كما كانت كهيئتها الأولى ثم يقضي الله تبارك وتعالى ما أحب ، فقالوا إن جميع أيام الدنيا من السندهند منذ اول ما دارت الكواكب الى أن تجتمع جميعاً في دقيقة الحمل كما كانت يوم خلقت الف الف الف الف وخمسمائة الف الف الف وسبعة وسبعون الف الف الف وسبعمائة الف الف وستة عشر الف الف واربعمائة الف وخمسون الف يوم يكون ذلك شهوراً ستين الف الف الف وثمان مائة الف الف واربعين الف الف شهر ، ويكون من السنين اربعة آلاف الف الف وثلاثمائة الف الف وعشرين الف الف سنة كاملة بسني الشمس على مدارها ، والسنة ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم وخمس ساعات وجزء من اربعمائة جزء من ساعة .

ثم اضطرب أمر الملك بالهند فاقام زماناً طويلاً وهو ممالك مفترقة في البلاد لكل طائفة مملكة حتى غزتهم الملوك فخافوا أن يدخل عليهم الوهن وكانوا أهل حكمة ومعرفة وعقول مجاوزون بها مقدار غيرهم من الأمم فاجمعوا على تمليك رجل واحد فملكوا ﴿ زارح ﴾ وكان عظيم الشأن جليل القدر فعظم ملكه وجل سلطانه حتى سار الى أرض بابل ثم تجاوزها الى ملوك بني اسرائيل وهو الذي غزا بني اسرائيل بعد أن مات سليمان بن داود بعشرين سنة وملك اسرائيل يومئذ (رحبعم) بن سليمان فضجت بنو اسرائيل الى الله تعالى فسلط الله على زارح وجيشه الموت فانصرف الى بلاده .

ومن ملوكهم ﴿ فور ﴾ وهو الذي غزا بلاده الاسكندر لما قتل ملك الفرس وغلب على أرض العراق وما والاها مما كان في مملكة داريوش ، وذلك أنه كتب اليه يأمره بالدخول في طاعته وكتب اليه (فور) أنه يزحف اليه بالجيوش فبدر الاسكندر فصار الى بلاده وخرج اليه (فور) فحاربه فاخرج (فور) الفيلة وكان العلو على

الاسكندر فكانت لا يقف لها شيء فعمل الاسكندر تماثيل من نحاس ثم حشاها بالنفط والكبريت وأشعل النار في داخلها ثم صيرّها على عجل وألبسها السلاح ثم قدّمها أمام الصفوف فلما تلاقوا دفعتها الرجال الى الفيلة فلما قربت حملت عليها الفيلة بخراطيمها فكانت تلف الخراطيم على ذلك النحاس وهو يلهب ويشتوي وتنصرف منهزمة فتفل كراديس الهند وتهلكهم ، ثم دعا الاسكندر (فور) ملك الهند الى أن يبارزه فبرز له فقتله الاسكندر مبارزة بعد له واستباح عسكره .

ومن ملوكهم ﴿ كيهن ﴾ وكان رجلاً ذكياً أديباً فملكه الاسكندر بعد (فور) على جميع أرض الهند وكان كيهن قد استعمل الفكر فكان اول من قال بالتوهم وأن الطبيعة تنصرف الى ما تتوهمه فما توهمت أنه ينفعها نفعها وإن كان ضاراً ، وكان كيهن يأكل البيش وهو السّم القاتل ثم يتوهم أن على قلبه أحمال ثلج فلا يضرّه ذلك البيش حتى احترقت رطوبته وكان من أصح خلق الله ذهناً وأحفظه وأذكاه .

ومن ملوكهم ﴿ دبشلم ﴾ وهو الذي وضع في عصره كتاب « كليلة ودمنة » وكان الذي وضعه بيد باحكيم من حكمائهم وجعله أمثالاً يعتبر بها ويتفهمها ذووالعقول ويتأدبون بها فكان ﴿ أول باب ﴾ منها باب السلطان الذي سعى اليه البغاة بخاصته واصحابه المقدّمين عنده وكيف ينبغي أن يستعمل الأناة والتثبيت ولا يعجل بقول السعاية وهو باب الأسد والثور ﴿ الباب الثاني ﴾ باب الفحص عن الأمور وكيف تكون العواقب فيها وما يؤدي اليه البغي والتهور والكيد من سوء العاقبة وهو باب الفحص عن خبر دمنة ﴿ الباب الثالث ﴾ باب الأعداء والتحرز منهم والحيلة لهم والكلام الذي يكسب العداوة وما يجب من مداراة الأعداء وانتهاز الفرصة فيهم عند إمكان الأمر والتضرع لهم حتى يمكن الانتقام منهم وهو باب البوم والغربان ﴿ الباب الرابع ﴾ باب المشاورة للعلماء والاستعانة بأهل الحزم والامانة وإفشاء الأمور الى أهل العقل وهو باب بلاذ ﴿ الباب الخامس ﴾ باب المعروف والى من

ينبغي أن يصطنع وكيف يفسد وسوء الشكر إذا وضع غير موضعه وحمله من لا يستحقه وكيف يعرف موضعه عند أهله الذين يشكرونه وهو باب السلحفاة والببر والقرد والنجار ﴿ الباب السادس ﴾ باب الظفر بالأمر وإضاعته بعد إمكانه والعجز عن حفظه بعد القدرة عليه وهو باب القرد والغيلم ﴿ البـاب السابع ﴾ باب المداراة ومصانعة أهل الشأن واحتراز مودتهم واستمالة أهل الانحراف حتى يتخلص من السوء وهو بابه السنور والجرذ ﴿ الباب الثامن ﴾ باب معرفة السلطان باعوانه وأقربائه وأهل دخلته واستصلاحه من نالته جفوته منهم واجتلاب ردأته والاستعانة على أموره باهل العفاف والمودة وتفقد أحوال أعوانه وحاشيته ومكافاة المحسن ومعاقبة المسيء على الاساءة وهو باب الأسد وابن آوى ﴿ الباب التاسع ﴾ باب الاخوان والمتصادقين على صحة مودّاتهم ومقدار الاخوان وعظم النفع بهم ومعاونتهم على أمور الشدة والرخاء وهو باب الحمامة المطوقة ﴿ الباب العاشر ﴾ باب طلب نفع الناس بضر النفس والتفكر في العاقبة وهو باب اللبؤة والاسوار .

وقال بعض علماء الهند إن أهل بلاد الهند تواتر عليهم الموت حتى ذهب علماؤهم وضعف الملك وأنه لما ملك ﴿ هشران ﴾ طلب من يحيي له شرائع دين آبائه فاتاه (قفلان) وكان داهية فقال له إن الناس جزء من الحيوان وإن الحيوان جزء من النامي وإن النامي من الطبائع الأربع التي هي النار والهواء والأرض والماء وإن النامي ينقسم على ثلاثة أقسام أحدها النبات وله النمو فقط ، والثاني ما يكون في البحر من الأصداف وما أشبهها وله نمو وحس ، والثالث الحيوان البري وله نمو وحس وحركة وإن الحيوان أقل وأحقر من أن يدبرهم الخالق وإنما يدبرهم ويصرفهم الفلك ، فقال له الملك أرني صورة ما تقول وبرهانه فوضع النرد وقال اتفق الناس على أن دور الزمان سنة ومعناها اثنا عشر شهراً ومعناها البروج الاثنا عشر وعلى أن أيام الشهر ثلاثون يوماً ومعناها لكل برج ثلاثون درجة وعلى أن الأيام سبعة ومعناها الكواكب السبعة

السيارة ثم جعل تشبيهاً لذلك فوضع عرصة شبيهة بالسنة وصير فيها أربعة وعشرين بيتاً عدد ساعات الليل والنهار في كل ناحية اثنى عشر بيتاً تشبيهاً بشهور السنة والبروج وصير لها ثلاثين كلباً تشبيهاً بايام الشهر ودرج البروج وصير الفصين تشبيهاً بالليل والنهار وفي كل فص ست جهات لأنه عدد تام له نصف وثلث وسدس في كل فص إذا سقط من أعلاه وأسفله سبع نقط تحت الست واحدة وتحت الخمس اثنتان وتحت الأربع ثلاث تشبيهاً بعدد الأيام والكواكب السبعة السيارة وهي الشمس والقمر وزحل والمشتري والمريخ وعطارد والزهرة ثم جعلها محنة بين رجلين وأعطى كل واحد فصاً وقال من أعطيته هذه السبع النقط من أعلاها اكثر من صاحبه بدأ فاجتمع له فصان فضرب وما ظهر من الفصين تقلب الكلاب عليه وجعل ذلك تمثيلاً للحظ الذي يناله العاجز بما جرى له الفلك والحرمان الذي يبتلي به الحازم على حسب ما يجري له الفلك فلما ظهر ذلك قبله الملك وفشا في أهل المملكة وصار أهل الهند يجري أمورها بما يدبره الكواكب السبعة السيارة .

وملك « بلهيت » وقد غلب على أهل المملكة هذا الدين وكان له عقل ومعرفة فلما رأى ما عليه أهل مملكته ساءه ذلك وبلغ منه ثم سأل هل بقي رجل على دين البرهمية فدل على رجل له عقل ودين فارسل اليه فلما أتاه اكرمه ورفع درجته ثم ذكر له ما قد فشا في أهل مملكته فقال أيها الملك أنا أقيم برهاناً أضربه ويعرف به فضل الحازم وموضع تقصير العاجز وأجعلها صورة بين اثنين ليبين فضل الحازم على العاجز والمجتهد على المقصر والمحتاط على المضيع والعالم على الجاهل فوضع الشطرنج وتفسيرها بالفارسية « هشت رنج » وهشت ثمانية ورنج صفح وصيرها ثمانية في ثمانية فصارت أربعة وستين بيتاً وصيرها اثنين وثلاثين كلباً مقسومة بين لونين كل لون ستة عشر كلباً وقسم الستة عشر على ست صور فالشاه صورة والفرز صورة والفيلان صورة والرخان صورة والفرسان صورة والبيادق صورة فاشتق ذلك من زوج الزوج

وهو أحسن ما يكون من الحساب لأن الأربعة والستين إذا قسمتها كان لها نصف
اثنان وثلاثون وهي عدة جميع الكلاب وإذا نصفت الاثنين والثلاثين كان لها نصف
وهو ستة عشر وهو ما لكل واحد من الكلاب وإذا نصفت الستة عشر كان لها
نصف وهو ثمانية وهي عدة بيادق كل واحد فاذا نصفت الثمانية كان لها نصف وهو أربعة
وهو الرخان والفرسان من كل واحد فاذا نصفت الأربعة كان لها نصف وهو اثنان
فقد انقسمت أزواجاً ولم يبق في القسم بعد الأزواج إلا الواحد الذي يقسمها كلها آحاداً
وهو ليس بعدد ولا معدود ولا زوج ولا فرد لأن أول أعداد الفرد ثلاثة .

ثم قال الحكيم ليس شيء أجل من الحرب لأنه يبين فيها فضل التدبير وفضل
الرأي وفضل الحزم وفضل الاحتياط وفضل التعبئة وفضل المكيدة وفضل الاحتراس
وفضل النجدة وفضل البأس وفضل القوة وفضل الجلد وفضل الشجاعة ، فمن عدم منه
شيء من هذا عرف موضع تقصيره لأن خطأها لا يستقال والعجز فيها متلف للمهج
والجهل مبيح للحمى وترك الحزم ذهاب الملك وضعف الرأى جلب للعطب والتقصير سبب
للهزيمة وقلة العلم بالتعبئة داعية الانكشاف وقلة المعرفة بالمكيدة تهور الى الهلكة وترك
الاحتراس نهزة للعدو ، وجعلها على مثال الحرب فان أصاب ظفر وإن أخطأ هلك فلما
رأى الملك صحة البرهان وتبين فضل حكمة الحكيم وعلم أن قد أصاب وأحسن التمثيل
وأبان عما قد عمي عنه جمع أهل مملكته فعرفهم ما كشف الله عنهم من الغم وأمرهم أن
يقيموها ويتأملوها وقال لهم قد علمنا أن ليس في العالم حي ناطق مفكر ضاحك عاقل
إلا الانسان فالانسان عليه مدار جميع ما في العالم لأن الفلك بجميع ما فيه خلقه الخالق
للانسان ليعرف به ما يحتاج اليه من زمانه وأوقاته وكذلك ذلل له جميع ما في الأرض
وكل ما خلق الله مما في قعر البحر وجو السماء ورؤس الجبال فلما ملك الانسان جميع ما
خلق قسم ذلك الانسان ثلاثة أقسام فأكل ثلثاً وسخر ثلثاً وقتل ثلثاً فأكل الطير
والسمك وما شاء من النعم والابل وسخر البقر والحمير والدواب وقتل السباع والحيات

والهوام ثم جعل فيه آلات يعلم بها ويعقل بها ويدرك بها ويفهم ففضل الناس بعضهم بعضاً بالعلم والعقل والفهم .

وقد زعم علماء من علماء الهند أنه لما ملكت حوسن (حوسر) بنت بلهيت خرج عليها خارجي وكانت جارية عاقلة فوجهت أبناً لها وكان لها اربعة اولاد فقتل ذلك الخارجي ابنها فعظم ذلك أهل مملكتها وأشفقوا من أخبارها فاجتمعوا على حكيم من حكمائهم يقال له ﴿ قفلان ﴾ وكان ذا حكمة وفطنة ورأي فذكروا ذلك له فقال أنظروني ثلاثاً ففعلوا ذلك وخلا مفكراً ثم قال لتلميذ له أحضرني نجاراً وخشباً من لونين مختلفين أبيض وأسود فاحضره نجاراً فارهاً وخشباً من لونين مختلفين أبيض وأسود فصور صورة الشطرنج وأمر النجار فنجرها ثم قال له أحضرني جلداً مدبوغاً فامره أن يخط فيه أربعة وستين بيتاً ففعل ذلك فنصب ناحية ثم تجاولا حتى فهماها وأحكماها ثم قال لتلميذه هذه حرب بلا ذهاب أنفس ثم حضره أهل المملكة فاخرجها لهم فلما رأوها علموا أنها حكمة لا يهتدي اليها احد وجعل يجاول تلميذه فيقع (شاه مات) و (شاه غلب) فاخبرت الملكة بخبر (قفلان) فاحضرته وأمرته أن يريها حكمته فاحضر تلميذه ومعه الشطرنج فنصبها بينه وبينه فلعبا فغلب أحدهما صاحبه فقال (شاه مات) فانتبهت وعلمت ما أراده وقالت لقفلان أقتل ابني قال انت قلت فقالت لحاجبها أدخل الناس يعزوني فلما فرغت أحضرت قفلان وقالت له سل حاجتك فقال أسأل أن أعطى قمحاً بعدد بيوت الشطرنج أعطى في البيت الأول حبة ... (١) ... ثم يضعف ذلك لي في البيت الثالث على الثاني ثم على هذا الحساب الى آخرها قالت وما مقدار هذا ثم أمرت بالحنطة أن تحضر فلم يقم لذلك شيء حتى أنفدت قموح البلد ثم قوم القمح بالمال حتى في المال فلما كثر ذلك قال لا حاجة لي به إن قليل الدنيا

(١) كذا بياض في الأصل وفي العبارة سقط ولعل الساقط قوله (وفي البيت الثاني حبتين) فراجع القصة وقد رويت بوجوه مختلفة . (م . ص)

يكفيني ثم سألته عن عدد الحب الذي سأل فقال لما يكون ذلك عدداً ، وهـذا ما في الشطرنج من العدد ﴿ السطر الأول ﴾ ماثتان وخمسه وخمسون ﴿ الثـاني ﴾ إثنان وثلاثون الفاً وسبعمائه وثمانية وستون ﴿ الثالث ﴾ ثمانية آلاف الف وثلاثمائة وثمانية وثمانون الف وبستمائة وثمانية ﴿ الرابع ﴾ الفا الف الف ومائة وسبعة وأربعون الف الف واربعمائة وثلاثة وثمانون الفاً وستمائة وثمانية وأربعون (الخامس) خمسمائة وتسعة وأربعون الف الف الف وسبعمائة وخمسة وخمسون الف الف وثمانمائة الف وثلاثة عشر الفاً وثمان مائة وثمانية وثمانون ﴿ السادس ﴾ مائة وأربعون الف الف الف وسبعمائة وسبعة وثلاثون الف الف الف وأربعمائة وثمانية وثمانون الف الف وثلثمائة وخمسة وخمسون الفاً وثلاثمائة وثمانية وعشرون ﴿ السابع ﴾ ستة وثلاثون الف الف الف الف الف وثمانية وعشرون الف الف الف وسبع مائة وسبعة وتسعون الف الف الف وثمانية عشر الف الف وتسع مائة وثلاثة وستون الفاً وتسع مائة وثمانية وستون ﴿ الثامن ﴾ تسعة آلاف الف الف الف الف ومائتان وثلاثة وعشرون الف الف الف الف وثلاث مائة وأثنان وسبعون الف الف الف الف وستة وثلاثون الف الف الف وثمان مائة وأربعة وخمسون الف الف وسبع مائة وخمسة وسبعون الفاً وثمان مائة وثمانية ، يكون جميع ذلك في الشطرنج الثمانية ثمانية عشر الف الف الف الف الف الف وأربع مائة وستة وأربعين الف الف الف الف وسبع مائة وأربعة وأربعين الف الف الف وثلاثة وسبعين الف الف الف وسبع مائة وتسعة الف الف وخمس مائة وأحد وخمسون الفاً وستمائة وخمسة عشر .

ومنهم ﴿ كوش ﴾ الملك الذي كان في زمانه (سندباذ) الحكيم وكوش هذا وضع كتاب « مكر النساء » .

والهند أصحاب حكمة ونظر وهم يفوقون النـاس في كل حكمة فقولهم في النجوم أصح الأقاويل وكتابهم فيه كتاب « السند هند » الذي منه اشتق كل علم من علوم

مما تكلم فيه اليونانيون والفرس وغيرهم وقولهم في الطب المقدّم ولهم فيه الكتاب الذي يسمى « سسرد » فيه علامات الأدواء ومعرفة علاجها وأدويتها ، وكتاب شرك وكتاب ندان في علامات أربعمائة وأربعة أدواء ومعرفتها بغير علاج ، وكتاب سندهشان وتفسيره صورة النجح ، وكتاب فيما اختلفت فيه الهند والروم من الحار والبارد وقوى الأدوية وتفصيل السنة ، وكتاب اسماء العقاقير كل عقار باسماء عشرة ولهم غير ذلك من الكتب في الطب ، ولهم في المنطق والفلسفة كتب كثيرة في أصول العلم منها كتاب طوفا في علم حدود المنطق ، وكتاب ما تفاوت فيه فلاسفة الهند والروم ولهم كتب كثيرة يطول ذكرها ويبعد عرضها .

ودين أهل الهند (البرهمية) وفيهم عبدة الأصنام ولهم ممالك مختلفة وملوك متفرقة لسعة البلد في طوله وعرضه ، فأول ملوكهم مما يتاخم البلاد التي هي اليوم في دار الاسلام ﴿ دانق ﴾ وهو ملك عظيم القدر واسع المملكة كثير العدة ، ثم من بعده ﴿ رهمى ﴾ وهو أعظم قدراً وأعز بلاداً وهو على بحر من البحور وفي بلده الذهب وما أشبهه ، ثم مملكة ﴿ بلهرى ﴾ ثم ﴿ الكمكم ﴾ ومن عندهم يأتي الساج ولهم اتساع في البلاد ، ثم مملكة ﴿ الطافن ﴾ وهم قوم بيض الوجوه ، ثم مملكة ﴿ كنباية ﴾ ومملكة ﴿ الطرسول ﴾ ومملكة ﴿ الموشة ﴾ ومملكة ﴿ المايد ﴾ وهذه الممالك تتاخم الصين وهم يحاربون الصين ، ثم مملكة ﴿ سرنديب ﴾ ثم مملكة ﴿ قار ﴾ وهي مملكة جليلة القدر عظيمة الأمر يتقدم لملكهم الملوك ، ثم مملكة ﴿ الديبل ﴾ ثم ﴿ الفاربط ﴾ ﴿ الناربط خ ل ﴾ ثم مملكة ﴿ الصيلمان ﴾ . ولهم في بعض ممالك يليها النساء .

اليونانيون

وكان لليونانيين حكماء متفلسفون وفلاسفة متكورون ومنهم من تكلم في الطب ومنهم من تكلم في حقائق الأمور ومنهم من تكلم في الحساب والأعداد ومنهم من

تكلم في الأفلاك والنجوم ومنهم من تكلم في الحساب والقسمة ومنهم من قال في الهندسة والفلاحة ومنهم من قال في الصنعة والاكسيرات ومنهم من قال في الفراسة ومنهم من قال في الطلسمات والآلات ، فيقال إن أول حكيم وضع كتاباً ودوّن علماً ﴿ أبقراط مقايدس ﴾ بن أبقراط فبفلسفته يتفلسفون الحكماء في الطب واليه يرجعون في المعرفة ، وله من الكتب كتاب « الفصول » وكتاب البلدان والمياه والأهوية ، وكتاب ماء الشعير ، وكتاب تقدمة المعرفة ، وكتاب الجنين ، وكتاب الأركان ، وكتاب الغذاء ، وكتاب الأسابيع ، وكتاب أوجاع النساء وكتاب أبيذيميا ، فهذه مشهورات من كتبه وله بعد ذلك كتب كثيرة فالكتب التي لابد للمتطببين من معرفتها من كتب أبقراط أربعة وهي كتاب الفصول ، وكتاب تقدمة المعرفة ، وكتاب الأهوية والأزمنة ، وكتاب ماء الشعير .

فاما كتاب الفصول فانه قال في كل وجه من العلم قولاً جامعاً في سبعة وخمسين باباً وهي التي تسمى التعليمات (فالتعليم الأول) في الصنعة وصنفها ، قال أبقراط العمر قصير والصناعة طويلة والزمان حديد والتجربة خطر والقضاء عسر (التعليم الثاني) في أصناف الطعام للمرضى وتقديره ، قال أبقراط الأطعمة اللطيفة دقيقة جداً ليست في الأمراض المزمنة ولا في الحادة والاطعمة ايضاً التي على أقصى حد اللطافة ردية مثل ما أن الماء الذي على الحد الأقصى ردي (التعليم الثالث) في اهتياج الحمى قال أبقراط ينبغي أن يتحفظ في الطعام وإن الزيادة منه مضرة وكلما يعرض من الأمراض في الحين بعد الحين فينبغي التحفظ عند اهتياجها (التعليم الرابع) في علات الأمراض قال أبقراط الدليل على حال الأمراض ما يظهر من لفظ الجسد فيها مثل من به ذات الجنب إن ظهر منه نفث عاجل من أول المرض قصر مرضه وإن ظهر ذلك متأخراً طال مرضه وفي مثل البول والبراز والعرق إذا ظهر على الوجه الذي يجري عليه القضاء بالنزج أو على خلاف ذلك على قصر الأمراض وطولها (التعليم الخامس) قال

أبقراط كلما نشت — يعني ذوات الأرواح — فهو كثير حرارة الغريزية ولذلك يحتاج الى كثرة الطعام وإلا بلي جسده (التعليم السادس) فيما ينبغي أن يطعم للمحمومين من الطعام ، قال أبقراط التدبيرات الرطبة بجميع المحمومين أمثل ولاسيما للصبيان ولغيرهم من الذين اعتادوا ذلك التدبير لبعض مرةً ولبعض اثنتين واكثر وأقل ومرة بعد مرة ، وأعطوا الساعة والعادة والبلاد والسن حقها (التعليم السابع) في معرفة الموقت قال أبقراط فيما يتفرج ، وما قد تفرجً ينبغي أن لا يحرك ولا يحدث به حدث لا بأدوية ولا بغيرها مما يهيج ذلك (التعليم الثامن) في النوم قال أبقراط في أي مرض كان إن جاءه النوم بوجع فذلك يموت وإن نفع النوم فليس بميت وإن ردّ النوم ذهاب العقل فذلك صالح (التعليم التاسع) في سقي الدواء قال أبقراط ينبغي لمن أراد تنقيه الأجساد أن ينقها قبل ذلك أي باذابة ما فيها من الكيموس الغليظ (التعليم العاشر) في البراز قال أبقراط إن وقع في الجسد وجع أو خرجت في الجسد خراجات فعند ذلك ينبغي أن ينظر في البراز فان كانت مرة صفراء فالجسد كله مريض وإن كان شبيهاً ببراز الأصحاء فالطعام الحشد (التعليم الحادي عشر) قال أبقراط في الأمراض الحادة (..........) لأنها ربما أسرعت الى الدماغ او الى القلب او الكبد فتهلك وربما أسرع انحطاطها فتبرأ (التعليم الثاني عشر) في القضاء في الفرج قال أبقراط الامراض الحادة يقضى عليها بالفرج في أربعة عشر يوماً (التعليم الثالث عشر) قال أبقراط عند ابتداء الامراض إن رأيت أن تحرك شيئاً فحرك وإن صعدت العلة فلزوم الكف أفضل أي إن رأيت موضعاً للعلاج فقبل أن تصعد العلة « التعليم الرابع عشر » في معرفة صالح الامراض وطالحها ، قال أبقراط في كل مرض صحة عقل المريض حسن وقبوله ما يقضى خير وخلاف ذلك شر أي ما يجد العليل في الدماغ والمعدة « التعليم الخامس عشر » في المخنوقين قال أبقراط الذين يختنقون ويخلون

قبل أن يموتون (١) وإن ظهر في أفواههم زبد لم يسلموا (التعليم السادس عشر) في اضمار الجسد والعناء قال أبقراط في كل تحريك الجسد إذا بدأ بتعب ثم ودعته مكانك لم يضرر التعب ﴿ التعليم السابع عشر ﴾ في انقلاب الساعات قال أبقراط انقلاب الساعات . . . (٢) . . . عن عظم البرد والحر وغير ذلك مما يجري مجراه اي انقلاب ساعات الزمان من أجزاء السنة ﴿ التعليم الثامن عشر ﴾ في العرق قال أبقراط إذا كان الزمان شبيهاً بالصيف — يعني الربيع — عند ذلك ينبغي أن يتوقع كثرة العرق مع كل حمى تعرض ﴿ التعليم التاسع عشر ﴾ في الساعات قال أبقراط إن كان الشتاء يابساً بلا رطوبة وكانت رياحاً شمالاً كان الصيف يعني الربيع ممطوراً وكانت رياحه يمانية فلا بد أن يكون في القيظ حمايات حادة ووجع العين واختلاف من الأعفاج وعامة ذلك في النساء والذين في طبيعتهم رطبة ﴿ التعليم العشرون ﴾ في تدبير السنين قال أبقراط السنة اليابسة او بأمن المطورة الرطبة عامتها حمايات طويلة وسيلان البطون وخروج مماشية وجنون وفالج وذبحة وأما أمراض السنة اليابسة فقرح في الرئة ووجع العيون والمفاصل وتقطير البول واختلاف من خراج الأعفاج ﴿ التعليم الواحد والعشرون ﴾ في أمراض الساعات والأسنان ، قال أبقراط في الساعات على ما يكون من الأمراض في الصيف وأول القيظ الغلمان والذين يتلونهم في السن أصحاء وحسن حالهم أفضل من غيرهم ، وفي القيظ وبعض الربيع الشيوخ أحسن حالاً ، وفي سائر الربيع والشتاء أهل النصفة في السن أفضل حالاً ﴿ التعليم الثاني والعشرون ﴾ في الأمراض التي تصيب الانسان فيبدأ بالولدان ، قال أبقراط الأمراض التي تصيب الولدان الصغار قرح وسعال وسهر وفزع وورم في السرر

(١) كذا في نسخة الأصل باثبات النون والصحيح حذفها ، وفي العبارة تشويش
(٢) كذا بياض في الأصل وقد كتب المعلق في الهامش هنا العبارة التالية (مما يفعل في توليد الأمراض خاصة) « م . ص »

ورطوبات الأذنين ﴿ التعليم الثالث والعشرون ﴾ قال أبقراط والامراض التي تصيب الصبيان إذا كبروا وجع اللوزتين وبهر وحصاة ودود عراض ودود طوال ودود مثل دود الخل وثآليل وغلظ في أبشارهم وخنازير وخراجات أخر والذين اكبر منهم من قد راهق الاحتلام يصيبهم أمر آخر ويقضى عليهم بالفرج الى أربعين يوماً وعلى بعضها الى سبعة أشهر ومنها الى سبعين يوماً إذا راهقوا الاحتلام وكل أمراض لاتنجلي عن الصبيان الى الاحتلام وعن الجواري الى أن يطمثن فتلك أمراض تنوي زماناً طويلا ﴿ التعليم الرابع والعشرون ﴾ في معرفة ماتداوى به النساء الحوامل ، قال أبقراط النساء الحوامل يداوين لاربعة أشهر فاما دون ذلك من صغر الولد وإما زاد من كبره فينبغي أن يحـذر علاجهن ﴿ التعليم الخامس والعشرون ﴾ قال أبقراط ينبغى أن يداوى ما فوق فى الصيف وما أسفل فى الشتاء يعني ما كان فوق الرأس والمعدة وما كان أسفل من المرة الصفراء وما أسفل من الخام وما أشبهه (التعليم السادس والعشرون) فى ذي المشي ، قال أبقراط عند شرب الادوية والخربق ينبغى أن يرطب أجساد الذين لا تخف التنقية عليهم من فوق قبل الدواء بكثرة الطعام (التعليم السابع والعشرون) فى الاختلاف طوعاً قال أبقراط إذا جاء الاختلاف طوعاً كأنه دم أسود مع حمى أو غير حمى فذلك اختلاف سوء وإن كان اختلاف كثير الالوان منتقل من ألوان صالحة الى الوان رديّة فذلك اختلاف سوء ايضاً وإن جاء الاول بدواء فهو أمثل والكثير الالوان فلا بأس به (التعليم الثامن والعشرون) فى الفراغ من حيث كان ، قال أبقراط كل محموم يعرض له اختلاف لان كثرة إفراغ الدم ترخى الكبد ثم تستقيم النضج (التعليم التاسع والعشرون) فى العرق قال أبقراط العرق فى المحمومين خير إن جاء فى اليوم الثالث أو الخامس (. . . . .) أو السابع عشر أو الواحد والعشرين أو الواحد والثلاثين أو الرابع والثلاثين لان هذا يخرج عن المريض فاما الذي يكون فى غير هذه الايام فذلك عرق مؤذن بوجع وطول مرض ونكسة « التعليم الثلاثون »

في الحايات اللازمة قال أبقراط الحايات اللازمة التي لا تقلع بل تشتد في اليوم الثالث فتلك أقرب الى الهلاك والتي تقلع الى أي وجه كان من الاقلاع فتلك أبعد الى الهلاك ﴿ التعليم الحادي والثلاثون ﴾ في علامات الموت قال أبقراط الحايات اللازمة التي لا تقلع إن كان ظاهر الجسد بارداً وداخله يحترق وكان بصاحبه عطش فتلك علامات موت ﴿ التعليم الثاني والثلاثون ﴾ في الانقباض والكزاز ، قال أبقراط من أصابه انقباض او كزاز فتبعت ذلك الحمى انحل مرضه ﴿ التعليم الثالث والثلاثون ﴾ قال أبقراط من كانت به حمى فاصابه حر شديد في جوفه ووجع في قلبه فذلك شر ﴿ التعليم الرابع والثلاثون ﴾ قال أبقراط من كانت به حمى فورمت شراسيفه وأشرفت وظهرت به قرقرة في جوفه فاصابه مع ذلك وجع صلبه فلم يتفرج بارواح تخرج منه او ببول كثير أو يتفرج باختلاف هلك ﴿ التعليم الخامس والثلاثون ﴾ في شرب الخربق قال أبقراط من أصابه انقباض من كثرة الاختلاف على شرب الخربق فذلك ميت ﴿ التعليم السادس والثلاثون ﴾ في القروح في الرئة والضمر في الرئة يكون ذلك في ثمانية عشر الى خمسة وثلاثين ﴿ التعليم السابع والثلاثون ﴾ في الماء الحار والبارد ، قال أبقراط الماء الحار إذا أدمنت عليه يرخي اللحم ويذهب بشدة العصب ويخدر العضل ويهيج الرعاف ويضعف النفس وإن دام ذلك مات ، والبارد يأتي بكزاز وتسود ويأتي بنافض وحمى ﴿ التعليم الثامن والثلاثون ﴾ في معرفة المياه قال أبقراط الماء الحار ينضج المدة وليس فى كل خرج ، ولنضج المدة علامات كثيرة وهي لين الجلد وضم الورم ، وإذا كان الماء الحار يفعل ذلك يذهب الوجع ويسكن النافض والانقباض والكزاز ويحل وجع الرأس ﴿ التعليم التاسع والثلاثون ﴾ فى أمور النساء قال أبقراط البخور بالطيب جلاب لطمث النساء نافع لذلك ولأشياء كثيرة غير ذلك إلا أنه يهيج وجعاً فى الرأس وصداعاً « التعليم الأربعون » قال أبقراط أيما امرأة ليست بحبلى ولا مرضعة وتجد فى ثديها لبناً فذلك دليل على أن دم طمثها

قد انقطع ﴿ التعليم الحادي والأربعون ﴾ قال أبقراط إن الأولاد الذكور أكثر ما يكونون في يمين الأرحام والاناث في يسراها « التعليم الثاني والأربعون » قال أبقراط النساء الحبالى اللاتي تصيبهن الحمى فتصلب عليهن فاولئك من غير علة معروفة تبين فان ذلك دال على هلاك ويسقطن فيهلكن « التعليم الثالث والأربعون » قال أبقراط أعط اللبن لمن يشتكي رأسه ولمن به عطش وأيضاً لمن به اختلاف من مرة صفراء وحمى حادة ولمن اختلف دماً كثيراً وهو موافق أن يعطى لمن به ضمر وقرح في رئته إذا لم يكن محموماً جداً ويعطى لمن كانت حماه لينة فاترة مزمنة من غير أن يكون به شيء من العلامات التي ذكرنا ويكون جسده ناحلاً جداً « التعليم الرابع والأربعون » في أزلاق الأمعاء ، قال أبقراط من أصابه زلق الأمعاء وطال به ثم تبع ذلك جشاء حامض لم يكن به قبل ذلك فذلك علامة خير وهو مرض يكون له ثلاثة أسباب من قبل ضعف المعدة أو من قبل بلغم بل المعدة أو من قبل قرح يكون في المعدة « التعليم الخامس والأربعون » قال أبقراط من أصابه وجع في رأسه وضربان شديد فذلك إن سال من أنفه أو من أذنيه أو من فمه قيح أو ماء حل وجعه « التعليم السادس والأربعون » قال أبقراط من أصابه انقطاع في مثانة أو دماغ أو قلب أو صفاق أو شيء من الأمعاء الدقاق أو في معدة أو في كبد فذلك كله مميت « التعليم السابع والأربعون » قال أبقراط من أصابه فزع أو خبث نفس زماناً كثيراً دائماً فذلك يصير الى المرة السوداء « التعليم الثامن والأربعون » قال أبقراط شرب الخمر صرفاً والكماد الحار وقطع العروق وشرب الدواء يحل وجع العينين « التعليم التاسع والأربعون » قال أبقراط ترك كل خراج سرطاني لا يعالج أفضل فان اصحابه إن عولجوا هلكوا سريعاً فان لم يعالجوا بقوا زماناً « التعليم الخمسون » قال أبقراط الخراج الذي ينتؤ سنة وأكثر من ذلك فلا بد من أن يقلع منه عظام ويبقى آثارها كالجرب « التعليم الحادي والخمسون » قال أبقراط ذهاب العقل الذي يأتي الضحك

معه يؤثر به ، وذهاب العقل مع الحزن والعبوس لا يؤثر به « التعليم الثاني والخمسون » قال أبقراط في الأمراض الحادة إذا بردت الأطراف فذلك شر « التعليم الثالث والخمسون » قال أبقراط من خرج في كبده خراج ثم تبعه فواق فذلك شر « التعليم الرابع والخمسون » قال أبقراط من كانت به حمى وكان ببوله ثفل غليظ شبيه بدشيش الطحين فذلك دليل على أن مرضه يطول « التعليم الخامس والخمسون » قال أبقراط من قاء دماً من غير أن تصيبه غلبة فهو يتخلص فان أخذته غلبة حمى فهو خبيث وينبغي أن يعالج بكل دبوغ اي من الأدوية الدابغة « التعليم السادس والخمسون » قال أبقراط من كان يتقيأ القيح فكوي وخرج القيح أبيض نقياً سلم صاحبه وإن خرج منتناً وسخاً هلك صاحبه وإن كان بكبده خراج قد قيح وكوي وخرج القيح نقياً ابيض سلم لأن القيح في صفاق الكبد وإن خرج القيح شبه ماء الزيتون هلك صاحبه « التعليم السابع والخمسون » قال أبقراط العطاس يكون من قبل الراس إذا سخن الدماغ او برد او ترطب ما بين الدماغ وصفاقه وامتلأ فيفرغ ذلك الهواء ويكون له نغنغة لأن مخرجه من ضيق ، فهذه ابواب كتاب الفصول .

وأما كتابه في تقدمة المعرفة فهو ثلاثة فصول وعشرون تعليماً [الأول] يخبر أبقراط كيف ينبغي للطبيب ان ينتحل تقدمة المعرفة فانه الذي يخبر المرضى بما بهم وما اصابهم قبل ذلك وما هو آتٍ عما يصيبهم وما اغفل المرضى ذكره وأن قوتها واسبابها إن كانت من اختلاط الجسد او غيره ونحو هذا [التعليم الثاني] يخبر فيه كيف ينبغي للطبيب ان يحسن النظر في الأمراض الحادة وكيف ينظر في وجوه المرضى إن كانت تشبه وجوه الأصحاء وعلامات الوجوه الدالة على الموت ونحو هذا [التعليم الثالث] يقول فيه إن كان للمرضى ثلاثة ايام واربعة والوجوه على حال وجوه الأصحاء وغير ذلك ينبغي ان يحسن الفكر فى الآيات والعلامات على ما تقدّم ذكره وفى علامات العينين واشفارها والأنف وانضجاع المريض وكيف ينبغي ان يعمل وما المهلك من

علاماته [التعليم الرابع] يصف رجلي المريض وأحوالهما وانضجاعه وحك الأسنان بعضها ببعض مع الحمى والدلائل في ذلك وإن كان بالمريض خرج أصابه في مرضه أو قبل مرضه وما يدل عليه ويصف اليدين واضطرابها وما يدلان فى ذلك [التعليم الخامس] يذكر النفس الكثير السريع وما يدل عليه ويذكر أفضل العرق فى الأمراض الحادة والعرق الفاضل والعرق البارد والعرق المتخبث ويذكر أن العرق يكون إما من ضعف الأجساد وإما من دوام خراج [التعليم السادس] يذكر صحة الشراسيف وإذا لم تكن صحيحة وضربان عروقها وما يدل في ذلك والأورام التي بجنب الشراسيف ويخبر عن الأورام وما يصيبها [التعليم السابع] يذكر فيه الخراجات وإذا أزمنت كيف ينبغي أن ينظر فيها وينعت مقاديرها وما يخرج منها وكيف ينبغي أن يخرج [التعليم الثامن] الحبن « ١ » الذي يكون من الأمراض الحادة والذي يكون من البزاق والذي من الكبد وما يصيب أصحاب الحبن من الأعراض اللاحقة بهم من أجله وعلامات تدل على الموت من اسوداد الأصابع والأرجل ونحو هذا [التعليم التاسع] يذكر تقابض الخصيتين والذكر ويذكر السبات والنوم وكيف ينبغى أن يكون والبراز وكيف ينبغى أن يكون [التعليم العاشر] يذكر فيه البراز كيف يجب خروجه وأسبابه وكيف ينبغي أن تكون البطن فى كل مرض وألوان البراز الدالة على الموت وغير ذلك ويصف الرياح والقراقر ونحو ذلك [التعليم الحادي عشر] يخبر عن البول الصحيح ثم عن البول إذا تغير وأصناف أثفال الأبوال من جهة المثانة [التعليم الثاني عشر] يذكر فيه القيء وأسبابه والنخمة وكيف تنفث ومما تختلط ولونها ويذكر العطاس فى جميع الأمراض التي تلي الرئة وما المميت فى ذلك وما المؤذن بانحلال المرض [التعليم الثالث عشر] يصف فيه النخامة فى أمراض الرئة ولونها مع الوان النخامات ويذكر

« ١ » الحبن بالحاء المهملة والباء الموحدة المفتوحتين ثم النون ، الاستسقاء والأحبن المستسقي اي الذي به مرض السقي . (م . ص)

فيه البول والبراز والعرق وما يدل كل واحد من هذا عليه [التعليم الرابع عشر] يذكر الخراجات القبيحة واوقاتها التي تنفجر فيها ويصف كيف كل ما يخرج منهـا وكونها في كل انسان [التعليم الخامس عشر] يذكر الخراجات الناتئة فيما يلي الآذان وما يحدث ذلك في الذين بهم أمراض الرئة وكيف الدلائل على ذلك والخراجات التي في سوق الذين بهم أمراض وما يلحقهم في ذلك [التعليم السادس عشر] يذكر الأوجاع الردية الذاهبة بالعقل ويذكر الحميات وأسبابها في ايامها [التعليم السابع عشر] يذكر تقدمة المعرفة في الأمراض الحادة العسرة المزمنة ويذكر حميات الربع وما يلحق اصحابها من أجلها والأيام التي تكون فيها ويذكر أوجاعاً تكون في الصدغين والجبهة ووجع الآذان وما يلحق المرضى [التعليم الثامن عشر] يذكر أوجاع الحلق المخنقة والحمرة في الرقبة والصدر والتنب وما يلحق المريض من علامات الهلاك في ذلك ويذكر أسباب الغرغرة وجراجات تكون (١) ... ووجع مولم في المفاصل وذكر الخراجات الناتئة في الشباب وشيئاً من أسباب الحمى [التعليم التاسع عشر] يذكر فيه الحمى ووجع الفؤاد وذكر الأيام التي تطول فيها الحمى مع أوجاع تكون في الحمى [التعليم العشرون] يخبر كيف ينبغي لمن أراد أن يحكم تقدمة المعرفة ان يعرف ما ينجلب من الأمراض التي لا تزال مؤلمة وكيف يعلم وخبر الأركان والعلامات وأجزاء السنة وأسباب البلدان ، فهذه تعليمات كتاب تقدمة المعرفة لبقراط .

فاما كتابه في الأهوية والازمنة والميـاه والأمصار ، فانه يخبر بما يعتري أهلها من الامراض الخاصة والعامة والمؤتلفة والمختلفة بحدود ثابتة ومعالم بينة [فالباب الاول] يقول إنه ينبغي لمن أراد طلب الطب طلباً صادقاً ان يفحص اولاً عن ازمنـة

(١) بياض في الاصل وفي العبارة سقط ، ولعله (مع ورم) وفي ص ٢٨ من كتاب تقدمة المعرفة المطبوع في النجف سنة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٧ م ، العبارة التالية (خراجاً مع ورم والم في مفاصله) . (م . ص)

السنة وما يحدث فيها لأن بعضها لا يشبه بعضاً بل بعضها مخالف لبعض وقد تختلف أيضاً في انقلابها بذاتها ﴿ والباب الثــاني ﴾ يقول إن السنين اللاتي تحفظ أزمنتها على اعتدالها ومراجعها فان الأمراض التي تحدث فيها تكون شبيهاً وعلى استوائها غير مخالفة ولا مشبهة والازمنة الكثيرة الانتقال فان الأمراض تعرض غير مستوية ولا متواتية وانحلالها عسر شاق ﴿ الباب الثالث ﴾ يقول إن الرياح الحارة والباردة العامة فيها تغير الأبدان ﴿ الباب الرابع ﴾ يقول ينبغي للطبيب أن يفكر في قوى المياه لانها متخالفة في المذاقة والوزن وكذلك تختلف في القوة اختلافاً شديداً ﴿ الباب الخامس ﴾ يقول في المياه كيف هي أراكدة أو لينة أوخاشنة سايلة أم (........) نواحي مشرفة صخرية ام صالحة رطبة النضج ﴿ الباب السادس ﴾ يقول إنه ينبغي للطبيب أن يفكر في الأرضين إن كانت جرداء عديمة الماء او شعراء كثيرة المـاء او عامرة او غامرة او مشرفة باردة ﴿ الباب السابع ﴾ قال ينبغي أن يذكر غذاء الناس في اي شيء لذاتهم أفي كثرة الشرب والأكل وحب الدعة ام حب العمل والأكل وأن يفحص عن كل واحد من هذه الأشياء في كل بلد ﴿ الباب الثامن ﴾ قال إن مضى شيء من الزمان والسنة فان الطبيب سيخبر بكل مرض عام يعرض لكل واحد من اهلها من قبل تغير أغذيتهم ﴿ الباب التاسع ﴾ قال إذا لم تكن الأمراض من فساد الهواء فانه لا ينزل باهل المدينة عامة ولكنه يكون متفرقاً فاذا فكر الطبيب في هذا النوع وفي هذه الأشياء فعلم علماً شافياً كيف تكون الأزمنة كان حرياً أن يكون علمه صواباً فان علم النجوم ليس بجزء صغير من علم الطب .

وأما كتابه في الأهوية والبلدان ، فانه وصف البلدان ومياهها وخواصها ﴿ فالقول الاول ﴾ في المدن وهي أربع مدائن فالاولى على سمت الاستواء ، والثانية على سمت الفرقدين ، والثالثة بازاء المشرق ، والرابعة بازاء المغرب (فالاولى) قال كل مدينة موضوعة بازاء الرياح الحارة هي التي وسط شرق الشمس الشتوي وغربه

فانها تهب اليها هبوباً دائماً وتكون في كن من أزاء الفرقدين ، ومياه هـذه المدينة كثيرة حارة تسخن في القيظ وتبرد في الشتاء ورؤوس سكان هذه المدينة رطبة بلغمية وبطونهم كثيرة الاختلاف دائمة ونساء هؤلاء الناس مرضى ذوات أسقام ابداً بكثرة طمثهن ولا يسقطن وليس ذلك من طبيعتهن ولـكن من قبل امراضهن فان حبلن أسقطن أكثر ذلك وأما الصبيان فيصيبهم الـكزاز والربو والسقم ورجالهم يعرض لهم البطن واختلاف الدم والسقم الذي يدعى ايـــالوس وحمى طويلة شتوية وليلية وبواسير في المقاعد وتعرض لهم الحمى المتلهبة والامراض الحادة والرمد الطويل فاذا أتت لهم خمسون سنة عرضت لهم الـنزلات من الدماغ فهيج بهم الفـالج العارض في جميع البدان

﴿ والمدينة التي ناحية الشمال ﴾ قال فان كل مدينة موضوعة بازاء ناحية الرياح الباردة مما يلي ناحية المغرب والمشرق والقطبين فان هذه الرياح رياحها البلادية وتكون مستورة من الرياح الحارة ومياهها يابسة بطيئة النضج حلوة اكثر ما تكون ، وسكان هذه المدينة اكثرهم اشداء أقوياء سوقهم الى الدقة اضطراراً وبطونهم خاشنة ورؤوسهم صلبة يابسة شديدة وينالهم الفتق وأسقامهم ذات الجنب والعلل الحادة وكثرة القيح وعروقهم تتقطع ويأكلون كثيراً ولا يعرض الرمد سريعاً فاذا مرضوا تصدّعت أعينهم ويصيبهم إذا بلغوا ثلاثين سنة رعاف كثير ولا تعرض لهم الاسقام الـكاهنية فان عرضت كانت شديدة ويطول أعمارهم وأخلاقهم وحشية غـير ساكنة ولا هادئة ونساؤهم يكن عواقر لبرد الماء ويبسه وذلك أن الطمث ربمـــا لم يكن على ما ينبغي فاذا حبلن اشتد عليهن الولاد ولا يسقطن ويقل غذاء أولادهن لبرد الالبان ويعرض لهن الـكزاز ووجع الرئة ويعرض للصبيان الماء الأصفر في الانثيين فاذا كبروا ذهب ويبطيء احتلامهم

(والمـدينة الموضوعه سمت الرياح التي من المطلع القيظي والشتوي) قال أبقراط وكل مدينة موضوعة ناحية شرق الشمس تكون أصح من المدينة الموضوعة ناحية الفرقـدين ومن الموضوعة ناحية الرياح الحارة ، والحرارة والبرودة فيها أقل وأيسر وأمراض اهلها

قليلة والمياه الكائنة سمت طلوع الشمس نيرّة مضيئة صافية طيبة الشم لينة لأن الهواء لا يكون فيها غليظاً والشمس تحول بينه وبين أن يغلظ ، وصورة سكان هذه المدينة حسنة الألوان نيرّة ضوية وأصوات رجالهم صافيــة حديدة يغضبون سريعاً ونباتها وأعشابها أقوى وأصح وهي في ذاتها وهيئاتها تشبه فصل الربيع في قلة الحر والبرد وأسقامها قليلة ضعيفة ونساؤها يعلقن كثيراً ويلدن بغير مشقة ﴿ والمدينة الرابعة سمت المغرب ﴾ هي في كن من الرياح الشرقية وتهب اليها الرياح الحارة والباردة من ناحية الفرقــدين فتــكون كثيرة الأمراض ومياهها غير نقية ولاصافية وإن علته الهواء الكأن عنــد الأسحار وذلك أن أسحار هذه المدينة تطول جداً والشمس لاتشرق فيها اولما تشرق حتى ترتفع وتعلو وتهب فيها رياح باردة في القيظ ويكون رجالها مصفارين مرضى تضير بهم الأمراض كلها وأصواتهم باحّة ونهــارهم ردي في أيام الخريف لكثرة تغــيره فهذا الباب الأول في المدن الأربع .

والقول الثاني في ﴿ الميــاه ﴾ وهي أربعة اصناف (أولها) المياه الراكدة مثل البطائح التي لا تجري ، والثاني العيون النابعة ، والثالث المياه التي تكون من الأمطار والرابع المياه التي تكون من الثلوج ، قال أبقراط الميــــاه الظاهرة المستوية على وجه الأرض التي لاتجري والأمطار تمطر عليها وتقوم معها ولاتنزع والشمس دائمة الاشراق عليها والاحتراق بها فتكون ردية لا لون لها تولد المرّة وتكون في الشتاء باردة جامــدة كدرة بلغمية تورث من يشرب منها الجوحة والطحال (........) وتكون بطونهم خاشنة وتهزل التراقي والوجوه وتنفحها ويكثر أهلها الطعم ويدفع ظماؤهم وعطشهم ويلزمهم المرض في الشتاء والصيف ويعرض لهم المــــاء الأصفر ويعرض لهم في القيظ اختلاف الأغراس وحمى ربع طويلة مزمنة ، وشباب هؤلاء القوم تعرض لهم أوجاع الرئة واسقام تخثر عقولهم ، وأمـــا الشيوخ فانه تعرض لهم حمى اللهبية تدل على تحرقه ييس بطونهم وأما نساؤهم فيعرض لهن أنواع الورم من قبل بلغم أبيض فلا يحبلن إلا بعد عسر ولا

يلدن إلا بمشقة ويكون أولادهن عظاماً وكلما عزلوا هزلوا ودقوا ، ويعرض للصبيان أدرة وللرجال سقم وقروح في سوقهم ولا يكون الأعمار فيها طويلة ويدخل عليهم الكبر سريعاً في ضمن الازمان وربما أصاب النساء ما يتوهمن أنه حبل ثم يبطل ومياه العيون النابعة من بعض الصخور ردية لانها خاشنة والعيون النابعة من أرض حارة ومن أرض معادن الحديد والنحاس والفضة والذهب والكبريت والشب والزفت والنطرون فان هذه كلها إنما تكون من شدة الحرارة فلا تكون من هذه الأرضين مياه نافعة مصلحة بل تكون عامتها خاشنة يعرض منها ومن شربها عسر البول وشدة الاختلاف ، والمياه التي تنصب عن مواضع مشرفة ومن تلال ترابية أفضل المياه وأصحها وهي حلوة لا تحتاج لكثرة مزاج الشراب وتكون في الشتاء حارة وفي الصيف باردة فهذه حالة المياه النابعة من العيون الغائرة ، وخير هذه المياه السائلة من أفق الشمس ولا سيما الشرق الصيفي لأنها بيضاء براقة طيبة الريح ، وكلما كان من المياه مالحاً بطيء النضج خاشناً فان الذين يشربون منه بلا حاجة اليه ليس بنافع لهم وإن بعض الطبائع والاسقام ربما انتفعت به وكلما كان طعم المياه الى الملوحة فكلها ردية مفسدة وكل عين تكون سمت شرق الشمس فماؤها خير المياه ثم بعدها العيون التي بين افق الشمس القيظي والغرب القيظي وأفضلها المائلة الى الشرق ثم التي بين مغرب الشمس الشتوي والقيظي وأردأها العيون التي في ناحية الجنوب ، فاما العيون التي تنزل أفق الشرق الشتوي والغرب الشتوي فما كان منها ناحية الجنوب فهي ردية جداً وما كان منها ناحية الشمال فهو خير ، فمن كان خاشن البطن فان المياه الخفيفة الصافية له نافعة ولمن كان بطنه ليناً لدناً بلغمياً ضارة فان المياه المالحة تسهل البطن فقد أخطأ الناس في ذلك ، ومياه الامطار خفيفة عذبة والشمس تختطف من الماء رقيقه وخفيفه وتصعد الماء من الأنهار والبحور والمواضع الرطبة ولذلك صارت مياه الامطار تعفن وتروح رائحة ردية لانها اجتمعت من رياح شتى فصارت أسرع عفناً وتغيراً فان الرطوبة التي تنشفها الشمس متفرقة لا تزال معلقة

في الهواء فاذا اجتمعت كلها والتفت بالرياح المتضادة اللاقية بعضها بعضاً انصبت حينئذٍ ولاسيما إذا كانت القايسة كما ينبغي ، وا كثر ما يكون هذا إذا استحكم اجتماع السحاب واستقبلته ريح أخرى فمزقته وإذا تزاحمت سحابة أخرى على السحابة الأولى وقطعتها انحدرت حينئذٍ الرطوبة من ثقلها وتمزقها الرياح فتكون الأمطار السابغة ، فهذه المياه أفضل المياه إلا أنه ينبغي أن تكون رائحته ردية ويعرض لمن شرب منها البحة والسعال وثقل الصوت وإذا طبخت لم يغن عنها الطبخ شيئاً ، وأما المياه التي تكون من الثلوج والجليد فكلها ردية لانها إذا جمدت مرة لم ترجع الى طبيعتها الاولى وما كان من الماء خفيفاً عذباً صافياً فهيا أفلت من الجمود وطار وما كان من الماء كدراً بقي على حاله ويعرف ذلك بانه لو صير في اناء في ايام الشتاء وكيل بكيل معلوم ووضع تحت السماء جمد فان وضع في الشمس حتى ينحل ثم كيل ذلك الماء وجد وقد نقص نقصاناً بيناً فذلك العلامة إن لطيف الماء يتنفس ولا يقع عليه الجمود ولا يتنفس ولا يبرح (.........) وماء الثلوج أردى المياه وإذا شرب الناس المياه المختلفة عرض لهم الاسر والحصاة في المثانة ووجع الخاصرة ووجع الوركين وفي الاثنيين أدرة ولاسيما إذا شربوا من مياه أنهار واسعة أو من بحيرة ينصب فيها من سيول شتى مختلفة لان منها العذب والمالح والشبي ومنها ماء السيل من مواضع حارة فاذا شربت عرضت الاسقام ، واللبن الردي يولد الحجارة في مثانات المرضعين والنساء لا تصيبهن الحصاة لان مبالهن واسع .

والقول ﴿ الثالث ﴾ في الازمنة إذا كانت سقيمة أو سليمة ، قال أبقراط إنه إن كان طلوع الكواكب وغيرها على ما ينبغي وكانت مياه كثيرة في الخريف وفي الشتاء يسيرة ولا يكون الصحو كثيراً ولا البرد فوق المقدار فكانت مياهها متعدلة في الربيع وفي القيظ كانت سليمة صحيحة ويصح الهواء ، وإذا كان الشتاء يابساً والربيع كثير الامطار جنوبياً عرض للناس في الصيف الحمى والرمد واختلاف الاغراس لكل ذي طبيعة رطبة ، وإذا كان في وقت طلوع الكوكب الذي يدعى الكلب

وهو الشعرى مطر كثير وشتاء وهبت الرياح على انوائها كفت الاسقام ورجي أن يكون الخريف صحيحاً فان لم يكن ذلك كان الموت في الصبيان وفي النساء وقل في المشيخة فمن نجا عرضت له الحمى الربع وربما آل الى جمع الماء الاصفر وإذا كان الشتاء جنوبياً كثير الامطار والربيع يابساً شمالياً فان النساء الحوامل يسقطن في فصل الربيع فان ولدن كان أولادهن مسقومين إما يموتون من ساعتهم وإما يعيشون مهازيل ، وأما سائر الناس فمنهم من يعرض له الا ختلاف ورمد يابس ومنهم من يعرض له النزلات من رأسه الى رئته فاما المبلغمون والنساء فيعرض لهم اختلاف الاغراس ، وأما أصحاب المرة الصفراء (. . . . .) فتعرض لهم النوازل لسخافة جلودهم وذبولة عصبهم وربما ماتوا فجأة وربما يبس جانبهم الايمن ، وما كان من الامصار يقابل شرق الشمس ورياحه سليمة ومياهه غائرة فقل ما يضيره تغير الهواء وكل مدينة يشرب أهلها ماء ساخناً بطاحياً وليست موضوعة سمت الشرق وليست رياحها سليمة ضير بأهلها تغير الهواء ، وإن كان الصيف يابساً عاماً ذهبت الامراض سريعاً ، وإن كان كثير الامطار طالت الامراض ، وإن عرض لاحد من الناس قرحة في هذه الاسقام أو البطن أو الماء الاصفر هلك ، وإذا كان الصيف كثير الامطار وكان جنوبياً والخريف كمثل ما كان الشتاء يابساً سقيماً فتعرض للمبلغمين والشيوخ أبناء أربعين سنة حمى تسمى القوسوس ، وأما أصحاب المرة الصفراء فيعرض لهم ذات الجنب ووجع الرئة ، وإذا كان الصيف يابساً جنوبياً وكان الخريف كثير الامطار شمالياً عرض للناس وجع الرأس وسعال وبحوحة وزكام وعرض لبعضهم السل ، وإذا كان الصيف يابساً شمالياً ولم يمطر عند طلوع الشعرى نفع أصحاب البلغم والرطوبات وأضر بأصحاب المرة الصفراء وربما نقلهم الى المرة السوداء ، والتغيير الكثير يكون في تصرف الشمس والتصرف الصيفي أكثر تغيراً من الشتوي والخريفي أكثر تغيراً من الربيعي ، وكل بلد يكثر تغير زمانه لا يكون مستوياً ويكون فيه

جبال طوال سامية شامخة وكل بلد يقل تغيرزمانه فهو مستوي .

ثم يذكر أبقراط اختلاف صور الناس في أحوالهم واعتدال خلقهم والسبب الذي أشبه بعضهم بعضاً وأن ذلك باتفاق الزمان والمطالع ويذكر حال الرجال والنساء في كثرة الأولاد وقلتهم وما يوجب النسل ويقطعه ، ويقولون إن سكان البلاد الشاهقة المسنوية الكثيرة المياه تكون صورهم حسنة وأجسامهم جسيمة وتكون غرائزهم الى اللين والتوأدة وليسوا باهل بأس وشجاعة ، ومن سكن أرضاً رقيقة قليلة المياه جرداء وكان مزاج هوائها غير معتدل كانت صورهم خاشنة والوانهم الى الصفرة أو الى السواد وأخلاقهم ردية وغضبهم شديد وطباعهم مخالفة بعضها بعضاً لأن باختلاف الأزمان يكون اختلاف الطبائع ثم بعد الازمان والبلاد الغذاء بالمياه لأن غذاء الانسان من بعد البلاد بالمياه

ثم تكلم أبقراط بعد ذلك في الرياح وهبوبها والتي تهب من موضع الى موضع وقسمها باربعة أقسام ويقول إن الريح من تخلل الهواء وإنما نشؤها من اصطكاك أجرام الهواء فهذه أغراض كتاب أبقراط في الأهوية والأزمنة الذي فسره ﴿ جالينوس ﴾ وشرح ما ذهب اليه أبقراط في فصل فصل ومعنى معنى ، فهذه كتب أبقراط التي عليها يعتمد واليها يرجع وهذه أغراضها وقد فسرها جالينوس وشرح كلما فصله له وذهب اليه وأبان عن قوله وترجم معانيه وأوضحها .

فاما كتاب ماء الشعير فانه يذكر فيه الأمراض الحادة التي تسمى وجع الجنب والرئة والبرسام والحمى المحرقة وأخبر كيف يشرب ماء الشعير والأيام التي يكون شربه فيها وكيف يدبّر ومتى الأوقات التي ينبغي أن يشرب فيها والأوقات التي تمتنع منها وما يكون الطعام عليه وذكر صنوفاً من العلل الحادة والأمراض المحرقة وقال في كل صنف منها .

وأما كتابه الذي يسميه (كتاب الأركان) فان معنى الأركان اي الطبائع الأربع الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وأركان البدن وهو العصب والعروق

والعظام والجلد والدّم فهذه اركان بها قوام العالم ، قال أبقراط إن الأجسام لو كانت شيئاً واحداً لم تصل الأوجاع اليها ابداً ولكنها من اشياء مختلفة وطبائع متباعدة مضر بعضها ببعض ، وطبيعة الانسان وسائر الحيوان إذا صارت على هذه الصفة فمن الضرورة أن لا يكون الانسان شيئاً واحداً بعينه وكذلك سائر الطبائع إنما قوامها بالرطوبة واليبس والحر والبرد ويتكلم في هذا بكلام واضح .

وكان لبقراط تلاميذ ترجموا كتبه وبعضهم عمل كتباً ونسبها اليه إقراراً له بالعلم والفضل فمنهم [دياسقوريدس] صاحب كتاب الأشجار والعقاقير فانه وضع كتاباً في منافع الاشجار وصور كل شجرة بصورتهـا وذكر ما تنفع له تلك الشجرة ، ومنهم ﴿ ارسجانس ﴾ صاحب (الكناش) الذي فيه صفة البدن ، فكان أحكم حكيم بعده وأهم عالم بالطب وأفهمه لما فسر من كتاب أبقراط هو جالينوس على تباعـد ما بينهما من السنين فان بينهما زماناً طويلاً غير أنه كالذي تلا أبقراط في الحكمة ولحق به في العلم وفسر كتبه وعمل كتباً كثيرة من كتب الطب التي عليها المعوّل واليهـا يرجع وكان رجلاً فيلسوفاً منطقياً حكيماً .

فأول كتب جالينوس كتاب في فرق الطب المخالفة بعضها بعضاً في الجنس وهي فرقة الرأي والفكر والقياس والفرقة الثانية فرقة التجارب والثالثة فرقة الحيل ، وكتاب في الطعام ، وكتاب في نبض العروق ، وكتاب في تشريح العصب ، وكتاب في تشريح العروق والاوراد ، ومقالتان في علل النفس ، وأربع مقالات في الصوت وكتاب في منافع الاعضاء سبع عشرة مقالة ، وكتاب في تشريح الرحم ، وكتاب في علامات العين ، وكتاب في طب أصحاب التجارب ، وثلاث مقالات في حركة الرئة والصدر ، وكتاب التشريح الكبير في خمس عشرة مقالة ، فالمقالة الاولى في العضل والرطوبات التي في اليدين ، والثانية في العضل الذي في الرجلين ، والثالثة في العصب والعروق والاوراد التي في اليدين والرجلين ، والرابعة في العضل الذي

يحرك الخدين والشفتين والعضل الذي يحرك اللحى الأسفل الى ناحية الرأس والى ناحية الرقبة والى ناحية الكتفين ، والمقالة الخامسة في عضل الصدر والعضل الذي على المتنين وعضل عظم الصلب ، والمقالة السادسة في آلات الغذاء وهي الأمعاء والبطن والكبد والطحال والكلى والمثانة والمرارة وما أشبه ذلك ، والمقالة السابعة في تشريح الفؤاد المقالة الثامنة في أجزاء الصدر المقالة التاسعة فى تشريح الفؤاد ، المقالة العاشرة في تشريح العينين واللسان والمريء وما يتصل به ، المقالة الحادية عشرة في الحنجرة والعظم الذي يتصل بها والعصب الذي تحتها المقالة الثانية عشرة في تشريح آلات التوليد يعني آلات المني والرحم والمذاكير ، المقالة الثالثة عشرة في تشريح العروق النابضة وهي الشريانات والعروق التي لا تنبض ، المقالة الرابعة عشرة في العصب المنبت من الدماغ ، المقالة الخامسة عشرة في العصب المنبت في الصلب

وله كتاب التشريح غير هذا في علة مقالات قد ذكر فيها الجلد والشعر والأظفار واللحم والشحم ولحم الوجه والأغشية التي تغشى بعض الأعضاء مثل غشاء القلب والمعدة والكلى والكبد والصفاقات والعضلة الفاصلة بين الصدر والبطن والمجاري والعروق النابضة وفصد العروق ومن أين تبتدئ العروق ومجاري البول فيما بين الكليتين والمثانة الى الذكر ومجراه من المثانة الى السرة في الطفل وأوعية المرة الصفراء والمنساء والمنخرين والمجاري الخارجة من الأذنين وقصبة الرئة وما ينبت منها وينبت في الرئة والأوعية التي في الثديين التي فيها اللبن وباقي الأشياء المفرعة التي في البدن التي تحويها الأوعية أي شيء من الرطوبات والاشياء المفرعة فى اي شيء من الاوعية وما في الرأس من الشؤون والالتحام وغير ذلك والشؤون التي في الوجه واللحى الأسفل وما فيه من النقب والالتحام والاسنان والعظم الذي على رأس قصبة الرئة وما يتصل من جنبتي الموضع والعظم العريض الذي في البطن والورك والاضلاع والكتفين والمنكبين وعظم الترقوتين والعضد وعظم الساق وعظام الكف والأصابع وعظم الفخذ والقصر (١) والذي على الركبة وعظم الساق وعظام القدم واشتراك قحف الرأس بالأغشية التي على

(١) القصر بفتحتين جمع القصرة وهو أصل العنق إذا غلظت . (م . ص)

الدماغ والعصب الذي ينبت في الوجه كله والعضل الذي في الصدغين والعضل الذي به يكون المضغ والعضل الذي يحرك الخدين والشفتين واللسان وما يحركه من العضل والعضل الذي يحرك العينين وبذكر الفم والشفتين واللسان واللثة واللهاة وطبق الحلقوم والنغانغ والأنف والمنخرين والأذنين والرقبة والعضل الذي فيهما والعضلة التي على الأصابع والعضلة التي تحت الترقوة وطبيعة الرقبة وعضل الحجاب والساعد ويقول في التشريح قولاً هذا غرضه فيه ﴿ ومقالتان ﴾ في علل النفس و (كتاب) القوى الطبيعية في الأفعال النفسانية (ومقالة) في البول من الدم (ومقالة) في الأدوية المسهلة ﴿ وكتاب ﴾ يسميه (آراء أبقراط وأفلاطون) في قوى النفس الناطقة وهي التخييل والفكر والحفظ ، ويقول إن الدماغ مبتدأ العصب والقلب مبتدأ العروق النابضة والكبد مبتدأ العروق التي لا تنبض ، والقوى التي يقوم بها البدن في عشر مقالات (ومنافع الأعضاء) في سبع عشرة مقالة (وكتاب) العناصر يخبر فيه أن الحار والبارد والرطب واليابس عناصر عامية لجميع الأجسام التي تقبل الكون والفساد والعناصر الأرض والنار والهواء والماء وعناصر بدن الانسان دم وبلغم والمرتان الصفراء والسوداء والعنصر هو أقصى جزء في الشيء الذي هو له عنصر ﴿ وكتاب الأمزجة ﴾ وهو ثلاث مقالات في تصنيف أمزجة أبدان الناس وتركيب البدن الفاضل وخصب البدن والمزاج الردى الذى ليس يستوى وقوى الادوية الركبة والادوية التي يسهل وجودها (وكتاب) حفظ الاصحاء (وكتاب) في الاطعمة (وكتاب) في الكيموس الجيد والردئ (وكتاب) في التدبير الملطف (ومقالة) في تصنيف الامراض (ومقالة) في علل الامراض (ومقالة) في تصنيف الامراض (ومقالة) في الغلظ الخارج من الطبيعة (ومقالة) في الامتلاء (ومقالتان) في تصنيف الحميات والامراض الباطنة ﴿ وكتاب ﴾ في أزمان الامراض (وكتاب) في عسر النفس ﴿ وكتاب ﴾ في البحرانات

(وكتاب) في نبض العروق ومعرفة كل واحد من أجناس النبض والأسباب الفاعلة لأصناف النبض ، وتقدمة معرفة في ست عشرة مقالة (وكتاب) حيلة البرء وهو كتاب بين فيه طريق شفاء جميع الأمراض وأتبع ذلك في هذا الفن (مقالة) في العلل الواصلة وهي العلل القريبة التي تصل ما بين العلة البعيدة والمريض (ومقالة) في البول من الدم في البدن (وكتاب) في فرقة أصحاب الحيل (ومقالة) في السل (ومقالة) في علاج صبي يرضع (ومقالة) في تدبير أبقراط للأمراض الحادة (ومقالة) في فصد العروق ، وفسر كتب أبقراط في فصل فصل وقول قول وبين الحال الحال فيه .

والذي تلا أبقراط من رؤساء الحكماء [سقراط] رأس الحكماء وأول من لفظ بحكمته ما حفظ عنه وسمع منه ، وحكي أن طيماوس قال له أيها المعلم لم لا تدون لنا حكمتك في المصاحف قال له يا طيماوس ما أوثقك بجلود البهائم الميتة وأشد تهمنك الجواهر الحية الخالدة وكيف وجود العلم من معدن الجهل والسبب منه من عنصر العقل فقال له أيعطبطش — تلميذه — لو أمليت علي كتاباً يخلد عنك فقال الحكمة لا تحتاج إلى جلود الضان ، وقال بعض تلامذته لو زودتنا كتاباً من حكمتك تسبر به عقولنا قال له سقراط لا ترغبن في تدوين حكمة في جلود الشاء حتى يكون ذلك أبلغ عندك من علمك ولسانك ، فلما حضرته الوفاة سأله تلاميذه أن يزودهم حكمة يرجعون اليها فتكلم فى أخلاق النفس ثم تكلم فى الفلك وقال إنه كري وكان قدسقي سماً فمات .

وبعده (فيثاغورس) وهو أول من نطق فى الأعداد والحساب والهندسة ووضع الألحان وعمل العود وكان فى زمن ملك يقال له (اغسطس) فهرب منه فتبعه وركب فيثاغورس البحر حتى صار الى الهيكل فى جزيرة فاحرقه الملك عليه بالنار وكان لفيثاغورس تلميذ يقال له (ارشميدس) فعمل المرايا المحرقة فأحرقت مراكب العدو فى البحر .

ومنهم ﴿ بلينوس ﴾ النجار الذي يقال له « اليتيم » وهو صاحب الطلسمات الذي جعل لكل شيء طلسماً .

ومنهم ﴿ أوجانس ﴾ صاحب الهندسة والقسمة وأنواع الفلسفة وكان يقال له « ديوجانس الكلب » وقيل له لأي شيء سميت الكلب قال لأني أهر على الأشرار وأبصبص للأخيار وآوي الاسواق .

ومنهم ﴿ افليموس ﴾ صاحب « مخانيقا » وهي الحركات التي بالماء مثل الصورة تعمل فيجر كها الماء من غير أن يحرك شيء منها ويخرجها من موضع ويحطها في موضع والآلات التي تحرك بالماء من غير أن تحرك فتخرج فيبتلعها وتخرج ايضاً وترتحل محققة وله أشكال ذلك تعمل فتصيح .

ومنهم ﴿ افليمون ﴾ صاحب الفراسة وكتاب بين فيه ما يدل عليه الفراسة في الخلقة والأصوات والشمائل وبرهن ذلك .

ومنهم ﴿ ديمقراطيس ﴾ وهو الذي يزعم أن العالم مركب من هباء وله كتاب في طبائع الحيوان وما يوافق منها طبائع الانسان .

ومنهم ﴿ افلاطون ﴾ وكان تلميذاً « لسقراط » وهو الذي تكلم في النفس وصفاتها مثل ما تكلم به أبقراط في الجسد وصفاته فقال إن النفس ثلاث قوى ، أحدها في الدماغ وبه يكون الفكر والروية ، والثاني في القلب وبه يكون الغضب والشجاعة والثالث في الكبد وبه يكون الشهوة والمحبة ثم اطرد الكلام في الروح النفسانية حتى وصف الأعضاء كلها ثم ذكر ما يصلح النفس وما يفسدها فقال إن كل عيب مضاد خلاص النفس فلا ينبغي أن نعد الحياة صالحة فقط ولكن موتاً صالحاً وينبغي أن نعد الحياة والموت صالحين .

ومنهم ﴿ إقليدس ﴾ صاحب كتاب إقليدس في الحساب وتفسير إقليدس المفتاح على ما قال بطلميوس أنه مقدمة لمعرفة الحساب ومفتاح علم كتاب المجسطي في

النجوم ومعرفة الأوتار التي تقع على قسي قطع الدوائر التي هي أفلاك الكواكب التي يسمنها المنجمون الكردجات لتعديل مسير الكواكب في الطول والعرض وسرعتها وابطائها واستقامتها ورجوعها وتشريقها وتغريبها ومساقط شعاعها وعلم ساعات الليل والنهار ومطالع البروج واختلاف ذلك في أقاليم الأرض وحساب القران والاستقبال وكسوف الشمس والقمر واختلاف النظر من آفاق الأرض في جميع نواحي السماء وكتاب [اقليدس] ثلاث عشرة مقالة ولها من الأشكال في هذه الثلاث عشرة مقالة اربعمائة واثنان وخمسون شكلاً بالبرهان والشرح الذي إذا فهمه من يطلب علم الحساب سهل عليه كل باب من الحساب وانفتح له فيبتدئ بذكر الأسباب التي منها يزلف العلم وبمعرفتها يحاط بالمعلوم وهي الخبر والمثال والخلف والترتيب والفصل والبرهان والتمام ، فاما الخبر فهو خبر المقدم على الجملة قبل التفسير ، وأما المثال فهو صورة الاشكال المخبر عنها المدلول بصفتها على معنى الخبر ، وأما الخلف فهو خلاف المثال وصرف الخبر الى مالا يمكن ، وأما الترتيب فهو تأليف العمل المتفق على مراتبه في العلم ، وأما الفصل فهو الفصل بين الخبر الممكن وغير الممكن ، وأما البرهان فهو الحجة على تحقيق الخبر وأما التمام فهو تمام العلم بالمعلوم ﴿ والمقالة الأولى ﴾ في النقطة التي لا جزء لها والخط الذي هو طول بلا عرض وهو سبعة وأربعون شكلاً ﴿ المقالة الثانية ﴾ في كل سطح متوازي الأضلاع قائم الزوايا يحيط به الخطان المحيطان بالزاوية القائمة وهي أربعة وأربعون شكلاً ﴿ المقالة الثالثة ﴾ في الدوائر المتساوية التي أقطارها متساوية والخطوط التي تخرج من مراكزها الى الخطوط المحيطة بها والخط الماس الدائرة الذي يجوزها ولا يقطعها وهي خمسة وثلاثون شكلاً ﴿ المقالة الرابعة ﴾ إذا كان شكل في شكل وكانت زوايا الشكل الداخل تماس أضلاع الشكل الخارج وهي ستة عشر شكلاً ﴿ المقالة الخامسة ﴾ في الجزء الذي هو مقدار الاكبر من المقدار الأصغر من الأعظم إذا كان يعده وهي خمسة وعشرون شكلاً ﴿ والمقالة السادسة ﴾ في السطوح المتساوية

التي زوايا كل سطح منهـا متساوية لزوايا السطح الآخر ، والأضلاع التي تكون تحيط بالزوايا المتساوية متناسبة ، والسطوح المتكافية الأضلاع التي تكون أضلاعها متناسبة وهي إثنان وثلاثون شكلا ﴿ المقالة السابعة ﴾ في الواحد والعدد الزوج الذي ينقسم بقسمين متساويين ، والعـدد الفرد الذي لا ينقسم بقسمين متساويين ويزيد على الزوج بواحـد والعدد الذى يسمى زوج الزوج وهو الذى كل زوج يعـده بعدة مرات عددها زوج والعدد الذى يسمى زوج الفرد وهو الذى كل زوج يعده بعدة مرات عددها فرد ، والعدد الذى يسمى فرد الفرد وهو الذى كل فرد يعده بعدة مرات عددها فرد ، والعدد الذى يسمى أول هو الذى يعده الواحد فقط ، والأعداد التى كل واحد منهـا أول عنـد الآخر هي التي ليس بها عدد مشترك يعدها جميعاً إلا الواحد فقط ، والعدد المركب هو الذى يعده عدد آخر ، والأعداد التى كل واحد منها مركب عند الآخر هى التي يعدها عدد آخر مشترك لهـا ، والعدد المضروب في عدد آخر هو الذى يضاعف بعدة ما فى المضروب فيه من الآحاد ويكون ما اجتمع عدداً آخر ، والعدد المربع هو المجتمع من ضرب عـدد فى نفسه ويحيط به عددان متساويان ، والعـدد المكعب هو المجتمع من ضرب عدد فى نفسه ثم فى نفسه ويحيط به ثلاثة أعداد متساوية ، والعـدد المسطح هو الذى يحيط به عددان ، والعدد المصمت هو الذى يحيط به ثلاثة أعداد ، والعدد التام هو المساوى لجميع أجزائه ، والأعداد المناسبة هي التي تكون فى الأول منها من أضعـاف الثاني مثل ما في الثالث من أضعاف الرابع ، والأعداد المسطحة والمصمتة المتشابهة هي التى أضلاعها متناسبة ، وهذه المقالة تسعة وثلاثون شكلا ﴿ والمقالة الثامنة ﴾ فى الأعداد التى تلي بعضها بعضاً والطرفين اللذين كل واحد منهما أول عند الآخر وهى خمسة وعشرون شكلا ﴿ والمقالة التاسعة ﴾ في ضرب الأعداد المسطحة المتشابهة وما يكون من ضرب العدد فى العدد المربع والأعداد التى يعـد بعضها بعضاً فى العدد المكعب وما يكون من ضرب المكعب في عدد غير مكعب وما يكون من الأعداد المؤلفة على نسب يتلو بعضهـا

بعضاً من المربع وكيف يكون المكعب وما يكون من الأعداد المتناسبات من المصمت المكعب والمسطح ، والأعداد التي يعد بعضها بعضاً وكيف ينتقص الأزواج من الازواج والأفراد من الأفراد والأزواج من الأفراد والأفراد من الأزواج وهي ثمانية وثلاثون شكلا ﴿ المقالة العاشرة ﴾ فى الخطوط التي يكون لها مقدار واحـــد مشترك يقدرها جميعاً يقال لها المتقادرات والخطوط المتباينات التي ليس لها مقدار واحد مشترك يقدرها جميعاً والخطوط المتقادرات التي يكون لمربعاتها سطح واحد يكون مقداراً لها يقدرها وهي مائة وأربعة أشكال ﴿ المقالة الحادية عشرة ﴾ فى المصمت الذي له طول وسمك وسطح وهي أحد وأربعون شكلا ﴿ المقالة الثانية عشرة ﴾ فى السطح الكثير الزوايا المتشابهة التي قدر بعضها عند بعض فى الدوائر كعدد المربعات التي تكون من أقطار الدوائر وهي خمسة عشر شكلا ﴿ المقالة الثالثة عشرة ﴾ وهي آخر مقالات اقليدس في خط يقسم على ذات وسط وطرفين وهي واحد وعشرون شكلا .

ولا قليدس هذا كتاب فى المناظر واختلافها من مخارج العيون والشعاع يقول فيه إن الشعاع تخرج من العين على خطوط مستقيمة وتحدث بعدسموت لا نهاية لكثرتها فان الأشياء التي يقع عليها الشعاع تبصر والتي لا يقع عليها الشعاع لا تبصر ويمثل فى ذلك أشكالا مختلفة يبين بها مخرج النظر وكيف يختلف عدة الأشكال التي يبين بها ذلك أربعة وستون شكلا .

ومنهم [نيقوماخس] الحكيم الفيثاغوري وهو الذي يسمى القاهر عند المفاضلة وهو أبو أرسطاطاليس وله كتاب [الارثماطيقي] الذى قصد فيه لابانة الأعداد وذكر ما تقدمت به الفلاسفة ، فقال نيقوماخس إن القدماء الأولين الذين أظهروا العلم ونفذوا فيه وكان أولهم فيثاغورس حدوا بان قالوا إن الفلسفة معناها الحكمة وإن اسمها مشتق منها فقالوا الحكمة حقيقة العلم بالأشياء الدائمة وافتن فى صدر الكتاب فى ذكر الحكمة وفضلها وما قالته الحكماء فى فضيلة العلم ثم افتتح كتابه فقال إن جميع ما فى الدنيا من الأشياء

الحكم فى الطبيعة تقديرها إنما هي بالعدد وقد يحقق القياس قولنا إن العدد بمنزلة المثال الذى يحتذى عليه وهو كله بكماله معقول وهذه الأشياء التى تلحقها الكلمة الكمية وهيّ أشياء مختلفة فمن الاضطرار أن يكون هذا العدد اللازم بهذه الأشياء مؤلفاً مقدراً على حدته لا من أجل غيره فان كل مؤلف إنما هو من أشياء مختلفة لا محالة ومن أشياء موجودة فان التى ليست بموجودة لا يقدر على تأليفها وما كان منها موجوداً إلا أنها غير متشاكلة يمكن تأليفها والاشياء المؤتلفة إنما تألفت من أشياء موجودة مختلفة متشاكلة لانه إن لم يكن مختلفاً فهو واحد لا يحتاج إلى إيتلاف فان لم يكن متشاكلا فليس بمتجانس وإن ليس متجانساً فانما هو متضاد لا يقع به إيتلاف والعدد هو من هذه الاشياء فان فيه نوعين مختلفين متشاكلين متجانسين وهو الزوج والفرد فان إيتلافهما على حسب اختلافهما تألفاً مشتبكاً لا انقضاء له [فالقول الاول] من الارثماطيقي فى أبواب أحدها حدود العدد وهو ينقسم قسمين يقال لاحدهما الفرد والآخر الزوج فالفرد ينقسم ثلاثة أقسام منه أول غير مركب وهو الذى لا يعده عدد مثل سبعة واحد عشر ومنه ثاني مركب وهو الذى له عدد مثل تسعة وخمسة عشر ومنه ثالث مركب بطبعه وعند الاضافة إلى مركب آخر أول وهما اللذان لكل واحد منهما عدد يعده وليس لهما عند المقايسة عدد مشترك مثل تسعة إلى خمسة وعشرين ، والزوج ينقسم ثلاثة أقسام منه زوج الزوج وهو المنقسم أزواجاً إلى الوحدانية مثل أربعة وستين ومنه زوج الفرد وهو المنقسم مرة واحدة بنصفين ثم يقف مثل أربع عشرة وثماني عشرة ومنه زوج الزوج والفرد وهو الذى لا ينقسم نصفين اكثر من مرة ولا ينتهي إلى الوحدانية وتكلم فى هذا بكلام مشروح [والقول الثاني] فى الكمية المفردة وهو العدد الزائد والعدد المعتدل والناقص فاما الزائد فهو الذى تزيد جملة أجزائه على جملته إذا اجتمعت الاجزاء مثل اثني عشر وأربعة وعشرين فان الاثني عشر لها نصف وثلث وربع وسدس وجزء من اثني عشر فاذا جمعها زاد العدد ، والمعتدل الذى تعادل جملة أجزائه

جملته مثل ستة وثمانية وعشرين فان لستة نصفاً وثلثاً وسدساً فيكون مبلغه إذا جمع ستة سواء والناقص الذي تنقص جملة أجزائه من جملته مثل ثمانية وأربعة وعشرين فان الثمانيـة لها نصف وربع وثمن فاذا اجتمع كان سبعة ونقص واحداً وجعل في ذلك أشكالا وأصح القول [القول الثالث] في الكمية المضافة وهي تنقسم قسمين أحدهما المعادلة لما اضيف اليها مثل المائة المعادلة للمائة والعشرة المعادلة للعشرة ومنه الخروج عن الاعتدال وينقسم قسمين أحدهما كبير والآخر صغير فالكبير ينقسم خمسة أقسام ، فمنه المتضاعف مثل اثنين من أربعة وأربعة من ثمانية ، ومنـه الزائد جزءً مثل ثلاثة عند أربعة فان الأربعـــة مثلها ومثل ثلثها ، ومنه الزائد جزءين مثل ثلاثة وهي أول الأفراد إلى الخمسة وهي الثانية من الأفراد فحدث زيادة جزءين ثم على هـذا الترتيب تحدث زيادة أجزاء ، ومنه المضاعف الزائد جزءً وهو يظهر بين عـددين أحدهما مثل الآخر ومثل جزء منه كالخمسة إذا أضيفت إلى الاثنين فانه مثل مضاعف الاثنين وزيادة جزء ، ومنه المضاعف الزائد جزءين مثل أربعة عند واحد ، والصغير ينقسم على خمسة أقسام منه تحت المضاعف ومنه تحت الزائد جزء ومنه تحت الزائد أجزاء ومنه تحت المضاعف أجزاء ، ثم يقول في الاعداد الثلاثة التي أحدها كبير والآخر وسط والثالث صغير فاذا طلب اعتدالهـا ألقى من الاوسط مثل الاصغر ومن الاعظم مثل ما بقي من الاوسط ومثل الاصغر فاذا تعادلت الاعداد فقد تمت إضافتها ، ثم يقول فيما يزيد من الاعداد وينقص في المضاعفات ويجعل لذلك شكلا مثلثاً بركنين وفي الشكل واحد وعشرون بيتاً ، فالاول ستة أبيات وأوله واحد ثم يضعفه إلى اثنين وثلاثين ، والثاني خمسة أبيات وأوله ثلاثة ثم يضعفه إلى ثمانية وأربعين ، والثالث أربعة أبيات وأوله تسعة ثم يضعفه إلى اثنين وسبعين ، والرابع ثلاثة أبيات وأوله سبعة وعشرون ثم يضعفه إلى مائة وثمانية ، والخامس بيتان أوله واحد وثمانون ويضعفه فيصير مائة واثنين وستين ، والسادس بيت وهو آخر مائتان وثلاثة وأربعون ، ثم

يقول في العدد المربع الذي يزيد عليه ضعفه ، ثم يتكلم في السطوح والخطوط والنقط ويصف السطوح المثلثة والمربعة والمسدسة والأضلاع التي يقوم بها السطوح ومسائحها ﴿ ثم يقول ﴾ في العدد المخمس ذي الأضلاع المعتدلة المخمسة وكيف نموها ثم المسدسة ثم المسبعة ثم المثمنة ثم يصف كيف تركيبها ويضرب لها جدولاً خمسة في تسعة ويتكلم في أجزاء من المثلثات والمربعات والمخمسات والمسدسات مما له جرم بلا سطح وماله جرم وسطح ﴿ ثم يقول ﴾ في تركيب الأشياء التي تركب من أخلاط شتى [ثم يقول] في الوسائط التي هي ثلاثة أنواع واحد للحساب والثاني للمساحة والثالث لتأليف اللحون ﴿ ويقول ﴾ إن بعض الأولين جعلوها عشراً وبين وسائط الحساب ووسائط المساحة ووسائط اللحون ويتكلم في كل نوع منها بكلام مشروح وبرهان بين .

ومنهم ﴿ أراطس ﴾ الذي عمل صورة الفلك كهيئة البيضة فحكى بها الفلك وصور فيها البروج .

ومنهم ﴿ أرسطاطليس ﴾ بن نيقماخس الجهراسيني وكان تلميذاً لافلاطون فتكلم في العالم العلوي والسفلي في صلاح العالم وفساده وفي أخلاق النفس وفى حقيقة المنطق ووضع أصول الحكمة وانقسامها وتشعبها فاول كتبه ﴿ كتاب المدخل ﴾ إلى علم الفلسفة وهو الذي يسمى باليونانية « ايساغوجي » فاوله ذكر الحد وماقوام الحد ومن أين اشتق اسم الحد وما فضيلة الحد وما فيه فساد الحد والفرقة بين الحد والمحدود ﴿ والثاني ﴾ ذكر الفلسفة وكيف اشتقت ﴿ والثالث ﴾ كتاب قوى النفس التي هي بالفكر والغضب والشهوة فما خرج عن هذا الاعتدال كان فاسداً ﴿ والكتاب الرابع ﴾ فى المنطق الذي هو أصل الفلسفة ﴿ والكتاب الخامس ﴾ يذكر فيه انقسام الأشياء ضربين ما لابد منه كالغذاء وما منه بد كتنظيف الثوب ﴿ والكتاب السادس ﴾ فى الأمور وهي ثلاثة واجبة كقولك النار حارة وممكنة كقولك زيد كاتب وممتنعة كقولك النار باردة ﴿ والكتاب السابع ﴾ فى الجنس

وهو ثلاثة اقسام جنس العادة وجنس الطبيعة (. . . . .) ﴿ والكتاب الثامن ﴾ يذكر فيه ما لا يتجزأ وهو ينقسم على أربعة إما لأنه لا أجزاء له كالنقطة وإما لصغره كحبة الخردل وإما لصلابته كالحجر وإما أنه لا على أجزاء ﴿ والكتاب التاسع ﴾ في المناسبة وهو على أربعة إما طبيعة كمناسبة الأب لابنه وإما مهنة كمناسبة التلميذ معلمه وإما مشيئة كمناسبة الصديق صديقه وإما عرضية كمناسبة العبد سيده ، ثم كتبه بعد ذلك في أربعة أنواع ، أحدها المنطقيات ، والثاني في الطبائع ، والثالث فيما يوجد مع الأجسام ويواصلها ، والرابع فيما لا يوجد مع الأجسام ولا يواصلها ، وكتبه في المنطق ثمانية فالأول سمي ﴿ بقاطيغورياس ﴾ وغرضه فيه القول على المقولات المفردة العشر ورسمها بما يميز به كل واحد منها من غيره ومما يعمها ويعم العدة منها وما يخص كل واحد منها فتحد الأشياء التي تقدمها في الوصف ولشبه منها أن جوهراً محمولا وجوهراً حاملا ليس بجوهري فيه بل عرضي وأن عرضاً حاملا وعرضاً محمولا عليه أي منقولا عليه (. . . . . . .) ايبين أن جواهر محسوسة وأعراضاً ثواني غير محسوسة مقولة على المحسوسة وأعراضاً محسوسة وأعراضاً ثواني غير محسوسة مقولة على المحسوسة ويبين عن العشرة باعيانها وبرسومها وعوامها وخواصها ، وهذه العشرة الجوهر ثم الكمية ثم الكيفية ثم المضاف ثم الأين ثم المتى ثم الفاعل ثم المفعول ثم الوضع ثم الجد ، وانما سمي كتاب المقولات لأن هذه الأسماء أجناس وهي مقولة من الأنواع والواحد بمنزلة الجوهر فانه مقول على الجسم والجسم مقول على المتنفس وغير المتنفس والمتنفس مقول على الحيوان والنبات والحيوان مقول على الانسان والفرس والأسد والانسان مقول على زيد وعمرو وخالد التي هي غير متجزئة والفرس على هذا الفرس بالاشارة وذلك الفرس بالشبه والكمية مقولة على المتصلة والمنفصلة وسائر اجزائها وكذلك سائر جميع الأجناس ﴿ والثاني ﴾ هو المسمى بـ « كتاب التفسير » وغرضه فيه القول على التفسير للقضايا المقدمات للمقاييس العلمية أعني الجوامع التي هي أخبار موجبه أو سالبة أو (........)

ما في أوله فبين عما منه يكون القضايا من الاسم والحرف والقول والتصريف والمخبر عن القول وعن القضايا المؤلفة من اسم وحرف وثالث ورابع كقولنا « النار هي حارة » وما يعرض في ذلك وفي الفحص عن أي القضايا أشد تناسباً الموجبة اسالبها أم الموجبة للموجبة المضادة لها ، وإنما سماه كتاب التفسير لأنه أراد المقالة على الجزم والبسيط القول الذي ليس فيه اشتراك اسم وأراد أن يفصل بينه وبين القول الذي ليس بجازم الذي يكذب ولا يصدق وهو تسعة ، الاستخبار كقولك « من أين جئت » والدعاء كقولك « يا فلان اقبل » والراغب كقولك في الأمر (إني أطلب اليك أن تفعل كذ وكذا) والتعجب كقولك في الامر « ما الذي يكون من هذا » (.........) كقولك « أقسمت بالله لتذهبن » والشك كقولك « لعل الامر على ما قيل » والوضع كقولك « تكون هذه الضيعة وقفاً على المساكين » والمجازى كقولك « إن فعلت كذا وكذا أجزتك بكذا » والمقالة قد تلغب القاباً شتى في جهات مختلفة فاذا كان القول يوجب شيئاً لشيء سمي « موجبة » وإذا كان يفلت شيئاً سمي « سالبة » فاما إذا كان مقدماً ليستخرج منه شيء سمي « مقدمة » فاذا كان مستخرجاً من مقدمات قبله سمي « نتيجة » وإذا كانت مقدمات ونتيجها معها سمي « صيغة » ﴿ والثالث ﴾ المسمى ﴿ أنو ليطيقا ﴾ ومعناه النقائص ، وغرضه فيه الابانة عن الجوامع المرسلة أعني ما هي وكيف هي ولِمَ هي ، وغرضه النوع الجامع للمعاني الثلاثة وما قيل على الجامعة المرسلة ووجود الجامعة وكيف تركيب الجوامع وكم نوع يكون وما الذي يظهر من صوادقها بذاته وما الذي يظهر من الحركة ﴿ والكتاب الرابع ﴾ المسمى ﴿ ابود قطيقا ﴾ ومعناه الاصلاح ، وغرضه فيه الابانة عن الامور المتضحة البرهانية وكيف هي وما ذا ينبغي أن يؤلف ، ويسمى هذا الكتاب « البيان والبرهان » لانه يصف فيه التميز الذي يميز به الحق من الباطل والصدق من الكذب ، فيقول إن المقدمات على جهة المقدمة المجتمعة عليها المعروفة عند العامة المركبة من الجزءين السابقين في العلم

بمنزلة قول القائل « كل انسان حي » والثانية الموجبة للمجادلة فانها وإن كانت صحيحة في نفسها فانها مجهولة عند العامة وهي تحتاج الى وساطة يعرف بها صحتها بمنزلة قولنا « كل انسان جوهر » ﴿ فأما كتابه ﴾ الخامس المسمى ﴿ طوبيقا ﴾ فغرضه فيه الابانة عن الأسماء الخمسة التي هي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض عن الحد فتعرف مائية الجنس ومائية النوع لئلا يذهب عن أحدها الجنس والنوع فانما يعرف هذا بالفصل الذي يفصل بين النوع والجنس وماخاصية كل واحد منهما أوما الأعراض من الجواهر (وأما كتابه) السادس وهو المسمى ﴿ سوفسطيقا ﴾ فغرضه فيه القول على المغالطة ويقول كم نوع يكون المغالطة ويخبر كيف الاحتراس من قبول تلك الأغاليط ، وهو الذي رد فيه على السوفسطائية (وأما كتابه) السابع وهو المسمى ﴿ ريطوريقا ﴾ ومعناه البلاغة في الأنواع الثلاثة في الحكومة وفي المشورة وفي الحمد وفي الذم والجامع لهـا التقريظ (وأما كتابه) الثامن وهو المسمى [فوايطيقا] فغرضه فيه القول على صناعة الشعر وما يجوز فيه الشعر ومايستعمل من الأوزان وكل نوع (. . . . .) فهذه اغراضه في كتبه المنطقيات الأربعة المقدمة والاربعة التاليه .

فأما كتبه الطبيعية (كتاب) سمع الكيان ، وهو الخبر الطبيعي إنه بين فيه عن الاشياء الطبيعية وهى الخمسة المشتملة على الطبائع كلها التي لا وجود لشيء من الطبائع دونها وهى العنصر والصورة والمكان والحركة والزمان فانه لاوجود لزمان إلا بحركة ولا وجود لحركة إلا بمكان ولا وجود لمكان إلا بصورة ولا وجود لصورة إلا بعنصر وهذه الخمسة منها اثنان جوهران وهما العنصر والصورة وثلاثة أعراض جوهرية ﴿ والثاني ﴾ هو المسمى (كتاب السماء والعالم) وعرضه فيه الابانة عن الاشياء الفلكية غير ذوات الفساد وهى صنفان [أحدها] صنف مستدير الصنعة وحركته الاستدارة وهو الفلك المحيط بالاشياء وهو ركن خامس لا يلزمه الكون ولا الفساد [والصنف الثاني] الفلكي المستدير بالتكوين وإن لم يكن مستديراً بالحركة وهي

الأربعة الاركان (النار ، والهواء ، والأرض ، والماء) فان هذه ليست بمستديرة الحركة بل مستقيمة الحركة مستديرة بالكون ، والمستديرة الكون هي التي يكون بعضها من بعض بالانقلاب بمنزلة الشيء الذي يستدير وينقلب بمنزلة النار التي تستدير وتنقلب فتكون من الهواء والهواء من الماء والماء من الارض وكل واحد من هذه الاركان يستدير بالكون بعضه على بعض فالنـار والهواء الى فوق والمـاء والأرض الى أسفل (وكتابه الثالث) وهو المسمى ﴿ كتاب الكون والفساد ﴾ وغرضه فيه الابانة عن مائية الكون والفساد ككون الماء هواءً والهواء ماءً وكيف يكون وكيف يفسد بالطبيعة ﴿ والكتاب الرابع ﴾ في الشرائع وهو (كتاب المنطق في الآثار العلوية) وغرضه فيه الابانة عن عرض الكون والفساد وكون كل كائن وفساده ممـا بين نهاية فلك القمر الى مركز الأرض فيما بين الجو وما على الأرض وما في بطنها وعن الآثار العارضة فيها كالسحاب والضباب والرعد والبرق والريح والثلج والمطر وغيـر ذلك (وكتاب) في المعادن وهو (الخامس) وغرضه فيه الابانة عن كون الأجرام المتكونة في باطن الأرض وكيفياتها وخواصها وعوامها والمواضع الخاصة بها (والكتاب السادس) في الابانة عن علل النبات وكيفياته وخواصه وعوامه وعلل أعضائه ومواضع الخـاصة به وحركاته ، فهذه أغراضه في كتبه الطبيعية .

فاما كتبه النفسانية فهما كتابان فكتابه ﴿ الأول ﴾ منهما كتاب النفس وغرضه فيه الابانة عن مائية النفس وقوامها وفصولهـا وتفصيل الحس وتعديد أنواعه وفضـائل النفس وعاداتها والأمور المحمودة منها والأمور المذمومة منها ، فالمحمودة المنطق والعدل والحكمة والحكم والحلم والشجاعة والقوة والجوءة وشرف النفس والتحرج ، والأمور المذمومة منها الجور والفسق والنفاق والغشم والكذب والنميمة والخيانة (والكتاب الثاني) في الحس والمحسوس والابانة عن علل الحس للمحسوس ، وغرضه فيه أن يخبر ما الحس والمحسوس وكيف يقبل الحس الأشياء المحسوسة وكيف يكون الحس والمحسوس شيئـاً

واحداً و هما مختلفان في الأدوات وهل الأشياء بذواتها وأجرامها أم بذواتها دون أجرامها ﴿ ثم كتابه ﴾ في الكلام الروحاني ، وغرضه فيه ذكر الصورة المجردة من الهيولى التي في العالم الأعلى والقوى الروحانية ومعرفة اتصال قوى تلك الصور بالقوى الطبيعية وهل هي بحركة او بلاحركة وكيف يدبر تلك القوى هذه القوى وإن كل واحد من القوى الجرمية الغليظة جزء من تلك الأشياء الشريفة ، وبين ما العقل وما المعقول وما النفس الكلية وما هبوطها وطلوعها (ثم كتابه) في التوحيد فقال إن العلية الثانية علة العلل والدهر تحتها وهي مبدعة الاشياء والابداع لها ، وقال في هذا قولاً بين فيه التوحيد .

فاما كتبه في الخلق (. . . . .) والابانة عن أخلاق النفس والسعادة في النفس والبدن وتدبير العامة والخاصة وتدبير الرجل امرأته والسياسة وتدبير المدن وقصص أهل التدبير للمدن ، فهذه أغراض كتب (أرسطاطاليس) الحكيم المذكورة الشريفة وما بعدها من الكتب فتبع لها .

ومن حكماء اليونانيين ﴿ بطلميوس ﴾ وهو الذي وضع كتاب المجسطي وكتاب ذات الحلق وذات الصفائح وهي الاسطرلاب والقانون فأما كتاب (المجسطي) ففي علم النجوم والحركات وتفسير المجسطي الكتاب الاكبر ، وهو ثلاث عشرة مقالة فابتدأ (المقالة الاولى) من المجسطي بذكر الشمس لانها الاس لا يوصل الى علم شيء من حركات الفلك إلا بها فقال في (الباب الاول) إن الشمس فلك خارج المركز عن مركز العالم قد سمت ناحية منه مصعدة نحو ما يحاذى بها من فلك البروج متباعدة عن مركز الارض ودنت الناحية الاخرى منه منحدرة نحو الارض متباعدة عما يحاذى بها من فلك البروج ، فموضع السمو هو الموضع الذي فيه تبطيء الشمس وموضع الدنو هو الذي فيه تسرع ، ثم تكلم في ذلك بقول واضح (والباب الثاني) في قدر كلية الارض عند كلية السماء (. . . . .) ووضعت وضع الفلك المائل وموضع عمران

الأرض ومقادير ساعاتها فيما بين خط الاستواء الى القطب الشمالي واختلاف ما بين هاذين الموضعين وقدر ذلك الاختلاف في نواحي الأفق من قبل اختلاف مواضع أهل الأرض وحركة الشمس والقمر (والباب الثالث) في الكرة المستقيمة مع قسي فلك البروج المفروضة

والمقالة الثانية ثلاثة عشر بابًا ﴿ الباب الأول ﴾ في المواضع المسكونة من الأرض ﴿ والباب الثاني ﴾ في معرفة مقدار ما بين الفلك المستقيم وبين مطلع الفلك المائل من تمويس دائرة أفق المطلع ومقادير النهار في كل يوم في طوله وقصره ﴿ الباب الثالث ﴾ في معرفة ارتفاع القطب وانخفاض الأخرى التي هي مقابله وهو عرض الاقاليم من الصفة والرسوم قبل ارتفاع القطب وما بقي الى منتهى سمت الرؤوس التي في تدوير وسط السماء ﴿ الباب الرابع ﴾ في معرفة مر الشمس في سمت رؤوس أهل البلاد اين يكون ذلك ومتى يكون وفي أي موضع من أجزاء البروج تكون الشمس يومئذ فوق رؤوسهم ﴿ الباب الخامس ﴾ في مقدار الظل نصف النهار في برجي الاستواء وبرجي التغير [الباب السادس] في خواص المواضع من طريق ما بين المشرق والمغرب والخطوط التي يوازي بعضها بعضًا في استواء ما بينها من العرض [الباب السابع] في اختلاط مطالع الفلك المائل عن طلوع الفلك المستقيم [الباب الثامن] في جدولة مطالع خطوط أقاليم الأرض ومطلع طريقة خط خط [الباب التاسع] في معرفة طول الليل والنهار من أزمان ساعات الأقاليم ومعرفة مطالع أجزاء البروج والجزء الطالع والجزء المتوسط السماء [الباب العاشر] في الزوايا التي تقع فيما بين الفلك المائل وبين تدوير منتصف النهار الذي في وسط السماء [الباب الحادي عشر] في الزوايا التي تقع بين الفلك المائل وتدوير أفق المطلع الى حد الجنوب من ربع الدوائر في كل اقليم من الأقاليم [الباب الثاني عشر] في الزوايا والتقاويس التي تكون في دائرة الأفق التي تدور على قطب دائرة الأفق في مواضع الأقاليم [الباب الثالث عشر] في وضع جداول القسي والزوايا التي في أقاليم الأرض ، فهذه ابواب المقالة الثانية .

والمقالة الثالثة من المجسطي عشرة أبواب (فالباب الأول) في معرفة مقدار طول السنة وعدد أيامها (والباب الثاني) في وضع الجداول لحركة الشمس الوسطى (الباب الثالث) في معرفة جهات الحركة المستديرة المتفقة (والباب الرابع) في معرفة ما يظهر من اختلاف حركة الشمس في المنظر والرؤية (والباب الخامس) في الابحاث الجزوية عن الاختلاف (الباب السادس) في صنعة فصول جداول القطع الجزوية الاختلاف [الباب السابع] في وضع جداول اختلاف حركة الشمس (الباب الثامن) في معرفة موضع الشمس في مسيرها الاوسط (الباب التاسع) في حساب الشمس ومعرفة حقيقة موضعها (الباب العاشر) في معرفة اختلاف الايام ما بين نهار يوم وليلته وبين نهار يوم آخر وليلته .

المقالة الرابعة من المجسطي أحد عشر باباً (فالباب الاول) من أي الارصاد ينبغي أن يكون البحث عن القمر (الباب الثاني) في معرفة أزمان أدوار القمر (الباب الثالث) في معرفة تقسيم حركات القمر الوسطى (الباب الرابع) في وضع جداول تكون فيها حركات القمر الوسطى (الباب الخامس) في أن الجهتين جهة مركز الخارج وجهة فلك التدوير في حركات القمر يدلان على أمر واحد (الباب السادس) في برهان اختلاف حركة القمر الأولى المنفرده (الباب السابع) في تقويم مسير القمر في الطول والاختلاف « الباب الثامن » في معرفة موضع حركات القمر الوسطى في الطول والاختلاف « الباب التاسع » في تقويم مسير القمر الاوسط في العرض وفي ابتدائه « الباب العاشر » في وضع جداول اختلاف القمر المفرد « الباب الحادي عشر » في أي مقدار يكون اختلاف القمر ، فهذه الاربع مقالات تجزي عن جميع ما يحتاج اليه من كتاب المجسطي وتسع مقالات بعدها في صفة المراكز وتقديم حركة التدوير وصنعة جداول الحركة وجداول طول الكواكب .

وكتاب في ذات الحلق فانه ابتدأ بذكر عمل ذات الحلق وهي تسع حلقات بعضها فى جوف بعض « إحداهن » ذات علاقة « والثانية » المعترضة فيها من

المشرق والمغرب ﴿ والثالثة ﴾ الحلقة التي تدور بهاتين الحلقتين على ما بين أسفلها الى أعلاها ﴿ والرابعة ﴾ الجارية تحت الحلقة ذات العلاقة ﴿ والخامسة ﴾ حاملة نطاق البروج وفيها تركيب المحور ﴿ والسادسة ﴾ حاملة نطاق البروج الاثنى عشر ﴿ والسابعة ﴾ تحت حلقتي الفلك وهي حلقة مركبة في المحور ليؤخذ بها عرض الكواكب الثابتة الجارية فيما بين أرباع الفلك ، والحلقة ﴿ الثامنة ﴾ جارية في حجري المحور والحلقة ﴿ التاسعة ﴾ مركبة في الحلقة الثانية لمجرى الفلك المستقيم (.....) يحط في الجنوب ويرفع السماء على قدر إسقالة (١) الفلك المستقيم ، ويذكر فيه كيف يبتدأ بعملها وكيف يكتب عليها وكيف تركب كل واحدة في الأخرى وكيف تجزأ وتخطط وتسمر حتى لا تزول وكيف تنصب ، ثم يذكر العمل بها في تسعة وثلاثين باباً ، فالباب ﴿ الأول ﴾ من أبواب مواضع العمل في ذات الحلق والتداوير التي فيها ، والباب (الثاني) في امتحانها ، والباب (الثالث) في أخذ ظل الشمس بها ، والباب [الرابع] إذا أردت أن تأخذ بها عرض اقليم أو مدينة أو موضع ، والباب [الخامس] إذا أردت أن تأخذ بها عرض كل إقليم ما هو ، والباب ﴿ السادس ﴾ إذا أردت أن تعرف النهار كيف يقصر ويطول في السرطان ، والباب « السابع » إذا أردت معرفة مقدار كل يوم من أيام السنة ، والباب « الثامن » إذا أردت معرفة استواء الليل والنهار في الاقليم الأول ، الباب « التاسع » إذا أردت أن تعلم كيف تطلع البروج في الأقاليم باقل من ثلاثين جزءً أو اكثر ، الباب [العاشر] علم رد أجزاء البروج الى جزء الفلك المستقيم ، الباب [الحادي عشر] في معرفة كل برج وكيف يغيب بمطلع نظيره ويطلع بمغيبه في الأجزاء ، الباب « الثاني عشر » إذا أردت أن تعلم كيف تطلع البروج وسط السماء على اختلاف من أجزائها ، الباب

(١) الاسقاله بالكسر ما يربطه المهندسون من الأخشاب والحبال ليتوصلوا بها الى المحال المرتفعة الجمع أساقيل (عامية) (تاج العروس)

« الثالث عشر » إذا أردت معرفة كل برج منها ، الباب (الرابع عشر) إذا أردت معرفة الطالع والأوتاد الأربعة بالنهار من قبل الشمس ، الباب (الخامس عشر) إذا أردت معرفة الطالع بالليل من القمر والكواكب ، الباب (السادس عشر) إذا أردت أن تعلم كم ساعة مضت من النهار ، الباب (السابع عشر) إذا أردت أن تعلم أي ساعة يظهر القمر أو كوكب من الكواكب الثابتة ، الباب (الثامن عشر) إذا أردت أن تعلم ساعات القرانات ، الباب (التاسع عشر) إذا أردت أن تعرف مقدار المشرقين والمغربين في كل بلد ، الباب (العشرون) إذا أردت أن تعلم لكل برج مقدار مطلعه من المشرق ومغربه من المغرب ، الباب « الحادي والعشرون » إذا أردت أن تعلم الكواكب التي تغيب فى كل بلد ، الباب « الثاني والعشرون » إذا أردت أن تعلم الطرائق الخمس التي ذكرها الحكماء فى الفلك فى كل بلد ، الباب « الثالث والعشرون » إذا أردت أن تعرف الأقاليم السبعة ، الباب « الرابع والعشرون » إذا أردت معرفة كل إقليم منها ، الباب « الخامس والعشرون » إذا أردت أن تعرف كيف يكون النهار الأقصر إذا صارت الشمس فى الجدي فى الموضع الذي يكون عرضه ثلاثة وستين جزءً وذلك أقصى ما يسكن من ناحية الشمال ويكون النهار أربع ساعات ونحوها وليله عشرين ساعة ويكون النهار الأطول فيه عشرين ساعة وليله أربع ساعات وهي جزيرة يقال لهـــا جزيرة تولى من ارض أوربيا وهي شمالي أرض الروم الباب « السادس والعشرون » إذا أردت أن تعرف المواضع التي تغيب عنها الشمس ستة أشهر فيكون ظلمة راتبة وتطلع عليه الشمس ستة أشهر فيكون ضوءً راتبًا وهوالموضع الذي يحاذي محور الشمال ، الباب « السابع والعشرون » إذا أردت أن تعلم كل كوكب من الكواكب الثابتة من أي جزء من أجزاء البروج التي تطلع فى كل موضع تريد من الأرض ، الباب « الثامن والعشرون » إذا أردت أن تعلم كم جزء بين رأس الحمل والطالع من أجزاء المطالع فى كل بلد ، الباب [التاسع والعشرون]

إذا أردت أن تعلم لكل مدينة وبلد من أي الأقاليم هي ، الباب ﴿ الثلاثون ﴾ إذا أردت أن تعلم عرض القمر او كوكب من الكواكب ، الباب (الحادي والثلاثون) إذا أردت أن تقوم خط وسط السماء في موضعه من سمت كل بلد ، الباب ﴿ الثاني والثلاثون ﴾ إذا أردت أن تعرف طول الكواكب وعرضها بعد معرفتك بجري وسط السماء ، الباب ﴿ الثالث والثلاثون ﴾ إذا أردت أن تعرف موضع رأس التنين وذنبه وهل تلتقي بفلكي الشمس والقمر ، الباب ﴿ الرابع والثلاثون ﴾ إذا أردت أن تعرف المطالع من قبل ساعات الما ، الباب ﴿ الخامس والثلاثون ﴾ إذا أردت أن تعرف مجرى الفلك الذي فيه الكواكب الثابتة ، الباب ﴿ السادس والثلاثون ﴾ إذا أردت أن تعرف تشريق الكواكب وتغريبها ، الباب ﴿ السابع والثلاثون ﴾ إذا أردت أن تعرف طول مدينة من المدن ، ﴿ الباب الثامن والثلاثون ﴾ في معرفة أجزاء طول المدن ، الباب ﴿ التاسع والثلاثون ﴾ في استخراج القوس من حساب الجبر ، فهذه ابواب ذات الحلق .

وكتاب في ذات الصفائح ، وهي ﴿ الاصطرلاب ﴾ فانه يبتدئ بذكر عملها وكيف تعمل وحدودها ومقاديرها وتركيب حجرها وصفائحها وعنكبوتها وعضادتها وكيف تجزأ وتقسم وتحفظ على قسمة أجزائها ومقنطراتها وميلها ، ويشرح ذلك ويصفه صفيحة إقليم إقليم وطول كل إقليم وعرضه ومواضع الكواكب والساعات فيها والطالع والغارب والمائل والجنوبي والشمالي ورأس الجدي ورأس السرطان ورأس الحمل ورأس الميزان ، ثم يذكر العمل بها ، فالباب (الأول) إمتحانها حتى تصح ، والباب « الثاني » في امتحان طرفي العضادة ، الباب « الثالث » في علم ما مضى من النهار من ساعة وأي برج ودرجة الطالع ، الباب « الرابع » في علم ما مضى من ساعات الليل وما الطالع من البروج والدرج ، الباب « الخامس » في معرفة موضع الشمس من البروج والدرج ، الباب « السادس » في علم مواضع القمر في أي برج ودرجة

هو وأين الكواكب السبعة ، الباب « السابع » في علم عرض القمر ، الباب « الثامن » في علم مطالع البروج الاثنى عشر في الأقاليم السبعة ومعرفة كل برج منها ، الباب « التاسع » في قطع المطالع للفلك المستقيم وما يصيب كل درجة من درج السواء ، الباب « العاشر » في علم ساعات الليل والنهار كم تكون في كل زمان في كل إقليم ، الباب « الحادي عشر » في علم مقدار نهار كل كوكب من الكواكب الثابتة وما يجري في الفلك من حين طلوع الكواكب الى حين غروبها الباب « الثاني عشر » فى معرفة طول الكواكب وعرضها ، الباب « الثالث عشر » فى معرفة زوال الكواكب الثابتة فانها تزول فى كل سنة من سني القمر درجة ، الباب « الرابع عشر » فى معرفة ميل البروج عن خط الاستواء الذي هو مدار الحمل والميزان الباب « الخامس عشر » فى معرفة المدائن أيها أقرب الى الشمال والى الجنوب ، الباب « السادس عشر » فى معرفة أقرب المدائن من المشرق وأقربها الى المغرب ، الباب [السابع عشر] فى معرفة عرض كل إقليم ، الباب [الثامن عشر] فى علم أي إقليم أنت فيه ، الباب [التاسع عشر] في علم عرض الاقليم وأي المدائن أردت ، الباب [العشرون] فى علم تقدير الطرائق وهي خمس وكيف مجاريها ، ويشرح فى كل باب من هذه الأبواب شرحاً طويلاً يبين فيه ما يحتاج اليه والى معرفته ، فهذه أغراضه في ذات الصفائح .

وأما كتابه ﴿ القانون ﴾ فى علم النجوم وحسابها وقسمة أجزائها وتعديلها فمن أتم كتب النجوم وأوضحها ، وكان أول ما ابتدأ به فى ذكر دور السماء التي تدور فيها هذه الكواكب ﴿ باب ﴾ فى علم مسير الكواكب فى كل يوم ، فيقول إن مسير الشمس فى كل يوم يكون تسعاً وخمسين دقيقة ومسير أوج القمر سبع دقائق ومسير رأس التنين وهو الجوزهر ثلاث دقائق ومسير زحل دقيقتان ومسير المشتري خمس دقائق ومسير المريخ إحدى وثلاثون دقيقة ومسير الزهرة درجة وست وثلاثون دقيقة ومسير عطارد أربع درج وخمس دقائق ومسير قلب الأسد ست ثواني [وباب]

في علم أوساط الكواكب وتقويمها وتعديلها إذا كانت لا يمكن أن تقوم إلا باوساطها ﴿ وباب ﴾ في تحريك أرباع الفلك على ما ذكر أصحاب الطلسمات أن أرباع الفلك تتحرك ثمانية أجزاء مقبلة وثمانية أجزاء مدبرة والجزء درجة فتقبل في كل ثمانين سنة وتدبر على كل ثمانين سنة جزءً « وباب » في ميل الشمس وعرض الكواكب السنة وتباعدها من خط الاستواء الى الشمال والى الجنوب ، ووضع لكل كوكب منها في ذلك جدولاً ، أما ميل الشمس فميلها عن خط الاستواء وأما ميل عرض الكواكب فتباعدها من مسير الشمس « وباب » في مقام الكواكب السبعة ورجوعها وكيف يلتمس على ذلك من زحل والمشتري والمريخ إذا كان بين كل واحد منها وبين الشمس مائة وعشرون أو مائتان وأربعون درجة ومن الزهرة وعطارد إذا تباعدا من الشمس تباعدها الأكبر فكان بين الزهرة وبينها ست وأربعون درجة وبين عطارد ثلاث وعشرون درجة « وباب » في طلوع الكواكب السبعة من تحت شعاع الشمس ومغيبها من بين يديها ومن خلفها « وباب » في تقويم الساعات وتعديلها وإخراجها من الساعات المعوجة الى الساعات المستوية « وباب » في علم عرض المدائن وطولها ، وقسم مدائن العالم بين الأقاليم السبعة فجعل لكل مدينة طولاً وعرضاً وجعلها في جدول سماه جدول المدائن ووضعه على ثلاثة أبواب ، فالباب ﴿ الأول ﴾ فيه تسمية المدائن ، والباب « الثاني » طول كل مدينة ، والباب « الثالث » عرض كل مدينة وهو انحرافها عن حد رأس الجدي والميزان الى الشمال ، ووضع لكل إقليم عرضه وهو انحراف وسطه عن رأس الحمل والميزان الى الشمال ، وأثبته على رأس جدول مطالعه ، فاذا أردت عرض مدينة من مدائن العالم وكانت مما قد أثبته في تسمية المدائن وإلا نظر الى عرض أي إقليم هو أقرب فاي إقليم وجد عرض تلك المدينة أقرب الى عرضه فتلك المدينة من ذلك الاقليم « وباب » فيه عرض كل إقليم ، فقال « الأول » ست عشرة درجة ودقيقة « والثاني » ثلاث وعشرون درجة وإحدى عشرة دقيقة

﴿ والثالث ﴾ ثلاثون درجة واثنتان وعشرون دقيقة ﴿ والرابع ﴾ ست وثلاثون درجة ﴿ والخامس ﴾ أربعون درجة وست وخمسون دقيقة (والسادس) خمس وأربعون درجة واثنتان وثلاثون دقيقة (والسابع) ثمان وأربعون درجة واثنتان وثلاثون دقيقة (وباب) ذكر فيه انحراف القمر وهو الذي يسمى ﴿ البرا كفيس ﴾ وأخبر أنه رؤية القمر وذلك أن للقمر موضعين مختلفين أحدهما موضع رؤيته والآخر منزلته المعتدلة (وباب) فى اجتماع الشمس والقمر والاستقبال وكيف يحسب لذلك حتى يصح (وباب) فى كسوف القمر ونواحيه (وباب) فى كسوف الشمس وكيف يحسب فى وقت الاجتماع (وباب) في تعديل ما يوجد بجداول الكواكب والطالع وغير ذلك (وباب) من التعديل فى استخراج الطالع وفيه مائة وثمانون جدولاً وبين كل قول بالأشكال .

وتسمية ملوك اليونانيين والروم وما ملك كل ملك على ما بينا من أسمائهم آخر هذا الفصل

ملوك اليونان والروم

وكان أول ملوك اليونانيين — وهم أولاد يونان بن يافث بن نوح ، وهو أول من سماه بطلميوس فى القانون من ملوكهم — ﴿ فيلفوس ﴾ وكان جباراً عاتياً وكان ملكه سبع سنين . ثم ملك ابنه ﴿ الاسكندر ﴾ وهو الذي يقال له ذوالقرنين واسم أمه المفيدا ، وكان معلمه (أرسطاطاليس) الحكيم فجل قدر الاسكندر وعظم ملكه واشتد سلطانه وأعانته الحكمة والعقل والمعرفة ، وكان معه نجدة وبأس وهمة عالية دعته إلى أن كتب الى ملوك الأقاليم والآفاق يدعوهم الى طاعته ومن كان قبله من ملوك اليونانيين يؤدي الى ملوك أرض بابل من الفرس خرجاً لجلالة تلك المملكة وعظم قدرها وصغر الممالك فى جنبها ، فلما كتب الى ملك فارس يدعوه الى طاعته عظم عليه فسار الاسكندر حتى أتى أرض بابل وملك الفرس يومئذ ﴿ دارا بن دار ﴾ فحاربه حتى قتله وحوى خزائن ملكه وتزوج ابنته ثم صار الى أرض فارس وقتل من

بها من المرازبة والرؤساء وافتتح البلاد ثم صار الى أرض الهند فزحف اليه ﴿ فور ﴾ ملك الهند فحاربه حتى قتله ثم صيَّر الاسكندر على الهند ملكاً من قبله من أهل الهند يقال له « كيهن » وانصرف فشرَّق وغرَّب ثم رجع إلى أرض بابل بعد أن دوَّخ الأرض فلما صار في أداني العراق مما يلي الجزيرة اعتل فاشتدت علته فلما يئس من نفسه وعلم أن الموت قد نزل به كتب إلى أمه كتاباً يعزيها عن نفسه وقال لها فى آخره إصنعي طعاماً واجمعي من قدرت عليه من نساء أهل المملكة ولا يأكل من طعامك من أصيب بعصيبة قط ، فعملت طعاماً وجمعت الناس ثم أمرتهم أن لا يأكل من أصيب بعصيبة قط فلم يأكل أحد فعلمت ما أراد ، ومات الاسكندر بموضعه الذي كاتب منه فاجتمع أصحابه فكفنوه وحنطوه وصيروه فى تابوت من ذهب ثم وقف عليه عظيم من الفلاسفة فقال : هذا يوم عظيم كشف الملك عنه وأقبل من شره ما كان مدبراً وأدبر من خيره ما كان مقبلاً فمن كان باكياً على ملك فعلى هذا الملك فليبك ومن كان متعجباً من حادث فمن هذا الحادث فليتعجب ، ثم أقبل على من حضره من الفلاسفة فقال : يا معاشر الحكماء ليقل كل امرئ منكم قولاً يكون للخاصة معزياً وللعامة واعظاً ، فقام كل واحد من تلامذة أرسطا طاليس فضرب بيده على التابوت (ثم قال) أيها المنطيق ما أخرسك أيها العزيز ما أذلك أيها القانص أنى وقعت موضع الصيد فى الشرك من هذا الذي يقنصك (ثم قام آخر) فقال : هذا القوي الذي أصبح اليوم ضعيفاً والعزيز الذي أصبح اليوم ذليلاً (وقام آخر) فقال : قد كانت سيوفك لا تجف ونقماتك لا تؤمن وكانت مدائنك لا ترام وكانت عطاياك لا تبرح وكان ضياؤك لا يكف فاصبح ضوؤك قد خمد ونقماتك لا تخشى وأصبحت عطاياك لا ترجى وأصبحت سيوفك لا تنتضى وأصبحت مدائنك لا تمنع (ثم قام آخر) فقال : هذا الذي كان للملوك قاهراً فقد أصبح اليوم للسوقة مقهوراً (وقام آخر) فقال : قد كان صوتك مرهوباً وكان ملكك غالباً فاصبح الصوت قد انقطع والملك قد اتضع (وقام آخر) فقال : ألا امتنعت من الموت

إذ كنت من الملوك ممتنعاً وهلا ملكت عليه إذ كنت عليهم مملكاً (وقام آخر) فقال : حركنا الاسكندر بسكونه وأنطقنا بصموته [وتكلموا] بنحوهذا الكلام ثم أطبق التابوت وحمل الى الاسكندرية فتلقته أمه بعظماء أهل المملكة فلما رأته قالت : يا ذا الذي بلغت السماء حكمته وحاز أقطار الأرض ملكه ودانت الملوك عنوةً له مالك اليوم نائماً لا تستيقظ وساكتاً لا تتكلم من يبلغك عني بانك وعظتني فاتعظت وعزيتني فتعزيت فعليك السلام حياً وهالكا فنعم الحي كنت ونعم الهالك أنت ، ثم أمرت به فدفن ، وكان ملك الاسكندر مع ما نال من الدنيا اثنتي عشرة سنة .

ثم ملك بعد ذي القرنين ﴿ بطلميوس ﴾ خليفة الاسكندر وكان حكيما عالماً وكان ملكه عشرين سنة ، ثم ملك ﴿ فيلفوس ﴾ وكان جباراً فاشتد سلطانه وعتا في ملكه وفي أيامه عملت الطلسمات ، وكان ملكه ثماني وثلاثين سنة ، ثم ملك ﴿ هورحيطوب ﴾ الأول خمساً وعشرين سنة ، ثم ملك ﴿ فيلوبطور ﴾ سبع عشرة سنة ، ثم ملك ﴿ فيفانس ﴾ أربعاً وعشرين سنة ، ثم ملك ﴿ فيلوبطور ﴾ الثاني خمساً وعشرين سنة ، ثم ملك ﴿ هورحيطوب ﴾ الثاني سبعاً وعشرين سنة .

ملوك الروم

ثم صار الملك من بعد اليونانيين — أولاد يونان بن يافث بن نوح — الى الروم وهم ولد روم بن سماحير بن هوبا بن علقا بن عيصو بن اسحاق بن ابراهيم « ع » فغلبوا على البلد وتكلموا بلغة القوم وانتسبوا الى الرومية ودرست اليونانية إلا ما بقي في أيدي هؤلاء من فضل حكمهم ، وكان أول من ملك من الروم بعد اليونانيين ﴿ فما ساطق ﴾ وهو جاليوس الأصغر بن روم وكان ملكه اثنين وعشرين سنة ، ثم ملك ﴿ أغسطس ﴾ فلما أتى لملكه سنة ولد المسيح « ع » واتصل ملك أغسطس ثلاثاً وأربعين سنة ، ثم ملك ﴿ طباريس ﴾ اثنتين وعشرين سنة ، ثم ملك ﴿ جايس ﴾ أربع سنين ، ثم ملك ﴿ قلوديس ﴾ أربع عشرة سنة ،

.... (١) .... ثم ملك ﴿ اسفسيانوس ﴾ عشر سنين وكان أهل مملكته يسمونه الآله ووجه ابنا له يقال له « ططوس » الى بيت المقدس فحصرها أربعة أشهر وكان قد اجتمع اليها فى عيد من أعياد اليهود خلق عظيم فاشتد عليهم الحصار حتى أكلوا الصبيان ومات اكثرهم من الجوع ثم افتتحها فقتل وسبى وأحرق الهيكل بالنار ، ثم ملك ﴿ ططوس ﴾ ثلاث سنين وانشق في زمانه جبل يقال له أبرءور وخرجت منه نار أحرقت مدنا كثيرة ، ثم ملك (دومطيانوس) خمس عشرة سنة وفي زمانه ظهر « أبو لوس » صاحب الطلسمات من أهل طوانة ووثب بدومطيانوس أهل مملكته فقتلوه ، ثم ملك ﴿ بهودس ﴾ « ٢ » سنة واحدة ، ثم ملك ﴿ طريانوس ﴾ تسع عشرة سنة ، ثم ملك (ادريانوس) إحدى وعشرين سنة ووثب به يهود بيت المقدس فامتنعوا أن يؤدوا اليه الخراج فوجه اليهم من قتلهم وأمر بقتل من بقي منهم ببيت المقدس ، ثم ملك (هيلوس انطونينوس) ثلاثا وثلاثين سنة ، ثم ملك (مرقس انطونينوس) خمسا وعشرين سنة ، ثم ملك (الاسكندر) بن ماميا ثلاث عشرة سنة ، ثم ملك ﴿ مكسيميانوس ﴾ ثلاث سنين ، ثم ملك ﴿ جوردیانوس ﴾ ثلاث سنين ، ثم ملك ﴿ فيلفوس ﴾ سنتين ، ثم ملك ﴿ دقيوس ﴾

---

(١) بياض فى الأصل ، وذكر المسعودي فى التنبيه والاشراف المطبوع أنه ملك بعده ابنه « نيرون » بن قلوديس ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ثم ملك (غلباس) سبعة أشهر ثم ملك (اوثون) ثلاثة أشهر ، ثم ملك (بيطاليس) ثمانية اشهر ، ثم ملك بعده [اسفسيانوس] المذكور ، ولكنه فى كتابه مروج الذهب يقول إن الذي ملك بعد نيرون اسفسيانوس وابنه ططوس مشتركين فى الملك ثلاث عشرة سنة .

« ٢ » كذا فى الأصل ، وفى التنبيه والاشراف سماه [نرواس قيصر] وقال إنه ملك سنة وخمسة أشهر وفي مروج الذهب سماه ﴿ بيونوس ﴾ وقال إنه ملك سنة .

سنة واحدة ، ثم ملك (جالوس) ثلاث سنين ، ثم ملك (ولريانوس) ست سنين . . . (١) . . . ثم ملك (قروس) سبع سنين ، ثم ملك (دقليطيانوس) عشرين سنة ، ثم ملك (قسطنطين ومكنيوس) عشر سنين .

وكانت ملوك اليونانيين ومن ملك بعدهم من الروم مختلفة فطائفة منهم على دين الصابئين وكانوا يسمون الحنفاء وهم الذين يقرون ويعترفون بخالق ويزعمون أن لهم نبياً مثل « اوراني وعايذيمون وهرمس » وهوالمثلث بالنعمة ، ويقال إنه إدريس النبي وهو أول من خط بالقلم وعلّم علم النجوم ، ويقولون في الخالق جل وعز على قول هرمس إما أن يعقل الله فعسراً وأن ينطق به فلا يمكن وإن الله علة العلل المكون للعالم جملة واحدة ، وطائفة منهم أصحاب « زنون » وهم السوفسطائية وتفسير هذا الاسم باليونانية المغالطة وبالعربية التناقضية ، يقولون لا علم ولا معلوم ﴿ واحتجوا ﴾ باختلاف الناس وانتصاف بعضهم من بعض ﴿ وقالوا ﴾ نظرنا في أقوال الناس المختلفين فوجدناها مختلفة غير متفقة وأصبناهم في اختلافهم مجتمعين على أن الحق مؤتلف غير مختلف وأن الباطل مختلف غير مؤتلف ، وكان في اجتماعهم شاهد لهم أنهم لم يعلموا بالصواب فلما أقروا بهذا لم يبق للحق موضع يطمع في إصابته إلا في الخاصة منهم فعلمنا أن ذلك لا يوجد إلا باحد وجهين إما بالتسليم للمدعي وإما بالكشف لدعواه فنظرنا في الدعوى فأصبنا بما يعمهم فلم نجز تصديقهم لخلتين إحداهما أن يكذب بعضهم بعضاً والأخرى إجماعهم على أنهم لم يعلموا بالصواب فلم يبق إلا كشف الدعوى ففعلنا فأصبناهم أهل تكافؤ وتجارٍ بدور الغلبة عليهم جميعاً بالاستواء بينهم تقوى هذه مرة ومخالفتها أخرى

---

(١) بياض في الأصل ، وفي التنبيه والاشراف أنه ملك بعد ولريانوس (طاقطوس) وعاضده على الملك أخوه (فوروس) ملكا تسعة أشهر ثم ملك (بروبس) تسع سنين ثم ملك « قروس » المذكور ، ومثل ذلك في تاريخ الكامل لابن الأثير « ج ١ » ويختلف ما ذكراه مع ما في مروج الذهب فراجع [م . ص]

فلم نصب عند طائفة منهم فضلاً ولا تشارك فيه ولا حاجة ولا تساوي بها ولا تجاري فيها فلما أعوز وجود الحق في عامتها وخاصتها بالدعوى بالمناظرة لم يبق للعلم موضع يوجد فيه ولا للحق مذهب يصاب منه فقضينا أنه لا علم ولا معرفة لأن الشيء إذا كان ثابتاً لا محالة فلا بد من الاحاطة في الاتفاق أو في الاختلاف فلا يذكر ذاكر وهو غائب فقال فلان غائب فاصابه فلو قال هو أو غيره فلان حاضر وليس بحاضر فخرج من الصدق ثم خالفه مخالف فقال بل هو غائب فكان أحدهما صادقاً لا محالة لأنه لا يعدو وإذا كان الشيء ثابتاً حقاً أن يكون حاضراً أو غائباً فاذا لم يكن شيئاً فكلاهما كاذب فيما قال من أنه حاضر أو غائب لأن الحاضر شيء والغائب شيء فان لم يكن شيئاً فليس بحاضر ولا غائب ، واحتجوا بنحو هذا (. . . . .) آخر فقالوا إن كانت الأشياء كلها تدرك بالعلم والعلم بالعلم فالى نهاية أو الى لانهاية فان تناهى فالى غير معلوم وما لم يكن معلوماً فهو مجهول فأنى تعلم الأشياء بمجهول فان لم تتناه ولم تكن لذلك غاية فلا إحاطة به ومالم يحط به فمجهول أيضاً فكان الوجهان في هذا القياس مجهولين غير معلومين فأنى يعلم شيء مجهول دون أن يعلم جميع الأشياء وذلك أبعد ، وشققوا في هاذين النوعين وكثر سعيهم وعظمت مؤنتهم ﴿ وقالت طائفة ﴾ تسمى الدهرية لا دين ولا رب ولا رسول ولا كتاب ولا معاد ولا جزاء بخير ولا بشر ولا ابتداء لشيء ولا انقضاء له ولا حدوث ولا عطب وإنما حدوث ما سمي حدثاً تركيبه بعد الافتراق وعطبه تفريقه بعد الاجتماع وجميع الوجهين في الحقيقة حضور غائب ومغيب حاضر ، وإنما سميت الدهرية لزعمها أن الانسان لم يزل ولن يزول وأن الدهر دائر لا أول له ولا آخر « واحتجوا » فيما ادعوا بان قالوا إنما يعرف في وجود الشيء وفقده حالان لا ثالث لهما حال الشيء فيها موجود فأنى يحدث ما قد كان ووجد وحال لا شيء فيها فأنى يكون الشيء في حال لا تشبيه له وذلك أبعد وكذلك القول في المدعي من العطب لا يعرف غير حالين ، حال الشيء فيها قائم فمحال قول من ادعى العطب للشيء في حال كونه وقيامه ، وحال لا شيء فيها فأنى يكون

العطب الأدنى وذلك محال فان أقرّ مخالفونا بصدقنا دخلوا في قولنا ونقضوا قولهم فان أنكروا قولنا ادعوا حالاً ثالثة لا عدم فيها ولا وجود فذلك أقبح الثلاثة حالة ﴿ وقالت فرقة ﴾ منهم إن أصل الأشياء في الأزلية حبة كانت فانفلقت فبدا منها العالم على ما ترى من اختلافه في ألوانه وإحساسه ﴿ وزعم بعضهم ﴾ أنه غير مختلف في معانيه وإنما تختلف معانيه من جهة إحساسه ﴿ وأنكر بعضهم ﴾ ذلك وأثبتوا له اختلافاً في معانيه وتحقيقه ، وقالت المنكرة لتحقيق الاختلاف الأشياء إنما تختلف باختلاف الاحساس لها وإنه لا حقيقة لشيء منها تبين بها دون غيرها ﴿ وادعوا ﴾ من الدلالات في ذلك أن أهل المرض الحادث من الصفراء مثل أصحاب اليرقان إذا ذاق أحد منهم العسل وجده مراً وأهل السلامة من هذا الداء يجدونه حلواً فان الخفاش يغشيه ضوء النهار ويذكي بصره الليل ، فان كان النور يزيد الأبصار نوراً والظلمة مغشية لها وجب أن يكون نور النهار الظلمة للخفاش وغيرها تغشي بصره النار وقد يوجد ذلك في بعض الناس وغيرهم من الحيوان والطير وغيره ، وإن الليل إذا كان مذكياً للأبصار على ما وصفنا فليلها نور كما أن النهار نور لمن خالفها والليل ظلمة لها (فان قلتم) إن ذلك لآفة دخلت على هذه الأصناف (قلنا لكم) عند من خالفهم أو عند من وافقهم ﴿ فان قلتم ﴾ عند من خالفهم ﴿ قلنا ﴾ بل الآفة دخلت على من وافقهم (فان قلتم) عند من وافقهم (قلنا) بل الآفة دخلت على من خالفهم عندهم فلا فضل لأحد الصنفين على أحد ﴿ وقالوا ﴾ ألا ترون الكاتب يكتب الكتاب عدلاً مستقيماً فيراه كذلك من قبل وجهه فان نظر اليه من خلفه رآه بخلاف ما كان يعرف وإن ازور عنه معوّجاً أو خالفه رآه مخالفاً كما تكتب الألف في صورة تميز من جميع الحروف فاذا استقبلتها رأيتها ألفاً وإذا استدبرتها رأيتها كالباء وإذا انحرفت عنها رأيتها كالنون أو كالباء ، وإن الغائب عن موضعه حاضر موضعاً آخر ، وكذلك القول في الالوان والأصوات والطعوم والأعيان والملابس كما ترى الشخص من قرب كبيراً وصغيراً من

بعد كلما قرب الداني منه ازداد كبراً وكلما بعدمنه ازداد صغراً في عينه ، وكذلك الصوت يسمع من قريب قوياً ومن بعيد خفياً وكذلك الطعم تذوق الشيء قليلاً فتجده قليل الحلاوة فاذا زدت منه طعمه .. (١) .. وكذلك اللمس تمس الشيء قليلا فتجده فاتراً وتلمسه شديداً فتجده حاراً ، وترى الصورة من قريب ثابتة مختلفة فيزداد الرائي لها بعداً فيرى أنها مستوية غير مختلفة ﴿ وزعموا ﴾ أن جميع الأشياء تدور على التكافؤ والتجاري وكادوا أن يلحقوا بالسوفسطائية ﴿ وقالت طائفة أخرى ﴾ إن الأشياء فروع لأصول أربعة لم تزل ولا تزول فولدت وظهر العالم منها وهي الأفراد السوادج الحر والبرد والرطوبة واليبس تنبت بانفسها لا باعتماد ولا إرادة ولا مشيئة (وقالت طائفة أخرى) إن الأصول أربعة وهي أمهات ما في العالم ومعها خامس لم يزل ولا يزول يدبرها ويؤلف بينها بارادة ومشيئة وحكمة ويؤلف بين زوجاتها ويتولد نتائجها عنه لا يمنع أضدادها من القرب بعضها من بعض وهو العلم ﴿ وقالت طائفة ﴾ وهم أصحاب الجوهر وهم الأرسطاطاليسية إن الأشياء شيئان جوهر وعرض والجوهر ينقسم قسمين حي ولا حي وحده القائم بنفسه وافتراقه في الخاصة لا في الحد ، والعرض تسعة فمنها الكمية وهو العدد وصورها أربع الكيل والمساحة والوزن والقول ، ثم الكيفية وصورها ثمان الكون والفساد والمبتة والحياة والقوة والضعف والألف والمألوف ، ثم الاضافة وصورها أربع طبيعي وصناعي واستحسان ومودة ، ثم متى وهي الواقعة على الوقت يعني بالوقت الزمان وصور الزمان ثلاثة الماضي والمستقبل والدائم ، ثم أين وهي الواقعة على المكان الست جهات يعني أمام وخلف وأعلى وأسفل ويمين ويسار ، ثم الجدة وهي الملك وصورة الملك قسمان إما خارج وإما داخل فمعنى خارج مثل المملوك والدار والأثاث ونحوه ومعنى داخل مثل العلم والحكمة ، ثم النصبة ومعنى النصبة هيئة الشيء كقول القائل فلان قائم وفلان قاعد وفلان ذاهب وفلان جاء ، ثم الفاعل فهو قسمان إما أن يفعل بالاختيار

(١) بياض في الأصل ولعل الساقط قوله (وجدته كثير الحلاوة) [م ص]

وإما أن يفعل بالطبع فالمختار مثل الحي الباقي الآكل الشارب ، والفاعل بالطبع كحركة العناصر الأربعة مثل النار تسمو من الوسط الى العلو تكرر وإن كانت دون الأرض، وكالأرض من العلو الى الوسط الى مركزها الأخص بها ، والماء من العلو الى دون الأرض ، ثم المنفعل وهو القابل للتأثير الفاعل فيه حال طينته المحتملة لأن يديرها ويربعها في جميع الأشكال ، فهذه مقالات اليونانيين ومن تلاهم من الروم ومذاهب متكلميهم وفلاسفتهم وحكمائهم وأهل النظر منهم .

ملوك الروم المتنصرة

وكان أول من ملك من ملوك الروم فخرج من مقالة اليونانية الى النصرانية ﴿ قسطنطين ﴾ وكان سبب ذلك أنه كان يحارب قوماً فرأى في منامه كأن رماحاً نزل بها من السماء عليها صلبان فلما أصبح حمل على رماحه الصلبان ثم حارب فظفر ، وكان ذلك سبب تنصره فقام بدين النصرانية وبنى الكنائس وجمع الأساقفة من كل بلد لاقامة دين النصرانية فكان أول اجتماع لهم فاجتمعوا بنيقية ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً وأربع بطارخة بطرخ الاسكندرية وبطرخ رومية وبطرخ أنطاكية وبطرخ القسطنطينية ، وكان سبب جمع قسطنطين هؤلاء أنه لما تنصر وحلت النصرانية بقلبه أراد أن يستقصي علمها فأحصى مقالات أهلها فوجد ثلاث عشرة مقالة (فمنها) قول من قال إن المسيح وأمه كانا إلهين (ومنها) قول من قال إنه من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار فلم ينقص الأولى انفصال الثانية (ومنها) مقالة من قال بتألهه (ومنها) مقالة من قال بتعبيده (ومنها) مقالة من قال إن جسده كان خيالاً مثل متى وأصحابه (ومنها) مقالة من قال هو الكلمة (ومنها) مقالة من قال هو الابن (ومنها) مقالة من قال هو روح قدسية (ومنها) مقالة من قال هو ابن يوسف (ومنها) مقالة من قال هو نبي من الأنبياء (ومنها) مقالة من قال هو لاهوتي وناسوتي ، فجمع قسطنطين ثلاث مائة وثمانية عشر أسقفاً وأربعة بطارخة ولم يكن في ذلك العصر غيرهم

وكان بطرخ الاسكندرية يقول إن المسيح مألوه مخلوق فلما اجتمعوا ناظروه في ذلك فاجمع مقالة القوم جميعاً أن قالوا إن المسيح ولد من الأب قبل كون الخلائق وهو من طبيعة الأب ولم يذكروا روح القدس ولا أثبتوه خالقاً ولامخلوقاً ولكن وقفوا على أن الأب الآله والابن آله منه وخرجوا من نيقية ، وكان ملك قسطنطين خمساً وخمسين سنة .

ثم ملك « يوليانوس » سنة واحدة ، ثم ملك « دسيوس » سنة واحدة وفي أيامه ظهر أصحاب الكهف بعد أن كانوا قد ماتوا بعد دهر طويل وكانوا عدة نفر وراع ومعهم كلب الراعي واسماؤهم (١) مكسلمينا ، ومراطوس ، وشاه بونوس وبطرنوس ، ودواس ، ونوالس ، وكنيفرطو ، ونوطر ، والراعي مليخا ، وهو صاحب الكلب واسم الكلب « قطمير » فخرجوا بعد مائة سنة ويقال ثلاث مائة سنة وتسع سنين وبعثوا بعضهم ومعه دراهم يمتار لهم طعاماً فانكرت السوقة ضرب دراهمه ثم اتبعوه حتى صاروا الى المغارة فعمي أمرهم على القوم وبني على المغارة مسجد يصلى فيه .

ثم ملك « والنطيانوس » أربع سنين ، ثم ملك « تيدوسوس » الأكبر . وكان في عصر الاجتماع الثاني للنصرانية فاجتمع له بالقسطنطينية مائة وخمسون أسقفاً وثلاثة بطارخة ولم يحضرها بطرخ رومية فوضعوا صحيفة الأمانة وأثبتوا روح القدس وكانت صحيفة الأمانة التي وضعوها « أومن بالله الواحد الأب ملك كل شيء خالق السماوات والأرض وما يرى وما لا يرى وبالرب المسيح ابن الله الذي ولد قبل الدهر نور من نور آله حق من آله حق مولود ليس بمخلوق ومن سوس الأب به كان كل شيء من أجلنا البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد بروح القدس ومن مريم العذراء فصار بشراً وصلب من أجلنا على عهد بلاطس النبطي وأصيب وقبر وقام لثلاثة أيام كما هو في الكتب وصعد الى السماء وجلس عن يمين الأب الذي ليس لملكه فناء

---

(١) إختلف في ضبط أسمائهم على خمسة أقوال ، وقد ذكرها صاحب تاج العروس شارح القاموس في مادة (تكهف) ولها ذكر ايضاً في كتب التفاسير (م ص)

وبروح القدس الرب الذي من الأب اشتق الذي تكلم فيه الأنبياء وبواحدة القدسية الكنيسة السليحية للحواريين أومن بعمودية واحدة بمغفرة الخطايا وقيام الأموات » وحرموا من قال بعد هذا شيئاً وافترقوا من القسطنطينية ، وكان ملك تيدوسوس سبع عشرة سنة .

ثم ملك بعده ابن أخيه ﴿ تيدوسوس ﴾ الأصغر ﴿ ووالنطيانوس ﴾ وكان الجمع الثالث للنصرانية فاجتمع بافسس وحضر مائتـا أسقف وخالف نسطور على القوم جميعاً وقال إن المسيح جوهران وكيانان آله تام بجوهره وكيانه فالأب ولد الآله ولم يلد إنساناً والأم ولدت إنساناً ولم تلد الآله فقال له قريلس إن كان الأمر كما قلت فمن عبد المسيح فهو مسيء لأنه قد يكون عبد قديماً ومحدثاً ومن ترك عبادته فقد كفر لأنه يكون قد ترك عبادة القديم كما ترك عبادة المحدث ومن عبد الآله دون الانسان فلم يعبد المسيح إذ كان لا يستحق أن يقال مسيحاً من إحدى جنبيه دون الأخرى فاوجب ذلك على من حضر ، وخالفه بطرخ أنطاكية فقال نسطور بطرخ أنطاكية يقول بمثل قولي وهرب نسطور الى أرض العراق فصارت النسطورية بالعراق وصيروا رئيسهم مكان البطرخ جاثلبق فافترقوا على هذا ، وكان ملك تيدوسوس الأصغر سبعاً وعشرين سنة .

ثم ملك ﴿ مرقيانوس ﴾ وكان في عهده الاجتماع الرابع وكان سبب ذلك أن الطرسيوس صاحب اليعقوبية قال إن المسيح جوهر واحد وطبيعة واحدة فانكرته النصارى فاجتمع ستمائة وثلاثون أسقفاً بالقسطنطينية وناظروا طرسيوس فقالوا له : إن كان المسيح كما زعمت طبيعة واحدة فالطبيعة القديمة هي الطبيعة المحدثة ، وإن كان القديم من المحدث فالذي لم يزل هو الذي لم يكن فلم يرجع عن مقالته فحرموه فصار الى أرض مصر والاسكندرية وكان طبيباً فاقام بها ، وكان ملك مرقيانوس خمس سنين .

ثم ملك بعده ﴿ اليون واسون ﴾ (١) سبع عشرة سنة ، ثم ملك ﴿ زينون ﴾

(١) كذا في الأصل ، وفي تاريخ الكامل لابن الأثير (ثم ملك ليون —

ثماني عشرة سنة ، ثم ملك ﴿ انسطاسيوس ﴾ وكان الجمع الخامس للنصرانية في عصره وذلك إن قوماً من رؤساء النصارى قالوا ان جسد المسيح كان خيالاً على غير حقيقة فاجتمعوا لذلك وقالوا إن كان جسده خيالاً فيجب أن يكون فعله خيالاً على غير حقيقة وهذا بقول السوفسطائية أشبه منه بقول النصارى ولعن أولئك الذين قالوا هذا وبرئت النصارى منهم ، وكان ملك انسطسيوس سبعاً وعشرين سنة .. (١) .. ثم ملك ﴿ يوسطوس ﴾ الثاني تسعاً وعشرين سنة وفي عصره ولد محمد رسول الله (ص)

ثم ملك ﴿ يوسطوس ﴾ الثالث عشرين سنة ، ثم ملك ﴿ طيبريوس ﴾ أربع سنين .. (٢) .. وكان في أيامه الجمع السادس للنصرانية ، وذلك ان قورس الاسكندراني زعم أن المسيح مشيئة واحد وفعل واحد فقال وهذا شبيه بقول اليعقوبية فاجتمعوا لذلك ورضوا ببطرخ رومية وكتب كتاباً ولم يحضر ولم يكن للنصرانية جمع بعدها ، وكان ملك [هرقل وقسطنطين] ابنه اثنتين و ثلاثين سنة .

ثم ملك ﴿ قسطنطينوس ﴾ ثماني عشرة سنة ، ثم ملك ﴿ بطرخ ﴾ رومية ثلاث سنين ، ثم ملك [فلسعرري] [٣] أربع سنين ، ثم ملك [اليون وقسطنطين]

—— الكبير ست عشرة سنة ثم ملك ليون الصغير سنة) ومثله ما في مروج الذهب للمسعودي وكذا في التنبيه والاشراف له غير أنه سماهما لاوون الكبير ولاوون الصغير

(١) بياض في الأصل ، وفي التنبيه والاشراف أن الذي ملك بعد انسطسيوس هو (يوسطين) وقد ملك تسع سنين [وهو يوسطوس الاول] ثم ملك يوسطوس الثاني المذكور .

(٢) بياض في الاصل ، وفي التنبيه والاشراف المسعودي وكذا في تاريخ الكامل لابن الاثير أن الذي ملك بعد طيبريوس هو [موريق] ملك عشرين سنة وأربعة أشهر ثم ملك [فوقاس] ثماني سنين وأربعة أشهر ثم ملك هرقل المذكور ، ومثلهما ما في مروج الذهب [ج ٢] .

(٣) هكذا في الأصل ، وفي التنبيه والاشراف وكامل ابن الاثير أن الذي ——

ابنه تسعاً وعشرين سنة .

وكانت شهور الروم التي يجرون عليها حسابهم وتأريخاتهم اثنى عشر شهراً أولها كانون الآخر وهو الشهر الذي يسمونه بالرومية « ينوارس » وهو رأس السنة عندهم وهذه أسماء شهورهم ينوارس وهو كانون الآخر ، وبلياس وهو شباط ، ونرلس وهو آذار ، وابرلس وهو نيسان ، ومايس وهو أيار ، ويولس وهو حزيران وأغسطس وهو تموز ، وستنبرس وهوآب ، واقطبرس وهوايلول ، ونونبرس وهو تشرين الأول ، واكبرس وهو تشرين الآخر ، ومورس وهو كانون الأول .

وكانت مملكتهم من حد الفرات الى حد الاسكندرية مما صار في أرض الاسلام سوى ما بارض الروم مما هو في أيديهم الى هذه الغاية ، وكانت أعظم مدائنهم الرها من أرض الجزيرة وهي من ديار مضر ، ثم أنطاكية وبها كرسي بطرس وكف يحيى ابن زكرياء في كنيسة القسيان وهي الكرسي الرابع والبطرك الكبير فما كان في مملكة الروم وصار في الاسلام أرض الجزيرة من حران والرها وسائر كورها وبالس وسميساط وماطية وأذنة وطرسوس وجند قنسرين والعواصم وسائر كورها وجند حمص ، ومدينة حمص إحدى المدن المعدودة في مملكة الروم ، ثم اللاذقية وهي من حمص ايضاً وجند دمشق ، وكان عمال ملك الروم بها آل جفنة من غسان ، وجند الأردن وكانت اليهم أيضاً وعمالها من قبل الروم من آل جفنة الغسانيين ، وجند فلسطين بكوره وتنيس ودمياط والاسكندرية ، فهذه مملكة الروم الخاصة مما صارت في أرض الاسلام ثم لهم ماخلف الدرب الى بلاد الصقالبة والألان والافرنج ، ومن المدن التي في بلاد الروم المشهورة المعروفة مثل رومية ونيقية وقسطنطينية وأماسية وخرشنة وقرة وعمورية وصملة

— ملك قبل اليون هو [تيدوس] المعروف بالأرمني وكان ملكه في السنة التي بويع فيها سليمان بن عبد الملك وهي سنة ٩٦ ، وقد ذكر المسعودي ما يخالف ذلك كله في مروج الذهب [ج ٣] (م . ص)

والقلمية وسلندوا وهرقلة وصقلية وفلطنه وأنطاكية المحترقة ودهرناطه وملوية وسلوقية وامريه وقونية وجوس وبلوس وراوعس وسلنيقة .

ملوك فارس

فارس تدعي لملوكها أموراً كثيرة مما لا يقبل مثلها من الزيادة في الخلقة حتى يكون للواحد عدة أفواه وعيون ويكون للآخر وجه من نحاس ويكون على كتفي آخر حيتان تطعم أدمغة الرجال وطول المدة في العمر ودفع الموت عن الناس وأشباه ذلك مما يدفعه العقول ويجري فيه مجرى اللعباث والهزل ومما لاحقيقه له ، ولم يزل أهل العقول والمعرفه من العجم ومن له شرف والبيت الرفيع من أبناء ملوكهم ودهاقينهم وذوي الرواية والأدب لا يحققون هذا ولا يصححونه ولا يقولونه ووجدناهم إنما يحسبون ملك فارس من لدن « أردشير بابكان » فمن كان عندهم من أول ملوكهم والمملكة الأولى قبل اردشير [شيومرث] سبعين سنه [أوشهنج فيشداد] اربعين سنه [طهمورث] ثلاثين سنه « جم شاد » سبعمائة سنه « الضحاك » الف سنه « افريدون » خمسمائة سنه « منوجهر » مائة وعشرين سنه « افراسياب » ملك الترك مائة وعشرين سنه « زوطهاسب » خمس سنين « كيقباذ » مأة سنه [كي كاووس] مائة وعشرين سنه [كي خسرو] ستين سنه « كي لهراسب » مائة وعشرين سنه « كي بشتاسب » مائة واثني عشرة سنه « كي اردشير » مائة واثني عشرة سنه « خماني » بنت جهر زاد ثلاثين سنه « دارا » بن جهرزاد اثني عشرة سنه ، ثم قتله الاسكندر الذي يقال له ذو القرنين فافترق ملك فارس وملك ملوك يسمون ملوك الطوائف ، وهؤلاء كان ملكهم ببلخ ، ويزعم النسابون أنهم من ولد عامور ابن يافث بن نوح ، وكانوا على دين الصابئين يعظمون الشمس والقمر والنار والنجوم السبعة ولم يكونوا مجوساً ولكنهم كانوا على شرائع الصابئين ،

وكان كلامهم السرياني به يتكلمون وبه يكتبون ، وهذا رسم الخط

السرياني (١) ولهم أخبار قد أثبتت رأينا أكثر الناس ينكرونها ويستبشعونها فتركناها لأن مذهبنا حذف كل مستبشع .

المملكة الثانية من أردشير بابكان

وملك ﴿ أردشير ﴾ وهو أول ملوك الفرس المتمجسة ، وكان ملكه باصطخر وامتنع عليه بعض كور فارس فحاربهم حتى فتحها ثم صار الى إصبهان ثم صار الى الأهواز ثم إلى ميسان ثم رجع الى فارس فحارب ملكاً يقال له [اردوان] فقتله وسمي أردشير شاهنشاه وبنى بيت نار باردشيرخرّه ، ثم صار الى الجزيرة وأرمينية وآذربيجان ثم صار الى سواد العراق فسكنه وصار الى خراسان فافتتح كوراً منها ولما دوّخ البلاد عقد لابنه سابور الملك بعده وتوجه وسماه الملك ، وتوفي أردشير وكان ملكه أربع عشرة سنة .

وملك ﴿ سابور ﴾ بن أردشير فغزا بلاد الروم وفتح منها عدة بلدان وأسر خلقاً من الروم فبنى مدينة جند يسابور وأسكنها سبي الروم وهندس له رئيس الروم القنطرة التي على نهر تستر وعرضه الف ذراع ، وفي أيام سابور بن أردشير ظهر (ماني) ابن حماد الزنديق فدعا سابور الى الثنوية وعاب مذهبه فمال سابور اليه وقال (ماني) إن مدبر العالم إثنان وهما شيئان قديمان نور وظلمة خالقان فخالق خير وخالق شر فالظلمة والنور كل واحد منهما في نفسه اسم لخمسة معان اللون والطعم والرائحة والمجسة والصوت وإنهما سميعان بصيران عالمان وإنه ما كان من خير ومنفعة فهو من قبل النور وما كان من ضرر وبلاء فهو من قبل الظلمة وإنهما كانا غير ممتزجين ثم امتزجا ، والدليل على ذلك أنه لم تكن صورة ثم حدثت وأن الظلمة هي بدأت للنور بالممازجة وأنهما كانا متماسين على مثال الظل والشمس ، والدليل على ذلك استحالة كون شيء لا من شيء وأن الظلمة بدأت للنور بالممازجة وأنه لما كان مخالطة الظلام للنور مفسدة له كان محالاً أن يكون النور بدأها لأن النور من شأنه الخير ، والدليل على أنهما إثنان قديمان خير وشر أنه

(١) لم يوجد في الأصل المطبوع في ليدن رسم خط السرياني الذي أشار اليه (م ص)

لما وجدوا المادة الواحدة لا يكون منها فعلان مختلفان مثل النار الحارة المحرقة لا يكون منها التبريد والذي يكون منه التبريد لا يكون منه التسخين فذلك الذي يكون منه الخير لا يكون منه الشر والذي يكون منه الشر لا يكون منه الخير ، والدليل على أنهما حيان فاعلان أن الخير تثبت له فعلاً والشر تثبت له فعلاً ، فاجابه سابور الى هذه المقالة وأخذ بها أهل مملكته فعظم ذلك عليهم فاجتمع حكماء أهل مملكته ليصدوه عن ذلك فلم يفعل ووضع « ماني » كتباً يثبت بها الاثنين ، ومما وضع كتابه الذي يسميه (كنز الأحياء) يصف ما في النفس من الخلاص النوري والفساد الظلمي وينسب الأفعال الردية إلى الظلمة ، وكتاب يسميه (الشابرقان) يصف فيه النفس الخالصة والمختلطة بالشياطين والعلل ويجعل الفلك مسطوحاً « ويقول » إن العلم على جبل مائل يدور عليه الفلك العلوي ، وكتاب يسميه (كتاب الهدى والتدبير) وإثنا عشر إنجيلاً يسمي كل انجيل منها بحرف من الحروف ، وبذكر الصلاة وما ينبغي أن يستعمل لخلاص الروح و (كتاب سفر الأسرار) الذي يطعن فيه على آيات الأنبياء ، و (كتاب سفر الجبابرة) وله كتب كثيرة ورسائل ، فاقام سابور على هذه المقالة بضع عشرة سنة ثم أتاه (الموبذ) فقال إن هذا قد أفسد عليك دينك فاجمع بيني وبينه لأناظره فجمع بينهما فظهر عليه الموبذ بالحجة فرجع سابور عن الثنوية الى المجوسية وهمّ بقتل (ماني) فهرب فاتى الى بلاد الهند فاقام بها حتى مات سابور .

ثم ملك بعد سابور « هرمز » بن سابور وكان رجلاً شجاعاً وهو الذي بنى مدينة (رامهرمز) ولم تطل أيامه وكان ملكه سنة واحدة .

ثم ملك « بهرام » بن هرمز وكان مشغوفاً بالعبيد والملاهي وكتب تلاميذ « ماني » اليه أن قد ملك ملك حدث السن كثير التشاغل فقدم الى أرض فارس واشتهر أمره وظهر موضعه فاحضره بهرام فسأله عن أمره فذكر له حاله فجمع بينه وبين الموبذ فناظره ثم قال له الموبذ يذاب لي ولك رصاص يصب على معدتي ومعدتك فاينا لم يضره

ذلك فهو على الحق فقال هـــذا فعل الظلمة ، فأمر به بهرام فحبس وقال له إذا أصبحت دعوت بك فقتلتك قتلة ماقتل بها أحد قبلك فلم يزل (ماني) ليله سلخ حتى خرجت نفسه وأصبح بهرام فدعا به فوجدوه قد مات فأمر بحز رأسه وحشا جسده بالتبن وتتبع أصحابه فقتل منهم خلقاً عظيماً ، وكان ملك بهرام بن هرمز ثلاث سنين .

ثم ملك [بهرام بن بهرام] وكان ملكه سبع عشرة سنة ، ثم ملك بعده ابنه (بهرام ابن بهرام بن بهرام) فكان ملكه أربع سنين ، ثم ملك اخوه ﴿ نرسى ﴾ بن بهرام تسع سنين ، ثم ملك ﴿ هرمز ﴾ بن نرسى تسع سنين وولد له ابن سماه ﴿ سابور ﴾ وعقد له الملك ، ومات هرمز وسابور صبي في المهد فأقام أهل مملكته متلومين عليه حتى ترعرع وشب ثم ظهر منه عتو وجبرية فغزا بلاد العرب وعوّر عليهم المياه وغزاه ملك الروم وهو ﴿ اليانوس ﴾ فاعانته العرب من جميع القبائل ثم تسرعت قبائل العرب الى سابور فاوقعت به في دار ملكه حتى هرب وخلا ملكه فانتهب مدينته وخزائنه ثم جاء سهم غرب فقتل اليانوس ملك الروم فملكت الروم ﴿ يوبنيانوس ﴾ فصالح سابور وأقام سابور على معـــاداة العرب لا يظفر باحد منهم إلا خلع كتفه فلذلك سمي سابور ذا الاكتاف وكان ملكه اثنتين وسبعين سنة .

ثم ملك ﴿ أردشير ﴾ بن هرمز أخو سابور فساءت سيرته وقتل الأشراف والعظماء منهم فخلع بعد أن ملك أربع سنين ، وملكت الفرس ﴿ سابور بن سابور ﴾ فخضع له أردشير المخلوع ومنحه الطاعة وسقط على سابور فسطاط فقتله ، وكان ملكه خمس سنين .

وملك بعد سابور ﴿ بهرام ﴾ بن سابور وكتب الى الآفاق يعدهم العدل والنصفة والاحسان وأقام على ملكه احدى عشرة سنة ثم ثار عليه قوم فقتلوه .

ثم ملك ﴿ يزدجرد ﴾ بن سابور وكان فظاً غليظاً مستطيلاً سيء السيرة قليل الخير كثير الشر فسامهم سوء العذاب ثم رمحه فرسه فقتله ، وكان ملكه احدى وعشرين سنة

" ثم ملك ﴿ بهرام جور ﴾ بن يزدجرد وكان قد نشأ بارض العرب وكان ابوه قد دفعه الى النعمان فارضعته نساء العرب ونشأ على أخلاق جميلة ، وقد كان لما مات يزدجرد كرهت الفرس أن تولي ابنا له لسوء مذهبه وقالوا بهرام ابنه قد نشأ بارض العرب لا علم له بالملك وأجمعوا على أن يملكوا رجلاً غيره فسار بهرام في العرب فلما لقي الفرس هابته فأخذوا تاج الملك والزينة التي تلبسها الملوك فوضعوها بين أسدين وقالوا لبهرام ولكسرى أيكما أخذ التاج والزينة من بين هاذين الأسدين فهو الملك فقالوا لبهرام فأخذ جرزاً وتقدّم فضرب الأسدين حتى قتلهما وأخذ التاج والزينة فأذعنوا له وأعطوه الطاعة فوعدهم من نفسه خيراً وكتب الى الآفاق يعدهم بذلك ويعلمهم ما هو عليه من العدل وتوخى عمارة البلاد ، وقدم المنذر بن النعمان عليه فرفع منزلته وكان بهرام رجلاً مؤثراً للهو متشاغلاً عن الرعية ثم صار لطلب الصيد واللهو واستخلف أخاه نرسى على المملكة فلما بلغ ﴿ خاقان ﴾ ملك الترك حال بهرام طمع فيه فأراد أن يسير نحوه فبلغ بهرام ذلك فسار اليه حتى قتله وكتب الى رعيته بالفتح ثم خرج يوماً يتصيد فامعن في طلب عير ثم طرحه فرسه في موضع حمأة فمات ، فكان ملكه تسع عشرة سنة

ثم ملك ﴿ يزدجرد ﴾ بن بهرام وكان ملكه سبع عشرة سنة ، وكان ليزدجرد هذا ابنان يقال لأحدهما « هرمز » والآخر « فيروز » فغلب هرمز على الملك بعد أبيه فهرب فيروز ولحق ببلاد الهياطلة وأخبر ملكها بقصته وبمذاهب أخيه وجوره فأمده بجيش فأقبل بهم وقاتل أخاه فقتله وشتت جمعه وملك ﴿ فيروز ﴾ فنال الناس في أيامه جدب وقحط ومجاعة شديدة وغاضت الأنهار والعيون فلم يزل على تلك حالهم ثلاث سنين ثم خصبت البلاد وسار فيروز الى بلاد الترك ليحارب ملكها وقد كان الصلح وقع بين الفرس والترك فلما قرب من البلاد أرسل اليه ملك الترك يسأله الرجوع ويعظم عليه ترك الوفاء فلم يقبل فحفر له خندقاً عميقاً ثم عماه فلما قرب منه عبأ عسكره واقتحمه فسقط وجميع جنده في ذلك الخندق فمات وحوى ملك الترك أمواله وأخذ

أختاً له ، وكان ملكه سبعاً وعشرين سنة فلما بلغ الفرس مقتل فيروز أعظموه فسار رئيس من رؤسائهم يقال له ﴿ سوخرا ﴾ في جمع وعدة حتى لقي ملك الترك فحاربه ونال منه فدعاه ملك الترك الى الصلح على أن يدفع اليه كلما حواه من خزائن فيروز ويرد أخته ومن في يده من أصحابه ففعل ذلك وانصرف عنه .

وملك ﴿ بلاش ﴾ بن فيروز وكانت مدته أربع سنين ، ثم ملك اخوه (قباذ) ابن فيروز وكان صغير السن فترك لسوخرا تدبير المملكة فلما بلغ وصار في حد الرجال لم يرض بتدبير سوخرا فقتله وقدم مهران ، ثم إن الفرس ازالت قباذ عن ملكه وحبسته وملكت أخاه ﴿ جامسب ﴾ بن فيروز فاقام قباذ في الحبس وأخوه الملك ، ثم إن أختاً لقباذ دخلت الحبس فتعرض لها صاحب الحبس وأطمعته في نفسها وقالت إنها طامث ثم دخلت فاقامت عند قباذ يوماً ثم لفته في بساط وأخرجته على عنق غلام جلد فهرب قباذ يريد ملك الهياطلة فلما صار بابرشهر نزل برجل فاقام عنده ثم سأله أن يطلب له امرأة فاتاه بجارية فوقع عليها وأعجبه حسنها وجمالها ، ثم مضى الى ملك الهياطلة فاقام عنده سنة ثم بعث معه جيشاً فلما رجع بابر شهر فقال للرجل الذي نزل عنده ما فعلت تلك الجارية فأتى بها وقد ولدت صبياً كاحسن ما يكون من الصبيان فسماه كسرى انوشروان وزحف قباذ الى بلاده فغلب على الملك وقوي أمره واشتدت شوكته وغزا بلاد الروم وكوَّر الكور والطساسيج وعقد لابنه انوشروان الملك ودعاه فاوصاه باحسن الوصية وعرفه كلما يحتاج اليه ، وكان ملك قباذ ثلاثاً وأربعين سنة .

ثم ملك ﴿ انوشروان ﴾ بن قباذ فكتب الى أهل مملكته يذكر لهم وفاة قباذ ويعدهم من نفسه خيراً ويأمرهم بمالهم فيه الحظ ويوعز اليهم في الطاعة والمناصحة وعفا عن قوم كانوا يتحملون عليه وقتل (مزدق) الذي كان أمر الناس بان يتساووا في الأموال والحرم ، وقتل (زراذشت) بن خركان لما ابتدع في المجوسية ، وقتل أصحابهما وقدم أهل المملكة والشرف وغزا بلداناً عدة مما لم يكن في مملكة الفرس

فضمها الى ملكه ، وجرى بينه وبين يخطيانوس ملك الروم ... (١) ... فغزا أنو شروان بلاد الروم فقتل وسبي وغلب على مدن كثيرة من الجزيرة والشام منها الرها ومنبج وقنسرين والعواصم وحلب وأنطاكية وأفامية وحمص وغيرها ، وأعجبته أنطاكية فبنى مدينة مثلها لم يخرم منها شيئاً ثم جاء بسبي أنطاكية فارسلهم فيها فلم ينكروا شيئاً ومسح أنو شروان البلاد ووضع عليها الخراج وألزم كل جريب من الغلات بقدر احتماله فلم تزل السنة جارية على ذلك والبلاد عامرة ورتب لديوان المقاتلة رجلاً رضي حزمه وعزمه وأخذ مقاتلته مما يحتاج اليه من السلاح ، وجعل ديوان العطاء ودفاتر الأسماء والحلي وسمات الدواب وديوان العرض على مثل ذلك .

وكان أنو شروان نبيلاً كريماً ظاهر العدل لا يسأله إنسان شيئاً إلا يجري إجابته فسار اليه ﴿ سيف بن ذي يزن ﴾ فأعلمه أن الحبشة قدمت بلاد اليمن وغلبت عليها وأنه صار الى « هرقل » ملك الروم فلم يجد عنده ما يحب فبعث معه باهل السجون في البحر وقوّد عليهم رجلا من مشيخة قواده شجاعاً مجرباً يقال له ﴿ وهرز ﴾ فصار الى بلاد اليمن حتى قتل الحبشة وأفناهم ورمى ملكهم (أبرهة) فقتله وأقام في البلد وملك سيف بن ذي يزن ، وعقد أنو شروان لابنه « هرمز » الملك من بعده ، وكانت أم هرمز بنت خاقان ملك الترك ، وكتب له في ذلك كتاباً بالعهد وأمره فيه بما يأمر به مثله وأوصاه أحسن الوصايا وامتحنه فوجده بحيث يحب وأجابه على كل ما قال له بجواب سديد ونكر ، ولا يأتيه إلا بقول حسن لطيف ، وهلك أنو شروان وكان ملكه ثماني وأربعين سنة .

ثم ملك ﴿ هرمز ﴾ بن أنو شروان فقرأ على الناس كتاباً عاما يعد فيه بالعدل

---

(١) بياض في الأصل ، وقد ذكر المؤرخون — منهم ابن الأثير في الجزء الأول من تاريخه الكامل — ما جرى بين يخطيانوس ملك الروم وبين أنو شروان مما سبب غزو أنو شروان بلاد الروم . (م . ص)

والانصاف والعفو والاحسان ويأمرهم بما فيه مصالح ونال ظفراً وعزاً ففتح عدة مدائن ثم اجترءوا أعاديه عليه وغزوا بلاده وكان أغلظ الأعداء عليه ﴿ شابه ﴾ ملك الترك فانه زحف في خلق عظيم حتى دخل بلاد خراسان وكاد أن يحتوي عليها وأقبل ملك الخزر في جموع حتى نزل آذربيجان فعظم ذلك عليه وخاف أن لا يكون له طاقة بصاحب الترك فأتاه رجل من قواده يقال له ﴿ بهزاد ﴾ فاعلمه أن عنده رجلاً يقال له [مهران ستاد] عالماً (. . . . .) وإن خاتون امرأته سألت عما قبلهم فاخبرها أن ابنتها لله من ملك الفرس ابناً يلي الملك بعد أبيه وأنه يزحف اليه ملك الترك في خلق عظيم فيوجه اليه بانسان ليس بالنبيه يقال له (بهرام شوبين) في شرذمة من الجند ويقتل ذلك الملك ويصطلم ملكه فلما سمع هرمز ذلك سره ثم طلب بهرام شوبين فقيل له ما نعرف هذا إلا رجلاً من أهل الري هو بآذربيجان فوجه اليه فأقدمه ثم وجهه الى « شابه » الملك الترك في اثني عشر الف مقاتل فقال (موبذان موبذ) لهرمز ما أخلقه أن ينال مظفراً غير أن في قرنة حاجبه دليلا على ثلمة يثلمها في ملكك وقال له زاجر كان له مثل ذلك فكتب هرمز الى بهرام أن يرجع فلم يرجع ووافاه بهرام بهراة ﴿ وشابه ﴾ مغتر ، وكان عند (شابه) رجل وجه به هرمز من يخدعه يقال له (هرمزجرابزين) حتى فر منه ثم ارتحل عنه فارسل (شابه) من عرف خبر بهرام فانصرف اليه فأعلمه حاله فارسل اليه (شابه) في الرجوع فأجابه بهرام بجواب غليظ شديد ثم لقيه وقد عبأ جنده وقد كان مع (شابه) قوم عرافون وسحرة وكانوا يلبسون على أصحاب بهرام ثم التحمت الحرب فاستحر القتل في أصحاب (شابه) حتى قتل منهم خلق عظيم فولوا منهزمين وقتل بهرام منهم مقتلة عظيمة ولحق (شابه) فرماه بحربة طويلة فقتله وأخذ ساحراً كان مع صاحب الترك فاراد بهرام أن يستبقيه فيكون عدة له في حروبه ثم رأى أن قتله أصلح فكتب بالفتح الى هرمز فسر به وكتب به الى الآفاق ثم خرج [برموذه] بن شابه فلقي بهرام فحاربه وباينه وكانت بينهما حرب شديدة ثم باينه بهرام فهزمه ولحقه

لحصره في حصن فطلب ﴿ برموذه ﴾ بن شابه الأمان على أن يكون ذلك من هرمز الملك فكتب بهرام الى هرمز فاجابه وكتب له كتاب أمان وكتب الى بهرام أن يسرحه اليه فخرج ﴿ برموذه ﴾ بن شابه من الحصن وكان هرمز قد وجه ناساً إلى بهرام شوبين فصار ﴿ برموذه ﴾ الى هرمز فاكرمه هرمز وبرّه وأجلسه معه على السرير وأخبره ﴿ برموذه ﴾ بما صار الى بهرام من الأموال العظام والكنوز وأنه قد كتم ذلك عن أمنائه وأخبر أمناؤه بمثل ذلك وأن الذي بعث به قليل من كثير فكتب هرمز الى بهرام يأمره أن يحمل اليه ما في يده من الأموال فغلظ ذلك على بهرام وأخبر به جنده فذكروا هرمز أقبح ذكر وخلعه هو وجميع جنده فلما بلغ ذلك هرمز إغتم له وكتب الى بهرام يعتذر اليه والى جنده من مثل ذلك فلم يقبل بهرام ولا جنده قول هرمز وبعث بهرام الى هرمز بسفط فيه سكاكين معوجة الرؤوس فلما رآها هرمز علم أنه قد عصى فقطع أطراف السكاكين وردها اليه فعلم بهرام ما أراد فارسل الى ﴿ خاقان ﴾ ملك الترك يطلب صلحه على أن يرد عليه كل أرض حازها من بلاده وسار بهرام حتى صار إلى الري ثم دبر أن يوقع بين هرمز وبين ابنه كسرى أبرويز شراً وكان هرمز متهما لابنه وكان قد بلغه أن قوماً قد حملوه على أن يثب بابيه فضرب دراهم كثيرة وصير عليها اسم كسرى أبرويز وبعث بها الى مدينة هرمز فكثرت في أيدي الناس ، ولما بلغ هرمز خبرها اشتد غمه فاراد أن يحبس ابنه كسرى أبرويز فلما بلغ أبرويز الخبر هرب الى آذربيجان فاجتمع اليه من بها من مرازبتها ورؤسائها وعاقدوه وبايعوه ووجه هرمز الى بهرام بجيش مع رجل يقال له « آذينجشنس » فلما صار في بعض الطريق قتله رجل حواري كان آذينجشنس أخرجه من الحبس وضمه الى نفسه وافترق اصحابه فلما قتل آذينجشنس ضعف أمر هرمز واجترأ عليه جنده وكانوا متغضبين له كارهين لولايته فكتبوا الى ابنه أبرويز فقدم بجيش من آذربيجان فخلعوا هرمز وملكوا أبرويز وأخذ هرمز فحبس وسملت عيناه فاقام في الحبس أياماً ثم دخل اليه ابنه فكلمه فقال له هرمز أقتل من صنع بي

هذا وكان قد احتوى على تدبير الملك بندى وبسطام خالا ابرويز وكان ملك هرمز اثنتي عشرة سنة .

فلما استقام أمر ابرويز وبلغه مسير بهرام شوبين اليه خرج في جيشه ومعه بندى وبسطام حتى وقف على بهرام بالنهروان وكلمه وعظم عليه الأمر فاجابه بهرام بجواب غليظ شديد وكان ﴿ كردويه ﴾ أخو بهرام مع كسرى أبرويز وألحقه بهرام وانكشف عن كسرى جنده وأسلمه أصحابه فر هارباً فلما كان في بعض الطريق رجع بندى وبسطام خالاه فقتلا هرمز أباه ولحقاه في بعض الطريق واستمر به الهرب حتى ساءت حالته واشتد بؤسه وجزعه فطلب طعاماً فلم يجد إلا خبز شعير ولحقته خيل بهرام فاحتال له خاله بندى حتى نجاه فمضى حتى صار الى الرها فأخذ بندى فأتي به بهرام فحبسه ثم أفلت من الحبس فصار الى آذربيجان وصاو كسرى الى الرها يريد ﴿ مورق ﴾ ملك الروم فحبسه صاحب الرها وكتب الى مورق ملك الروم يخبره أنه أتاه لينصره فاستشار ملك الروم أصحابه في أمره فاشار بعضهم بأن لا يجاب وأشار بعضهم بان يجاب فاجابه ملك الروم وزوجه ابنته ووجه معه بجيش عظيم وشرط عليه الشروط إذا تم له نصره ووجه اليه كسرى بثلاثة نفر من أصحابه فشرط عليهم كلما أراد ووجه بابنته وبالجيش عليهم أخاله يقال له ﴿ ثيادوس ﴾ ومعه رجل يجري مجرى الف رجل فسار كسرى بجيشه بعد ابتنائه بابنة ملك الروم الى ناحية آذربيجان وكان بندى خاله قد صار اليها فلما علم بمكانه لقيه في جيش عظيم ولما علم بهرام شوبين بما اجتمع لكسرى كتب الى وجوه أصحابه يخبرهم بسوء مذهب آل ساسان ويصف سيرة ملك ملك ويدعوهم لنفسه ووقعت الكتب في يد كسرى قبل أن تصل الى القوم فكتب اليه باغلظ الجواب عن القوم ورد اليه الرسول فزحف اليهم بهرام حتى صار الى آذربيجان فحاربه محاربة شديدة وأخذت الحرب من الفريقين وخرج الرومي الذي كان يجري مجرى الف رجل فقال لكسرى أين عبدك هذا الذي غصبك ملكك

حتى أقتله فقال هو صاحب الأبلق فحمل عليه وتراجع بهرام الى ورائه ثم تراجع عليه فضربه بسيفه فقده بنصفين فضحك كسرى وقال زه فغضب أخو ملك الروم وقال سررت أن قتل رجلنا وصاحبنا فقال لا ولكن صاحبكم قال لي أري العبد الذي غصبك وغلبك ملكك فأردت أن تعلم أن العبد يضرب في كل يوم عدة ضربات كل مثل هذا واشتدت الحرب حتى انهزم كسرى وصعد في جبل فكاد يهلك ثم ثاب جند كسرى وانهزم بهرام شوبين فمضى منصرفاً لا يلوي على شيء متوجهاً الى ملك الترك واستقام الأمر لكسرى أبرويز فكتب الى صاحب الروم بذلك وأهدى له ملك الروم ثوبين فيهما الصلب فلبسهما فقال الفرس قد تنصر ثم كتب في النصارى أن يكرموا ويقدموا ويبرزوا ويخبر بما قد جرى بينه وبين الرومي من العصمة واللحمة والموادعة وأنه لم يقل هذا ملك من الملوك قبله ووثب بندى خال كسرى بثيادوس أخي ملك الروم فصمه (١) فوقع الشر وقال أخو ملك الروم إما أن تدفع إلي بندى وإما أن يعود الشر فسكنه كسرى وورد بهرام شوبين بلاد الترك فأكرمه خاقان وبره وكان لخاقان أخ يقال له « هارس » يداريه خاقان فرآه بهرام فقال لخاقان كيف اجترأ هذا عليك هذه الجرأة فسمع أخو خاقان الكلام فتواعده فقال بهرام متى شئت فابرز فدفع خاقان ملك الترك الى أخيه نشابة والى بهرام نشابة ثم أخرجهما الى الصحراء فرمى أخو خاقان بهرام فأصابه فشك سلاحه ورماه بهرام فقتله فسر خاقان بقتل أخيه لمعاندته له ولما كان يخافه منه وكان كسرى يرهب مكان بهرام شوبين مع خاقان ولا يأمن أن يجري عليه شراً فوجه برجل من وجوه الفرس يقال له [بهرام جرابزين] وكان كبيراً في الفرس ووجه معه الى خاقان بهدايا ويسأله أن يبعث اليه بهرام شوبين وأمر جرابزين أن يتلطف فقدم على خاقان بالهدايا وذكر له أمر بهرام فلم يجد عنده الذي يحب فتلطف « بخاتون » امرأة خاقان وأهدى لها جوهراً ومتاعاً وسألها في أمر

(١) يقال صم الرجل بحجر إذا ضربه به .

بهرام فوجهت برجل من أصحابها له إقدام وجرأة قلب وقالت له ادخل الى بهرام شوبين فاقتله فانطلق حتى استأذن عليه وكان نوم بهرام فلم يأذن له فقال إن الملك خاقان وجهني في أمر مهم فأذن له فلما دخل عليه قال إن الملك حملني رسالة أخبرك بها سراً من غير حضور أحد فقام من مجلسه ودنا منه كأنه يساره ووجاه بخنجر معه تحت أبطه وخرج التركي مسرعاً فركب دابته ودخل أصحاب بهرام فرأوه بتلك الحال فقالوا أيها الليث الضرغام من أقصدك ، وأيها الجبل المنيف من هدك ، فقص عليهم القصة وكتب الى خاقان يعلمه أنه لا وفاء له ولا شكر ، ومات بهرام فحمل الى الناووس ولما علم جرابزين بموته ارتحل الى كسرى فأخبره فسر به وأظهره في مملكته و كتب به الى آفاقه ، ولما مات بهرام بعث ملك الترك الى كردية امرأة بهرام وأصحابه يخبرهم بغمه وأنه قد قتل كل من شرك في قتله ووجه باخيه ﴿ نطرا ﴾ اليهم وكتب الى كردية امرأة بهرام شوبين أنه يرغب فيها ويأمرها أن تتزوج نطرا فحملت كردية امرأة بهرام جند أخيها وارتحلت باصحابها ومن معها تريد بلاد الفرس فلحقها نطرا أخو خاقان فبرزت اليه في السلاح وقالت لا أتزوج إلا من كان في الشجاعة والقوة مثل بهرام فابرز إلي فبرز اليها أخو خاقان فقتلته ومضت لوجهها ، وكان كسرى قد غضب على خاله بندى فسمل عينيه وقطع رجليه وصلبه حياً لما فعل بابيه فلما علم بسطام أخو بندى ما فعل كسرى باخيه خلع كسرى وصار الى الري وجمع وبلغه أن كردية أخت بهرام وامرأته قد أقبلت من بلاد الترك فتلقاها ومن معها فذم اليها كسرى وخبرها بغدره وفجوره وسألها أن تقيم عنده بمن معها وأن تزوجه نفسها ففعلت و كتب الى أخيها كردي تعلمه ذلك وتسأله أن يأخذ لها ولمن معها أماناً من كسرى فأخبر كسرى بمصير كردية بمن معها من جند بهرام وأصحابه الى الري وتزوج بسطام خاله بها ومقامها معه فعلم ذلك كسرى ودعا كردي أخاها فسأله أن يتلطف بها حتى تقتل بسطام وتقدم فيتزوجها فوجه كردي أبرخة امرأته الى كردية أخته بما ذكر له الملك

وأنفذ اليها كتب الأمانات لها ولمن معها باوثق ما يكون من العهود فقبلوا أصحابها ووثبوا على بسطام فقتلوه وقدمت كردية على كسرى فتزوجها وأحلها محلاً رفيعاً فاستقامت لكسرى اموره ودانت له بلاده ثم وثبت الروم بمورق ملكها فقتلوه وملكوا غيره وصار اليه ابن مورق فوجه معه جيشاً ثم قتل ابن مورق وملك هرقل تنزا أصحاب كسرى فقتلهم وشردهم وزحف اليهم حتى هزم (شهر براز) صاحب كسرى ، وكان كسرى لما اشتد ملكه قد طغا وبغى وعتا وظلم وجار وأخذ اموال الناس وسفك الدم فمقته الناس لما نال منهم ولاحتقاره إياهم وأن عظماء الفرس لما رأوا ماهم فيه من الذل والبلاء والمكروه من كسرى خلعوه وجاءوا بابن له يقال له (شيرويه) فملكوه وأدخلوه المدينة ونادوا شيرويه (شاهنشاه) واخرجوا من في السجون ممن كان كسرى يريد قتلهم فهرب كسرى حتى دخل بستاناً له فأخذوه فحبسوه ثم قالوا لشيرويه إنه لا يستقيم الملك ان يكون « ابرويز » حياً فاقتله وإلا خلعناك فوجه شيرويه الى ابيه برسالة غليظة يعنفه فيها على فعله ويذكر له ما نال من اهل مملكته وما كان من سوء سيرته فاجابه بجواب تفنيد وتجهيل له فوجه اليه برجل كان كسرى ابرويز قطع يد ابيه بغير سبب ولا جرم إلا انه قيل له إن ابن هذا يقتلك فقطع يده وكان من خاصته فلما دخل عليه سأله عن اسمه . . . (١) . . . قال له شأنك وما امرت به فضربه حتى قتله ، ثم إن شيرويه حمل اباه الى الناووس وقتل قاتله ، وكان ملك كسرى ابرويز ثماني وثلاثين سنة .

ولما ملك شيرويه بن ابرويز اطلق من في المحابس وتزوج بنساء ابيه وقتل سبعة عشر أخاً ظلماً واعتداءً فلم يستقم ملكه ولم يصلح حاله فاشتد سقمه ومات بعد ثمانية اشهر ، وملكت الفرس ابناً لشيرويه طفلاً يقال له « اردشير » واختاروا له رجلا

(١) بياض في الأصل ، قال ابن الأثير في تاريخه الكامل « إن الذي باشر قتل كسرى شاب يقال له مهرهرمز بن مردانشاه من ناحية نيمروذ » (م . ص)

يقال له ﴿ مه آذرجشنس ﴾ فحضنوه إياه ليقوم بتدبير الملك فأحسن التدبير وقام بالأمر قياماً محموداً وجرت أمور المملكة ، وكان ﴿ شهر براز ﴾ الذي كان موجهاً لحرب الروم قدعظم أمره فكره موضع مه آذرجشنس وكتب الى الفرس أن يوجهوا اليه برجال سماهم وإلا أقبل اليهم حتى يحاربهم فلم يفعلوا فاقبل شهر براز في ستة آلاف الى جانب مدينة المملكة وحاصر من فيها وقاتلهم ثم فكر فاحتال حتى دخل المدينة فاخذ عظماء الفرس فقتلهم وفضح نساءهم وقتل أردشير الملك ، وكان ملك أردشير سنة وستة أشهر .

وجلس ﴿ شهر براز ﴾ على سرير الملك ودعا نفسه ملكاً فلما رأت الفرس فعل شهر براز أعظمته وقالت مثل هذا لا يملك علينا فوثبوا به وقتلوه وجروا برجله ولما قتلت الفرس شهر براز طلبوا رجلاً من أهل الملك فلم يجدوه فملكوا ﴿ أبوران ﴾ بنت كسرى فاحسنت السيرة وبسطت العدل والاحسان وكتبت الى آفاقها كتاباً تعد فيه بالعدل والاحسان وتأمرهم بجميل المذهب والقصد والسداد ووادعت ملك الروم ، وكان ملكها سنة وأربعة أشهر .

ثم ملكت ﴿ آزرميدخت ﴾ بنت كسرى واستقام أمرها فقال (فرخهرمزد) اصبهبذ خراسان انا اليوم قريع الناس وعماد مملكة فارس فزوجيني نفسك فقالت لا يجوز للملكة أن تزوج نفسها ولكن إذا أردت أن تصل الي فاتني بالليل فرضي بذلك فامرت صاحب حرسها أن يرصده حتى يدخل ثم يقتله فلما كان الليل أتى فدخل وبصر به صاحب الحرس فقال من أنت فقال انا فرخهرمزد فقال وما تصنع في مثل هذا الوقت في موضع لا يدخله مثلك فضربه حتى قتله وطرحه في الرحبة فلما غدا الناس رأوه قتيلاً فرفعوا خبره وكان ابنه رستم الذي لقي سعد بن ابي وقاص بالقادسية بخراسان فقدم فقتل آزرميدخت ، وكان ملكها ستة أشهر .

ثم ملك رجل من عقب اردشير بن بابك يقال له ﴿ كسرى ﴾ بن مهرجشنس

وقد كان دعي الى الملك قبل ذلك فامتنع منه وكان مقامه بالأهواز فلما ملك لبس التاج وجلس على السرير فقتلوه بعد أيام فلم يتم له شهر فأعوز عظماء الفرس من يملكونه من أهل بيت المملكة ثم وجدوا رجلاً يقال له ﴿ فيروز ﴾ قد أولده أنوشروان من قبل أمه فملكوه ضرورة فلما أجلس ليتوج وكان ضخم الرأس قال ما أضيق هذا التاج فتطيرت عظماء الفرس من قوله فقتلوه ، وأقبل ابن لكسرى كان قد هرب الى نصيبين لما قتل شيرويه يقال له ﴿ فرخزاد خسرو ﴾ فتوج وملك وكان نبيلاً فملك سنة ، ثم وجدوا ﴿ يزدجرد ﴾ بن كسرى وكانت أمه حجامة وقع عليها كسرى فجاءت بيزدجرد فتطيروا منه فغيبوه ثم اضطروا اليه فجاءوا به وأمورهم مضطربة وأهل مملكته مجترئون عليه ولما أتى لملكه أربع سنين قدم سعد بن أبي وقاص القادسية فبعث اليه برستم ثم صار المسلمون الى المدائن وهي مدينة الملك يوم النيروز وقد استعدت الفرس بصنوف الأطعمة واستعدت أحسن الزينة فانهزمت الفرس وهرب يزدجرد فلم يزل المسلمون يتبعونه حتى صاروا الى مرو فدخل طاحونة وقتله صاحب الطاحونة ، وكان ملكه الى أن قتل عشرين سنة .

وكانت الفرس تعظم النيران ولا تستنجي بالماء إنما تستنجي بالدهن ولا تتخذ لقصورها ابواباً إنما كانت ابوابها عليها الستور يحفظها الحرس من الرجال ولا تأكل إلا بزمزمة وهو الكلام الخفي وتنكح الأمهات والأخوات والبنات وتذهب الى انه صلة لهن وبر بهن وتقرب الى الله فيهن ، ولم تكن لها حمامات ولا كنف ، وكانت تعظم الماء والنار والشمس والقمر والأنوار كلها ، وكانت تعد الأزمنة على شهورها وايام اعيادها ، وكان الخريف عندهم شهريور ماه ومهر ماه وآبان ماه ، والشتاء آذر ماه ودي ماه وبهمن ماه ، والربيع اسفندارمذ ماه وفروردين ماه واردبهشت ماه والقيظ خرداذ ماه وتير ماه ومرداذ ماه ، وكانت تزيد في الخريف خمسة ايام تسميها ايام الأندركاه فتكون السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وشهورهم ثلاثين يوماً

ورأس سنتهم يوم النوروز وهو أول يوم من فروردين ويكون ذلك في نيسان وآذار وقد مرت الشمس في حمل وهو يوم عيدهم المعظم عندهم ، ويوم المهرجان وهو لستة عشر يوماً يمشي من مهر ماه ثم يكون بين النوروز والمهرجان مائة وخمسة وسبعون يوماً وذلك خمسة أشهر وخمسة وعشرون يوماً ، والمهرجان في تشرين الآخر ، وكانت الفرس تسمي كل يوم من أيام شهورهم باسم وهي الروزات فاولها هرمز بهمن اردبيهشت شهريور اسفندارمذ خرداذ مرداذدي بآذر آذر آبان خورماه تير جوش دي بهمر مهر سروش رشن فروردين بهرام رام باذدي بدين دين ارد اشتاذ اسمان زامياذ مار سفندا نيران .

وكان من قول الجماعة منهم — فيما يقولونه من ﴿ زراذشت ﴾ الذي يدعون أنه نبيهم — أن يكون النور قديماً لم يزل وهم يسمونه ﴿ زوران ﴾ وأنه فكر في الشر لهفوة كانت منه علمهم منها لأن الحسن مستحيل الى قبح والطيب الريح الى نتن وأن القديم عندهم غير ممتنع من أن يلزمه التغيير والفساد في بعضه لا في كله فلما فكر القديم في الشر فتنفس الصعداء فخرج ذلك الغم من جوفه فامتثل بين يديه ويسمون ذلك الغم الممتثل بين يدي القديم ﴿ أهرمن ﴾ ويسمون أيضاً زروان هرمز (قالوا) فأراد أهرمن محاربة هرمز فكره ذلك هرمز لئلا يفعل شراً فصالحه على أن يصير اليه خلق كل ضار فاسد ﴿ وزعموا ﴾ أنهما جسمان وروحان وبينهما فرجة للحنق لأنهما ليسا بملتقيين ﴿ وقالوا ﴾ إن هرمز النور الفاعل الأجرام وأزواجها وأن أهرمن إنما يفعل المضار في هذه الجواهر كالسم في الهوام والغيظ والغضب والضجر والشرور والتعادي والحنق والخوف في الحيوان فان الله هو فاعل الأعيان وأعراضها الراتبة .

وكانت منازل ملوك الفرس في أول ملك أردشير بن بابكان باصطخر من كور فارس ثم لم تزل الملوك تنتقل حتى ملك أنو شروان بن قباذ فنزل المدائن من أرض العراق فصارت دار الملك ، وأجمع العلماء من المنجمين والمتطببين أنه ليس في المملكة بلد أصح ولا أفضل ولا أعدل من تلك البقعة وما قرب منها من إقليم بابل ، وكانت

البلاد التي تملكها الفرس ويحوز سلطانها فيها من كور خراسان نيسابور وهراة ومرو ومرو الروذ والفارياب والطالقان وبلخ وبخارا وباذغيس وباورد وغرشستان وطوس وسرخس وجرجان ، وكان على هذه الكور عامل تسميه اصبهبذ (١) خراسان ومن كور الجبل طبرستان والري وقزوين وزنجان وقم واصبهان وهمذان ونهاوند والدينور وحلوان وماسبذان ومهرجانقذق وشهرزور والصامغان وآذربيجان، وكان لهذه الكور اصبهبذ يقال له اصبهبذ آذربيجان وكرمان وفارس، وكورها اصطخر وشيراز والرجان والنوبندجان وجور وكازرون وفسا ودار أبجرد وأردشير خره وسابور والأهواز وكورها جند يسابور والسوس ونهر تيرى ومناذر وتستر وايذج ورام هرمز ، وعلى هذه اصبهبذ يقال له اصبهبذ فارس ، وكور العراق ولها ثمانية وأربعون طسوجاً (٢) على الفرات ودجلة ، فسقي الفرات بادوريا والأنبار وبهرسير والرومقان والزاب الأعلى والزاب الأسفل والزاب الأوسط وزندورد وميسان وكوثى ونهر درقيط ونهرجوبر والفلوجة العليا والفلوجة السفلى وبابل وخطرنية والجبة والبداة والسليحين وفرات بادقلا وسورا وبربسما ونهر الملك وبار وسما ونستر ، وسقي دجلة نهر بوق ونهر بين وبزرجسابور والراذان الأعلى والراذان الأسفل والزابيين والدسكرة وبرازروز وسلسل ومهروذ وجلولاء والنهروان الأوسط والنهروان الأسفل وجازر والمدائن والبندنجين ورستقباذ

(١) الاصبهبذ هو صاحب تدبير الملك ، وقد جعل أردشير في عهده الاصبهبذيين اربعة الأول بخراسان والثاني بالمغرب والثالث ببلاد الجنوب والرابع ببلاد الشام فهؤلاء الأربعة هم أصحاب تدبير الملك كل واحد منهم قد أفرد بتدبير جزء من أجزاء المملكة فكل واحد منهم صاحب ربع منها ولكل واحد من هؤلاء مرزبان وهم خلفاء هؤلاء الأربعة .

(٢) ينقسم الرستاق الى طساسيج وينقسم كل طسوج الى عدة من القرى وأكثر ما تستعمل هذه اللفظة في سواد العراق ، وتفسير الطسوج الناحية . (م ص)

وابزقباذ والمبارك وبادراياوبا كسايا ، ولهم اصبهبذ رابع يسمى اصبهبذ المغرب ، وكانت آخر مسالح (١) الفرس مما يلي الفرات الأنبار ثم تصير الى مسالح الروم ، ومما يلي دجلة (. . . . . . .) ثم تصير الى مسالح الروم إلا أن يتعاور القوم فيدخل الفرس بلاد الروم على المحالبة وربما دخل الروم بلاد الفرس ، وكل الاسم الواقع على كل ملك للفرس ﴿ كسرى ﴾ وكانوا إن سموه وذكروه قالوا كسرى شاهنشاه معناه ملك الملوك ، وكانت تسمي الوزير ﴿ بزرجفرمذار ﴾ معناه متقلد الأمور ، وكانت تسمي العالم القيم بشرائع دينهم ﴿ موبذموبذان ﴾ ومعناه عالم العلماء ، وأول من رفع عليه منها الاسم ﴿ زرادشت ﴾ وكانت تسمي قيم النار ﴿ الهربذ ﴾ وكانت تسمي الكاتب ﴿ دبيربذ ﴾ وكانت تسمي العظيم منهم ﴿ الاصبهبذ ﴾ ومعناه الرئيس والذي دونه ﴿ الفادوسبان ﴾ ومعناه دافع الأعداء ، وتسمي رئيس البلد ﴿ المرزبان ﴾ وتسمي رئيس الكور ﴿ الشهريج ﴾ وتسمي أصحاب الحروب وقواد الجيوش ﴿ الأساورة ﴾ وتسمي صاحب المظالم ﴿ شاهريشت ﴾ وتسمي صاحب الديوان ﴿ المرد مارعد ﴾ .

ممالك الجربي

وكان ولد عامور بن توبل بن يافث بن نوح — لما قسم فالغ بن عابر بن ارفخشد بن سام بن نوح الأرض بين ولد نوح — خرجوا في يسرة المشرق فقطع قوم منهم ولد ناعوما ناحية الجربي على سمت الشمال فانتشروا في البلاد فصاروا عدة ممالك وهم البرجان والديلم والتبر والطيلسان وجيلان وفيلان واللان والخزر والدودانية والأرمن ، وكانت الخزر المتغلبة على عامة بلاد أرمينية وعليها ملك يقال له ﴿ خاقان ﴾ وله خليفة يقال له [يزيد بلاش] على الران وجرزان والبسفرجان

(١) المسلحة بالفتح مثل الثغر والمرقب وجمعه المسالح وهي مواضع المخافة ، وفي الحديث كان أدنى مسالح فارس الى العرب العذيب . (تاج العروس)

والسيسجان ، وكانت هذه الكور تسمى أرمينية الرابعة التي فتحها قباذ ملك الفرس فصارت الى انوشروان الى باب اللان مأئة فرسخ وفيها ثلاثمائة وستون مدينة ، وغلب ملك الفرس على الباب والأبواب وطبرسران والبلنجر ، وبنى مدينة قاليقلا ومدناً كثيرة فاسكنها قوماً من أهل فارس ثم غلبت الخزر على ما كانت فارس غلبتهم عليه فاقام في أيديهم حيناً ثم غلبتهم الروم فملكت على أرمينية الرابعة ملكاً يقال له ﴿ الموريان ﴾ وافترقوا عدة رياسات كل رئيس منهم في قلعته وحصنه فهي لهم ممالك معروفة .

وقطع قوم من ولد عامور ما وراء النهر ثم افترقوا في البلاد فصارت ممالك متفرقة وأمم كثيرة فمنهم الختل والقواديان والأشروسنة والسغد والفرغانة والشاس والترك والخرلخية والتغزغز والترك الكيماكية والتبت ، وفي الترك قوم اصحاب مدر ومدن وحصون وفيهم قوم في رؤوس الجبال والصحاري كالبدو ولهم شعور طوال ومنازلهم خيام اللبود فاذا غزوا كان في الخيمة الواحدة عشرون مقاتلاً ويرمون فلا يخطئون وبيوتهم متصلة من أول كور حراسان الى جبال التبت وجبال الصين .

وأما التبت فبلد واسع أعظم من الصين ومملكتهم جليلة وهم اصحاب منعة وحكمة يضاهون صنعة الصين ، وفي بلادهم غزلان سررها المسك وهم عبدة أصنام ولهم بيوت نيران وشوكتهم شديدة فليس يحاربهم أحد .

ملوك الصين

ذكرت الرواة وأهل العلم ومن صار الى بلاد الصين فاقام بها الدهر الطويل حتى فهم أمرهم وقرأ كتبهم وعرف أخبار المتقدمين منهم ورأوه في كتبهم وسمعوه من أخبارهم ومكتوب على ابواب مدنهم وبيوت أصنامهم ومنقور في الحجارة قد أجري فيه الذهب — أن أول من ملك الصين ﴿ صابن ﴾ بن باعور بن برج بن عامور ابن يافث بن نوح بن لمك فانه كان عمل فلكاً حكى به فلك نوح فركب فيه ومعه

جماعة من ولده وأهله حتى قطع البحر فصار الى موضع استحسنه وأقام به فسمي ذلك الموضع ﴿ الصين ﴾ باسمه فكثر ولده وتناسلت ذريته فكان ذريته على دين قومه واتصل ملكه ثلاثمائة سنة .

ومنهم ﴿ عرون ﴾ الذي شيد البنيان وعمل الصنعة واتخذ الهيا كل المذهبة وعمل فيها صورة أبيه وجعلها في صدر الهيكل فكان إذا دخل سجد لتلك الصورة تعظيماً لصورة أبيه ، وكان لصابن اسم تفسيره بالعربية ابن السماء فمن ذلك الزمان صارت الأوثان تعبد في بلاد الصين ، وكان ملك عرون مائة وأربعين سنة .

ومنهم ﴿ عير ﴾ الذي سار في بلاد الصين طولاً وعرضاً وبنى المدن العظام وشيد القباب من الجزلان والنحاس المذهب وعمل صورة أبيه من ذهب مكلل بالجوهر والرصاص والنحاس المزوق فاتخذها أهل مملكته جميعاً في مدنهم وبلدانهم وقالوا ينبغي للرعية أن تعمل صورة ملك قد ملكها من السماء وعدل فيهسا ، واتصل ملك عير مائة وثلاثين سنة .

ومنهم ﴿ عينان ﴾ الذي سام أهل مملكته سوء العذاب ونفاهم الى جزائر البحر فكانوا يصيرون من تلك الجزائر الى مواضع فيها الثمار التي كانوا منها فيجدون بها الوحوش ولم يزالوا كذلك حتى أنسوا بالوحوش وأنست بهم ، وكانوا ينزون عليها وربما نزت تلك على نسائهم فيأتي بينهم الخلق المشوهة ، وباد القرن الأول وأتى قرن بعد قرن فذهبت عنهم لغاتهم وصاروا يتكلمون ملا يفهم ففي الجزائر التي تجتاز منها الى أرض الصين أمر عظيم من هذا الضرب وأمم كثيرة ، وكان يسمى عينان اسماً تفسيره بالعربية خلقه الشر ، وكان ملكه مائة سنة .

ومنهم ﴿ خرابات ﴾ الذي ملك وهو حدث السن ثم احتنكت سنه فعلا أمره وحسن تدبيره ووجه بوفد من قبله الى أرض بابل وما اتصل بها من بلاد الروم يتعرفون ما فيها من الحكمة والصنعة وحمل معهم من صنعة الصين وما يعمل بها من

ثياب الحرير وغيره وما يؤتى به من تلك البلاد من الآلات وغيرها وأمرهم أن يحملوا اليه كل صنعة وظريفة من أرض بابل وبلاد الروم وأن يتعرفوا شرائع دين القوم فكان ذلك أول ما دخل من متاع الصين للتجارة ، وذلك أن الملوك استظرفت ما أتاهم من متاع الصين فعملوا المراكب وحملوا فيها التجارة فكان ذلك أول دخول التجار الى الصين وكان ملك خرابات ستين سنة .

ومنهم « توتال » وأهل الصين يقولون إنهم وجدوا مكتوبا على أبواب مدنهم أنه لم يملكهم ملك قط مثله ورضوا به رضا لم يرضوا مثله بأحد قط ، وهو الذي سن لهم كل سنة هم عليها في أديانهم وأفعالهم وصناعاتهم وشرائعهم وأحكامهم ، وكان ملكه ثماني وسبعين سنة فلما مات أقاموا يبكون عليه زمانا طويلاً ويحملونه على أسرّة الذهب وعجل الفضة ثم جمعوا له العود والعنبر والصندل وسائر الطيب وألهبوه بالنار وطرحوه فيها وجعل خاصته يلقون أنفسهم في تلك النار أسفاً عليه ووفاء له وصار هذا سنةً فيهم وجعلوا صورته على دنانيرهم وهم يسمون الدنانير « الكونج » وعلى أبواب منازلهم الصور .

وبلاد الصين بلاد واسعة فمن أراد الصين في البحر قطع سبعة أبحر كل بحر منها له لون وريح وسمك ونسيم ليس هو في البحر الذي يليه « فأولها » بحر فارس الذي يركب فيه من سيراف وآخره رأس الجمجمة وهو ضيق فيه مغائص اللؤلؤ ، والبحر « الثاني » الذي مبتدأه من رأس الجمجمة يقال له « لاروى » وهو بحر عظيم وفيه جزائر « الوقواق » وغيرهم من الزنج ، وفي تلك الجزائر ملوك ، وإنما يسار في هذا البحر بالنجوم وله سمك عظيم وفيه عجائب كثيرة وأمور لا توصف ، ثم البحر « الثالث » الذي يقال له « هركند » وفيه جزيرة « سرنديب » وفيه الجوهر والياقوت وغيره ولها جزائر فيها ملوك ولهم ملك عليهم ، وفي جزائر هذا البحر الخيزران والقنا والبحر « الرابع » يقال له « كلاه بار » وهو بحر قليل الماء وفيه حيات عظام

وربما ركبت الريح فيه فقطعت المراكب وفيه جزائر فيها شجر الكافور ، والبحر ﴿ الخامس ﴾ يقال له « سلاهط » وهو بحر عظيم كثير العجائب ، والبحر ﴿ السادس ﴾ يقال له « كردنج » وهو كثير الأمطار ، والبحر ﴿ السابع ﴾ يقال له « بحر صنجي » ويقال له ايضاً « كنجلي » وهو بحر الصين وإنما يسار فيه بريح الجنوب حتى يصيروا إلى بحر عذب عليه المسالح والعمران حتى ينتهوا إلى مدينة « خانفو » .

ومن أراد الصين على البر فانه سار في نهر بلخ وقطع بلاد السغد وفرغانة والشاش والتبت حتى يصير اليها ، والملك في حصن له منفرد وصاحب شرطته خادم وصاحب خراجه خادم وصاحب حرسه خادم وصاحب أخباره خادم وأكثر أعوانه الخدم وهم ثنوية ، وخراجهم من رؤوس الرجال يوجبون على كل رجل بالغ جزية لأنهم لا يدعون رجلاً بغير صناعة فاذا تعطل عن العمل بعلة أو هرم أنفقوا عليه من مال الملك ، وهم يعظمون أمواتهم ويطول حزنهم عليهم ، وأكثر عقوباتهم القتل فهم يقتلون على الكذب ويقتلون على السرقة ويقتلون على الزنا إلا قوماً معروفين ، ومن تظلم من عامل الأعمال فصحت مظلمته قتل ذلك العامل وإلا قتل المتظلم منه إن كان كاذباً مبطلاً ، وحدود الصين من البر ثلاثة حدود ومن البحر حد واحد ﴿ فالحد الأول ﴾ الترك والتغزغز ولم تزل بينهم حروب متصلة ثم اصطلحوا وتصاهروا (والحد الثاني) التبت وبين التبت والصين جبل عليه مسالح يحترسون من التبت ، ومسالح للتبت يحترسون من الصين وهم ما بين حد البلدين ﴿ والحد الثالث ﴾ الى قوم يقال لهم « المانساس » لهم مملكة منفردة وهم في بلاد واسعة ﴿ ويقال ﴾ إن سعة بلادهم طول عدة سنين في عرض مثل ذلك لا يعرف أحد من وراءهم وهم قوم يقاربون أهل الصين ، والحد الواحد الذي يلي البحر فمنه يأتي المسلمون على ما ذكرنا من عدد البحور ودياناتهم عبادة الأوثان والشمس والقمر ، ولهم أعياد لأصنامهم أعظمها عيد في

أول السنة يقال له (الزارار) يخرجون الى مجمع ويعدون فيه الأطعمة والأشربة ثم يأتون برجل قد حبس نفسه على ذلك الصنم العظيم وعلى جميع شهواته وتمكن من كل ما يريده فتقدم الى ذلك الصنم وقد صير على أصابع يده شيئاً يشعل بالنار ثم يحرق أصابعه بالنار ويسرجها بين يدي ذلك الصنم حتى يحترق ويقع منها ميتاً فيقطع فمن نال منه شظية أو خرقة من ثيابه فقد فاز ، ثم يأتون برجل آخر يريد أن يحبس نفسه للصنم للسنة المجدودة فيقف موضعه ويلبس الثياب ويضرب عليه بالصنوج ثم يفترقون فيأكلون ويشربون ويقيمون أسبوعاً وينصرفون ، وهذا الشهر الذي هذا العيد فيه تسميه جناح وهو أول يوم من حزيران ، وللصين حساب أيضاً وتسمي الشهور باسماء مختلفة على حساب قا. فهموه فاولها جناح ورداح ورابح وماح وكسران وبارد ونمرود وكنعان وزاغ وهراه وهرهر وباهر .

ملوك مصر من القبط وغيرهم

وكان بيصر بن حام بن نوح لما خرج من بابل بولده وأهل بيته وكانوا ثلاثين نفساً أربعة أولاده وهم مصر وفارق وماح وياح ونساؤهم ، فسار بهم الى منف وكان بيصر قد كبر وضعف وكان مصر أكبر ولده وأحبهم اليه فاستخلفه وأوصاه باخوته واقتطع مصر لنفسه وولده مسيرة شهرين من أربعة أوجه وكان منتهى ذلك من الشجرتين بين رفح والعريش الى أسوان طولاً ومن برقة الى أيلة عرضاً ، وأقام مصر متملكاً بعد أبيه دهراً وكان له أربعة اولاد وهم (قفط وأشمن واتريب وصا) فقسم لهم شط النيل وقطع لكل واحد قطيعة يحوزها هو وولده ، ثم ملك بعد مصر قفط ابن مصر ، ثم ملك أشمن بن مصر ، ثم ملك أتريب بن مصر ، ثم ملك صا بن مصر ، ثم ملك تدارس بن صا ، ثم ملك ماليق بن تدارس ، ثم ملك حرايا بن ماليق (١) ثم

(١) كذا في الأصل ، وفي العبارة سقط لأن الذي ملك بعد حرايا بن ماليق (كلكى) ابن حرايا ثم ملك أخوه ماليا بن حرايا . (م . ص)

ملك أخوه ماليا بن حرايا ، ثم ملك لوطس بن ماليا ، فلما حضرت لوطس الوفاة ملكت ابنته حوريا فلما حضرت حوريا الوفاة ملكت بنت عم لها يقال لها دلنقا بنت ماموم ، وكان أولاد بيصر قد كثروا وامتلأت البلاد منهم فلما ملكوا النساء طمعت فيهم العمالقة ملوك الشام فغزاهم ملك العمالقة وهو يومئذ الوليد بن دومع ووطئ البلاد فرضوا أن يملكوه عليهم فاقام دهراً طويلاً ، ثم ملك بعده آخر من العمالقة يقال له الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف ثم ملك آخر من العمالقة يقال له دارم بن الريان ، ثم ملك بعده كاسم بن معدان ثم ملك فرعون موسى وهو الوليد بن مصعب ، فاختلفت الرواة في نسبه (فقالوا) هو رجل من لخم ﴿ وقالوا ﴾ من غيرها من قبائل اليمن ﴿ وقالوا ﴾ من العمالقة ﴿ وقالوا ﴾ من قبط مصر يقال له « ظلما » وهو الذي كان من أمره مع موسى ما قد قصه الله جل وعز ، فعاش عمراً طويلا وعتا وبغى حتى قال أنا ربكم الأعلى ثم غرقه الله وجنوده في بحر القلزم فلما غرّق الله فرعون ومن معه لم يبق في البلد إلا الذرية والعبيد والنساء فاجتمع رأيهم على أن يملكوا امرأة يقال لها ﴿ دلوكة ﴾ فخافت أن يتخطى اليها ملوك الأرض فبنت حائطاً يحيط بارض مصر من القرى والمزارع والمدن وعملت أعمالا كثيرة ، وكان ملكها عشرين سنة ، ثم ملك دركون بن بلوطس ، ثم ملك بودس بن دركون ، ثم ملك لقاس بن بودس ثم ملك دنيا بن بودس ، ثم ملك نمادس بن مرينا فطغا وعتا فقتلوه ، ثم ملك بلوطس ابن منا كيل ، ثم ملك ماليس بن بلوطس ، ثم ملك نوله بن منا كيل وهو فرعون الأعرج الذي سبى ملك بيت المقدس وصنع ببني اسرائيل ما لم يصنعه أحد وعتا وبلغ مبلغاً لم يبلغه أحد قبله بعد فرعون فصرعته دابته فدقت عنقه ، ثم ملك مرينوس ، ثم ملك نقاس بن مرينوس ، ثم ملك قومس بن نقاس ، ثم ملك ما كيل (١) ادداسه الأعرج وهو (لحسار بر) الذي غزاه بخت نصر فهزمه وخرّب مصر وسبى أهلها فاقاموا

(١) كذا في الأصل ، وقد سماه المسعودي في مروج الذهب (كاميل) (م ص)

بعد ذلك يملكهم الروم فتنصروا في ذلك الوقت ، ثم غلبت فارس على الشام في أيام أنو شروان فملكوهم عشر سنين ، ثم ظهرت الروم فكان أهل مصر يؤدون الى الروم خراجاً والى فارس خراجاً يدفعون شر الفريقين ، ثم خرجت فارس عن الشام وصار أمرهم الى الروم فدانوا بدين النصرانية ، وكان حكيم القبط هرمس القبطي وهم أصحاب البرابي الذين يكتبون بخط البرابي وهوذا الخط الموجود (.....) وفي دهرنا قد عدم الناس معرفة قراءته والسبب في ذلك أنه لم يكن يكتب به منهم إلا الخواص وكانوا يمنعون العوام والذين يقومون به منهم حكماؤهم وكهانهم وكانت فيه أسرار دينهم وأصول مقالتهم التي لا يطلعون عليها إلا كهانهم ولا يعلمون بها أحداً إلا أن يأمر الملك بتعليمه فلما قهرتهم الروم وملكتهم بسطوة شديدة وسلطان أبطلوا ما كانوا يقومون به من سعيهم وأعمالهم وحملوهم في بدء أمورهم على شرائع اليونانيين حتى فسدت لغتهم ومازج كلامهم كلام الروم ثم تنصرت الروم فحملوهم على التنصر فدرس جميع ما كانوا فيه من أمر دينهم وسنتهم وقتل الروم كهانهم وعلماءهم فهلك من كان يفهم ذلك الكتاب ومنع من بقي منهم من تعليمه والنظر فيه فلذلك ليس يوجد أحد يقرأه منهم ولا غيره ، وكانت ديانتهم عبادة الكواكب والقول بأنها مدبرة مختارة وهم أصحاب القضايا بالنجوم وأنها تسعد وتنحس لأنهم زعموا أنها آلهتهم التي تحييهم وتميتهم وترزقهم وتسقيهم ، وكان من قولهم إن الارواح قديمة كانت في الفردوس الأعلى وإنه في كل ستة وثلاثين الف سنة يفنى جميع ما في العالم إما من تراب — يريدون الأرض وزلزلتها وخسوفها — او من نار وإحراق وسموم مهلك وإما من ريح هواء ردي فاسد غليظ عام يسد الأنفاس لغلظه فيهلك الحيوان ويتلف الحرث والنسل ثم يحيي الطبيعة من كل جنس من أجناس الحرث والنسل ويرجع العالم بعد فساده ، وكانت عندهم أن هذه الأرواح آلهة تنزل فتصير في الأصنام فتتكلم الأصنام لذلك وإنما كانوا يخدعون عوامهم بذلك ويسترون العلة

التي بها كانت تتكلم أصنامهم وهي بصنعة كان كهانهم يصنعوها وعقاقير يستعملونها وحيل يحتالونها حتى تصفر وتصيح بصنعة يحكون بها من حلقة الصنم كحلقة الطير أو البهيمة فيكون صوت ذلك الصنم مثل صوت جنسه من الحيوان ثم يترجم كهانهم ذلك الصوت من الصنم على ما يريدون الاقتضاء به مما قد اتفقوا به من حساب النجوم وعلم الفراسة ، ويخبرون أن الأرواح إذا خرجت صارت الى هذه الآلهة التي هي الكواكب فتغسلها وتطهرها إن كانت لها ذنوب ثم تصعد الى الفردوس وحيث كانت ، ويقولون إن أنبياءهم كانوا يكلمونهم الكواكب ويعلمونهم بأن الأرواح تنزل الى الأصنام فتسكن فيها وتخبر بالحادث قبل أن يحدث ، وكانت لهم فطنة عجيبة دقيقة يوهمون بها العوام أنهم يكلمون الكواكب وأنها تنبئهم بما يحدث ولم يكن ذلك إلا لجودة علمهم بالأسرار التي للطوالع وصحة الفراسة فلم يكونوا يخطئون إلا القليل ، وادعوا علم ذلك عن الكواكب وأنها تنبئهم بما يحدث وهذا باطل غير معقول ، ثم ملكهم اليونانيون فدخلوا في ملتهم ثم ملكهم الروم فتنصروا .

وكانت مملكة القبط أرض مصر ، فمن كور الصعيد منف ووسيم والشرقية والقيس والبهنسا وأهناس ودلاص والفيوم وأشمون وطحا وأبشاية وهو وقفط والأقصر وأرمنت ، ومن كور أسفل الأرض أتريب وعين شمس وتنوا وتمي وبنا وبوصير وسمنود ونوسا والأوسية والبجوم وبسطة وطرابية وقربيط وصان وإبليل وسخا وتيدة والأفراحون ونقيزة والبشرود وطوة ومنوف العليا ومنوف السفلى ودمسيس وصا وشباس والبذقون وإخنا ورشيد وقرطسا وخربتا وترنوط ومصيل ومليدش .

والقبط تحسب سنيها على ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وشهورها اثنا عشر شهراً كل شهر ثلاثون يوماً ولها خمسة أيام تسميها النسيء ، فاول شهور القبط الذي يجعلونه رأس سنتهم « توت » ويسمون أول يوم منه « نيروز » وتقول إن فيه ابتداء عمارة الأرض ، وهذه اسماء شهورهم (توت بابه هتور كيهك طوبه امشير برمهات

برموده بشنش بونة ابيب مسرى) وكانت الخمسة الأيام التي ينسئونها بين مسرى وتوت ، والخط الذي تكتب به القبط بين اليوناني والرومي وهو على هذا الرسم (١)

ممالك البربر والأفارقة

وكانت البربر والأفارقة — وهم أولاد فارق بن بيصر بن حام بن نوح — لما ملك إخوتهم بارض مصر فاخذوا من العريش الى أسوان طولاً ومن أيلة الى برقة عرضاً — خرجوا نحو المغرب فلما جازوا أرض برقة أخذوا البلاد فغلب كل قوم منهم على بلد حتى انتشروا بارض المغرب فاول من يملك منهم ﴿ لواته ﴾ في أرض يقال لها أجدابية من جبال برقة ، وملكت ﴿ مزاته ﴾ في أرض يقال لها ودّان فنسب هؤلاء القوم إلى أبيهم ، وجاز قوم منهم الى بلد يقال لها تورغة فملكوا هناك وهم هواره وسار آخرون الى بلاد ارميك وهم بذرعة ، وسار قوم الى طرابلس يقال لهم المصالين وجاز قوم الى غربي طرابلس يقال لهم وهيله ، ثم استعلت بهم الطريق فأخذ قوم الى القيروان يقال لهم برقشانه ، وأخذ آخرون ذات الشمال فصاروا الى تاهرت وهم الذين يقال لهم كتامه وعجيسه ، وأخذ قوم آخرون الى سجلماسة وهم الذين يقال لهم نفوسة ولمايه ، وأخذ قوم الى جبال هكان وهم الذين يقال لهم لمطه ويسمون العالات وهم في بادية في غير مساكن ، وأخذ قوم الى طنجة يقال لهم مكناسة ، وأخذ قوم الى السوس الأقصى وهم الذين يقال لهم مداسه ، وقد ذكر قوم من البربر والأفارقة بانهم من ولد بربر بن عيلان بن نزار ، وقال آخرون إنهم من جذام ولخم ، وكانت مساكنهم فلسطين فأخرجهم بعض الملوك ولما صاروا الى مصر منعتهم ملوك مصر النزول فعبروا النيل ثم غربوا فانتشروا في البلاد ، وقال آخرون إنهم من اليمن نفاهم بعض الملوك من بلد اليمن الى أقاصي المغرب ، وكل قوم ينصرون رواياتهم والله أعلم بالحق في ذلك .

(١) لم يذكر في الأصل رسم الخط القبطي . (م . ص)

ممالك الحبشة والسودان

وكان ولد حام بن نوح قصدوا عند تفرق ولد نوح من أرض بابل الى المغرب فجازوا من عبر الفرات الى مسقط الشمس ، وافترق ولد كوش بن حام — وهم الحبشة والسودان لما عبروا نيل مصر — فرقتين فقصدت فرقة منهم التيمن بين المشرق والمغرب وهم النوبة والبجة والحبشة والزنج ، وقصدت فرقة المغرب وهم زغاوة والحس والقاقو والمريون ومرندة والكوكو وغانه ، فاما النوبة لما صارت في الجانب الغربي من النيل وتجاوزت مملكة القبط — وهم ولد بيصر بن حام بن نوح — تملكوا هناك فصارت النوبة مملكتين ﴿ فاحداها ﴾ مملكة الذين يقال لهم (مقرة) وهم في شرق النيل وغربه ومدينة مملكتهم « دنقلة » وهم الذين سالموا المسلمين وأدوا اليهم البقط (١) وبلادهم بلاد نخل وكرم وزرع ، واتساع المملكة شبيه بشهرين ﴿ والمملكة الثانية ﴾ من النوبة الذين يقال لهم « علوة » أعظم خطراً من مقرّة ، ومدينة مملكتهم يقال لها « سوبة » ولهم بلاد واسعة شبيهة بثلاثة أشهر والنيل متشعب عندهم في عدة خلجان .

مملكة البجة

وهم بين النيل والبحر ولهم عدة ممالك في كل بلد ملك منفرد ﴿ فأول مملكة ﴾ البجة من حد « أسوان » وهي آخر عمل المسلمين من التيمن بين المشرق والمغرب الى حد « بركات » وهم الجنس الذي يقال لهم « نقيس » ومدينة المملكة يقال لها (هجر) ولهم قبائل وبطون كما تكون للعرب فمنهم (الحدرات وحجاب والعماعر وكوبر ومناسه ورسفه وعربربعه والزنافج) وفي بلادهم المعادن من التبر والجوهر والزمرد ، وهم مسالمون للمسلمين والمسلمون يعملون في بلادهم في المعادن

(١) البقط بفتح الباء الموحدة وسكون القاف المعجمة ثم الطاء المهملة أن تعطي الرجل البستان على الثلث أو الربع . (م . ص)

﴿ والمملكة الثانية ﴾ من البجة مملكة يقال لها ﴿ بقلين ﴾ كثيرة المدن واسعة يضارعون في دينهم المجوس والثنوية فيسمون الله عز وجل ﴿ الزسجير الأعلى ﴾ ويسمون الشيطان (صحى حراقه) وهم الذين ينتفون لحاهم ويقلعون ثناياهم ويختتنون وبلادهم بلادمطر ، ثم ﴿ المملكة الثالثة ﴾ يقال لها ﴿ بازين ﴾ وهم يتاخمون مملكة علوة من النوبة ويتاخمون بقلين من البجة ويحاربون هؤلاء وزرعهم الذي يأكلونه (. . . . . .) وهوطعامهم واللبن ﴿ المملكة الرابعة ﴾ يقال لها [جارين] ولهم ملك خطير وملكه ما بين بلد يقال له [باضع] وهو ساحل البحر الأعظم الى حد بركات من مملكة بقلين الى موضع يقال له [حل الدجاج] وهم قوم يقلعون ثناياهم من فوق وأسفل ويقولون لا يكون لنا أسنان كاسنان الحمير وينتفون لحاهم ﴿ والمملكة الخامسة ﴾ يقال لها (قطعة) وهي آخر ممالك البجة ومملكتهم واسعة من حد موضع يقال له باضع الى موضع يقال له فيكون ، ولهم حد شديد وشوكة صعبة ولهم دار مقاتلة يقال لها [دار السوا] فيها أحداث شباب جلد مستعدون للحرب والقتال ، ثم ﴿ المملكة السادسة ﴾ وهي مملكة النجاشي وهو بلد واسع عظيم الشأن ، ومدينة المملكة [كعبر] ولم تزل العرب تأتي اليها للتجارات ولهم مدن عظام وساحلهم [دهلك] ومن في بلاد الحبشة من الملوك فهم من تحت يد الملك الأعظم يعطونه الطاعة ويؤدون اليه الخراج ، والنجاشي على دين النصرانية اليعقوبية ، وآخر ممالكة الحبشة الزنج وهم يتصلون بالسند وما ضارع هذه البلدان ويتصل أيضاً بما دون الزنج مما يتأخم السند والكرك ، وهم قوم لهم حساب واجتماع قلوب .

وأما السودان الذين غرّبوا وسلكوا نحو المغرب وأنهم قطعوا البلاد فصارت لهم عدة ممالك ﴿ فأول ﴾ ممالكهم [الزغاوة] وهم النازلون بالموضع الذي يقال له [كانم] ومنازلهم أخصاص القصب وليسوا بأصحاب مدن ويسمى ملكهم [كاكره]

ومن الزغاوة صنف يقال لهم [الحوضن] ولهم ملك هو من الزغاوة ﴿ ثم مملكة ﴾ أخرى يقال لهم (ملل) وهم يبادون صاحب كانم ويسمى ملكهم ميوسى ﴿ ثم مملكة ﴾ الحبشة ، ولهم مدينة يقال لها [ثيير] ويسمى ملك هذه المدينة [مرح] ويتصل بهم القاقو إلا أنهم معولين وملكهم ملك ثيير (ثم مملكة) الكوكو وهي أعظم ممالك السودان وأجلها قدراً وأعظمها أمراً ، وكل الممالك يعطي لملكها الطاعة ، والكوكو اسم المدينة ، ودون هذا عدة ممالك يعطونه الطاعة ويقرون له بالرئاسة على أنهم ملوك بلدانهم فمنهم ﴿ مملكة المرو ﴾ وهي مملكة واسعة وللملك مدينة يقال لها [الحيا] ومملكة مرديه ، ومملكة الهربر ، ومملكة صنهاجة ، ومملكة تذكرير ، ومملكة الزبانبر ، ومملكة ارور ، ومملكة تقاروت ، فهذه كلها تنسب الى مملكة الكوكو ﴿ ثم مملكة ﴾ غانه وملكها أيضاً عظيم الشأن وفي بلاده معادن الذهب وتحت يده عدة ملوك فمنهم مملكة عام ومملكة سامه ، وفي هذه البلاد كلها الذهب .

ملوك اليمن

ذكرت الرواة ومن يدعي العلم بالأخبار وأحوال الأمم والقبائل أن أول من ملك من ولد قحطان — بن هود النبي ابن عابر بن شالح بن ارفخشد بن سام بن نوح — ﴿ سبا ﴾ بن يعرب بن قحطان ، وكان اسم سبا عبدشمس لأنه كان أول من ملك من ملوك العرب وسار في الأرض وسبى السبايا ، وكان يعرب بن قحطان أول من حيي بأنعم صباحاً أبيت اللعن .

ثم ملك بعد سبا ﴿ حمير ﴾ بن سبا واسم حمير زيد وكان أول ملك لبس التاج من الذهب مفصصاً بالياقوت الأحمر .

ثم ملك بعد حمير أخوه ﴿ كهلان ﴾ بن سبا فطال عمره حتى هرم .

ثم ملك بعد كهلان ﴿ ابو مالك ﴾ بن عميكرب بن سبا فدام ملكه ثلاثمائة سنة

ثم ملك بعد أبي مالك ﴿ حنادة ﴾ بن غالب بن زيد بن كهلان ، وكان

أول من صنع السيوف المشرفية وكان يصنع الطعام للجن بالليل ، وملك مائة وعشرين سنة

وملك بعد حنادة ﴿ الحارث ﴾ بن مالك بن افريقيس بن صيفي بن يشجب ابن سبا مائة وأربعين سنة .

ثم ملك بعد الحارث بن مالك ﴿ الرائش ﴾ وهو الحارث بن شداد بن ملطاط ابن عمرو بن ذي أبين بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبا ، وهو أول من غزا وأصاب الأموال وأدخل اليمن الغنائم من غيرها فسمي الرائش فغلب اسمه ، وكان ملكه مائة وخمساً وعشرين سنة .

ثم ملك بعد الرائش ابنه ﴿ أبرهة ﴾ بن الرائش وهو أبرهة ذو منار وذلك أنه صار الى ناحية المغرب وكان إذا غلب على بلد ضرب عليها النار ، وكان ملكه مائة وثمانين سنة .

ثم ملك بعد أبرهة ابنه ﴿ افريقيس ﴾ بن أبرهة فسلك سبيل أبيه ، وكان ملكه مائة وأربعاً وستين سنة .

ثم ملك بعد افريقيس أخوه ﴿ العبد ﴾ بن أبرهة وكان يسمى ذا الاذعار لأنه ذعر العدو وكان يأتي بقوم عجيبة خلقهم ، وكان ملكه خمساً وعشرين سنة .

ثم ملك بعد ذي الاذعار ﴿ الهدهاد ﴾ بن شرحبيل بن عمرو بن الرائش وكان ملكه سنة واحدة .

ثم ملك بعد الهدهاد ﴿ زيد ﴾ وهو تبع الأول بن نيكف فطال عمره وطغا وبغى وعتا [فيزعم الرواة] أنه ملك أربعمائة سنة ثم قتلته بلقيس .

وملكت ﴿ بلقيس ﴾ بنت الهدهاد بن شرحبيل فكان ملكها مائة وعشرين سنة ثم كان من أمرها مع سليمان ما كان فصار ملك اليمن لـ [سليمان بن داود] ثلاثمائة وعشرين سنة .

ثم ملك ﴿ رحبعم ﴾ بن سليمان بن داود عشر سنين ثم رجع الأمر الى حمير فملك [ياسر ينعم] (١) بن عمرو بن يعفر بن عمرو بن شرحبيل واشتد سلطانه فكان ملكه خمساً وثمانين سنة .

ثم ملك ﴿ شمّر ﴾ بن افريقيس بن أبرهة ثلاثاً وخمسين سنة .

ثم ملك ﴿ تبع ﴾ الأقرن بن شمر بن عميد فغزا الهند وأراد أن يغزو الصين وكان ملكه مائة وثلاثاً وستين سنة .

ثم ملك ﴿ ملكيكرب ﴾ بن تبع فغزا البلاد ففرّق قومه في أقاصي الأرض ونقلهم الى سجستان وخراسان واجتمعوا عليه فقتلوه ، وكان ملكه ثلثمائة وعشرين سنة

ثم ملك ﴿ حسان ﴾ بن تبع فاقام زماناً لا يغزو ، ثم وقع بين طسم وجديس ما وقع فسار اليهم تبع فلما قرب منهم قال له رجل من طسم كان معه إن معهم امرأة يقال لها « اليمامة » تنظر فلا تخطئ فاخاف أن تنذرهم فامر أصحابه فقطعوا من شجر الزيتون وقال ليحمل كل واحد منكم غصناً عظيماً من الزيتون خلفه فحمل كل غصناً عظيماً فلما نظرت قالت أرى شجراً يمشي قالوا وهل تمشي الشجر ، قالت نعم ورب كل حجر ومدر ، وإنها لخلف رجال حمير ، فكذبوها وصبحهم حسان فقتلهم ومله قومه وثقلت عليهم وطأته فواطئوا أخاه عمرو بن تبع على قتله خلاذي رعين فانه نهى عن ذلك فقتله ، وكان ملكه خمساً وعشرين سنة .

ثم ملك ﴿ عمرو ﴾ بن تبع بعد أن قتل أخاه فذهب عنه النوم وتنغص عيشه فقتل كل من أشار عليه بقتل أخيه حتى بلغ الى ذي رعين فقال قد أشرت عليك أن لا تفعل فكتبت بيتي شعر هما عندك وكان قد دفع اليه رقعة فيها :

ألا من يشتري سهراً بنوم * سعيد من يبيت قرير عين

(١) كذا في الأصل ، وفي مروج الذهب وغيره سماه (ناشر النعم) وقال إنه ابن يعفر بن عمرو . (م . ص)

فأما حمير غدرت وخانت * فمعـذرة الآله لذي رعين

وكان ملك عمرو أربعاً وستين سنة .

ثم ملك ﴿ تبع ﴾ بن حسان بن بحيله بن كليكرب بن تبع الأقرن ، وهو أسعد ابو كرب وهو الذي سار من اليمن الى يثرب وكان الفطيون قدتملك على الأوس والخزرج فسامهم سوء العذاب فخرج مالك بن العجلان الخزرجي فشكا ذلك الى تبع فاعلمه غلبة قريظة والنضير عليهم فساق تبعاً اليهم فقتل من اليهود وكان تبع خلف ابناً له بين أظهرهم فقتلوه فزحف اليهم وحاربهم وكان رئيس الأنصار عمرو بن طلحة الخزرجي من بني النجار وكانوا يحاربونه بالنهار ويقرونه بالليل فيقول إن قومنا لكرام وجمع عظماء اليهود وقال إني مخرب هذه البلدة يعني المدينة فقالت الأحبار وعظماء اليهود إنك لا تقدر على ذلك قال ولم قالوا لأنها لنبي من بني اسماعيل يكون مخرجه من عند البيت المحرم فخرج وأخرج معه قوماً من أحبار اليهود فلما قرب من مكة أتاه نفر من هذيل فقالوا له إن هذا البيت الذي بمكة فيه أموال وكنوز وجوهر فلو أتيته فاحذت ما فيه وإنما أرادوا أن يفعل فيهلكه الله ﴿ وقيل ﴾ إنما أشار عليه قوم أن يهدمه ويحول حجارته الى اليمن فيبني بها هناك بيتاً تعظمه العرب فدعا تبع أحبار اليهود فذكر ذلك لهم فقالوا ما نعلم لله بيتاً في الأرض غير هذا البيت وما أراده أحد بسوء إلا أهلكه الله واعترضته علة في ليلته فقال له الأحبار إن كنت أضمرت لهذا البيت مكروهاً فارجع عنه وعظمه فرجع عما كان أضمر فاذهب الله عنه العلة فقتل من أشار عليه بهدمه وطاف به وعظمه ونحر وحلق رأسه ورأى في النوم أن اكسه فكساه الخصف فتجافى فرأى في نومه أن اكسه فكساه الملاء المعضد وقال شعراً فيه :

وكسونا البيت الذي حرم الله * ملاء معضداً وبرودا

ونحرنا بالشعب ستة آلاف * ترى الناس نحوهن ورودا

وأمرنا أن لا نقرب للكعبة * ميتاً ولا دماً مصفودا

ثم طفنا بالبيت سبعاً وسبعاً * وسجدنا عند المقام سجودا
وأقمنا فيه من الشهر سبعاً * وجعلنا لبسا به إقليدا

ثم رجع إلى اليمن ومعه الأحبار من اليهود فتهود هو وقومه ، وكان ملكه ثماني وسبعين سنة ، ثم تفرقت ملوك قحطان وملكوا أقواماً متفرقين منهم [عمرو] ابن تبع ثم نزعوه وملكوا [مرثد] بن عبد كلال أخا تبع لأمه فاقام أربعين سنة ثم ملك [وليعة] بن مرثد تسعاً وثلاثين سنة ، ثم ملك (أبرهة) بن الصباح وكان من أحكم ملوك اليمن وأغلظهم وكان ملكه ثلاثاً وتسعين سنة ، ثم ملك ﴿ عمرو ﴾ بن ذي قيقان ، ثم ملك (ذو الكلاع) ثم ملك (لخيعة) ذو شناتر فكان من أخبث ملوك حمير وأرداها وكان يعمل عمل قوم لوط يبعث الى الغلام من أبناء الملوك فيلعب به ثم يتطلع في غرفة له وفي فمه السواك حتى بعث الى ذي نواس ابن أسعد ليلعب به فدخل ومعه سكين فلما خلا به وثب عليه ذو نواس وقتله وحز رأسه وصيره في الموضع الذي يتطلع منه فلما خرج صاح به من في الباب من الجيش يا ذا نواس لا باس ، فقال الباس على صاحب الراس ، فنظروا فاذا به قد قتله فملكوا ذا نواس ، وكان ملك ذي شناتر سبعاً وعشرين سنة .

وملك ﴿ ذو نواس ﴾ بن أسعد وكان اسمه (زرعة) فعنا وهو صاحب « الأخدود » وذلك أنه كان على دين اليهودية وقدم اليمن رجل يقال له (عبد الله) إبن الثامر وكان على دين المسيح فاظهر دينه باليمن وكان إذا رأى العليل والسقيم قال أدعو الله لك يشفيك وترجع عن دين قومك فيفعل ذلك فكثر من اتبعه وبلغ ذا نواس فجعل يطلب من قال بهذا الدين ويحفر لهم في الأرض الأخدود ويحرق بالنار ويقتل بالسيف حتى أتى عليهم فسار رجل منهم الى النجاشي وهو على دين النصرانية فوجه النجاشي الى اليمن بجيش عليهم رجل يقال له « أرياط » وهم في سبعين الفاً ومع أرياط في جيشه « أبرهة الأشرم » فسار اليه ذو نواس فلما التقوا انهزم ذو نواس

فلما رأى ذو نواس افتراق قومه وانهزامهم ضرب فرسه واقتحم به البحر فكان آخر العهد به ، وكان ملك ذي نواس ثماني وستين سنة . ودخل أرياط الحبشي اليمن فاقام بها عدة سنين ثم نازعه أبرهة الأشرم الأمر فافترقت الحبشة مع أرياط طائفة ومع أبرهة طائفة وخرجا للحرب وسار كل واحد الى صاحبه فلما التقوا قال أبرهة لأرياط ما نصنع يا أرياط بان نقتل الناس بيني وبينك أبرز إلي وأبرز اليك فايئا أصاب صاحبه انصرف اليه جنده عنه فبرز كل واحد الى صاحبه فضربه أرياط بالحربة فشرم عينيه وضربه غلام لأبرهة فقتله واجتمعت الحبشه باليمن على أبرهة فلما بلغ النجاشي غضب وحلف ليطأن أرضه برجله أو ليجزن ناصيته فحلق أبرهة رأسه وبعث بها اليه وبجراب من تراب أرضه وقال إنما أنا عبدك وأرياط عبدك اختلفنا في أمرك وكل طاعته لك فرضي عنه وخرج سيف بن ذي يزن الى قيصر يستجيش على الحبشة فاقام قبله سبع سنين ثم رده وقال هم قوم على دين النصرانية لا أحاربهم فسار الى كسرى فوجه باهل السجون ووجه معهم رئيساً يقال له « وهرز » فلما قدم البلد حارب الحبشة فقتل أبرهة الحبشي وغلب على البلد ، ثم ملك سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح وسيف الذي يقول فيه أمية بن أبي الصلب :

لا يطلب الثار إلا ابن ذي يزن * أقام في البحر للأعداء أحوالا
أتى هرقل وقد شالت نعامته * فلم يجد عنده الأمر الذي قالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد سابعة * من السنين لقد أبعدت إيغالا
حتى أتى ببني الأحرار يقدمهم * إذهب اليك لقد أسرعت قلقالا

وكانت ملوك اليمن بدينون بعبادة الأصنام في صدر من ملكهم ثم دانوا بدين اليهود وتلوا التوراة وذلك أن أحباراً من اليهود صاروا اليهم فعلموهم دين اليهودية ولم يكونوا يتجاوزون اليمن إلا أن يغيروا على البلاد ثم يرجعوا الى دار ملكهم .

وكور بلاد اليمن تسمى « مخاليف » وهي أربعة وثمانون مخلافاً وهذه أسماؤها

(اليحصبين ، ويكلا ، وذمار ، وطمؤ ، وعيان ، وطام ، وهمل ، وقدم وخيوان ، وسنحان ، وريحان ، وجرش ، وصعدة ، والأخروج ، ومجيح وحراز ، وهوزن ، وقصاعة ، والوزيرة ، والحجر ، والمعافر ، وعنة ، والشوافى وجبلان ، ووصاب ، والسكون ، وشرعب ، والجند ، ومسور ، والثجة والمزدرع ، وحيران ، ومأرب ، وحضور ، وعلقان ، وريشان ، وجيشان والنهم ، وبيش ، وضنكان ، وقربى ، وقنونا ، ورنية ، وزنيف ، والعرش والخصوف ، والساعد ، وبلجة ، والمهجم ، والكدراء ، والمعقر ، وزبيد ورمع ، والركب ، وبني مجيد ، ولحج ، وأبين ، والواديين ، وألهان . وحضرموت . ومقرى . وحيس . وحرض . والحقلين . وعنس . وبني عامر ومأذن . وحملان . وذي جرة . وخولان . والسرو . والدثينة . وكبية . وتبالة)

ومن السواحل (عدن) وهي ساحل (صنعاء . والمندب . وغلافقة . والحردة والشرجة . وعثر . والحمضة . والسرين . وجدة)

هذه بلاد مملكة اليمن وبلدانها وكانوا ربما أغاروا على البلدان فيرجعون الى بلادهم واليمن قبائل كثيرة إذا دخلت فيهم قضاعة ﴿ فقد روي ﴾ أن رجلاً سأل رسول الله « ص » أيما أكثر نزار أو قحطان قال ما شاب قضاعة . وقضاعة في هذا الوقت مقيمة على أنها ولد ملك بن حمير .

. وهذه جماهير قبائل اليمن مع من دخل فيهم من نزار من قضاعة وجذام ولخم وبجيلة وخثعم . وكان أول من ذكر اسمه وعرف قدره ﴿ سبا ﴾ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . فمن ولده كهلان بن سبا وحمير بن سبا . فمن قبائل كهلان ﴿ طيء ﴾ بن أدد بن زيد بن عريب بن كهلان ﴿ والأشعر ﴾ بن أدد بن زيد ﴿ وعنس ﴾ بن قيس بن الحارث بن مرة بن أدد ﴿ وجذام ولخم وعاملة ﴾ وهم بنو عمرو بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد ﴿ ومذحج ﴾ بن أدد بن زيد

ابن عريب بن كهلان . فمن قبائل مذحج سعد العشيرة (١) بن مذحج . ومراد ابن مذحج . والنخع بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج . وحكم وجعفى ابنا سعد العشيرة بن مذحج . وخولان بن عمرو بن سعد العشيرة بن مذحج . وزبيد بن الصعب بن سعد العشيرة بن مذحج ﴿ وهمدان ﴾ واسمه أوسلة بن خيار بن ربيعة ابن مالك بن زيد بن كهلان ﴿ وخثعم وبجيلة ﴾ ابنا أنمار بن نزار بن عمرو بن الحبار ابن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ﴿ والأزد ﴾ بن الغوث بن نبت ابن مالك بن زيد بن كهلان . فمن قبائل (الأزد) عك بن عدنان (٢) بن الذنب ابن عبد الله بن الأزد . على أن عكاً تنسب الى عدنان بن أدد . والعتيك بن أسد بن عمرو بن الأزد . وغسان وهو مازن بن الأزد . فمن قبائل غسان (خزاعة) وهو ابن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن غسان (. . . . .) بن وادعة بن عمران بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس (والأوس والخزرج) ابنا حارثة بن ثعلبة بن غسان . قال حسان بن ثابت الانصاري

ونحن بنو الغوث بن نبت بن مالك بـ * ـن زيد بن كهلان وأهل المفاخر

ومن قبائل حمير (قضاعة) وقضاعة فيما يزعم النسابون ابن نزار بن معد بن عدنان وكان نزار يكنى أبا قضاعة . فمن قبائل قضاعة نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم ابن الحاف بن قضاعة . وجهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة وعذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . وسليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . وكلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة : والقين بن جسر بن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان : وتنوخ

---

(١) سمي سعد العشيرة لأنه بلغ ولده وولد ولده مائة رجل يركبون معه فكان إذا سئل عنهم يقول هؤلاء عشيرتي وقاية لهم من العين .

(٢) عدنان بالثاء المثلثة قبل الألف . وقال بعض النسابين هو بالنون (م ص)

وهو مالك بن فهم بن تيم الله بن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان فهذه جماهير قضاعة

ومن حمير بن سبا ﴿ الصدف ﴾ بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم ابن وائل بن عبد شمس بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن الهميسع بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، والناس في حضرموت مختلفون (وقد ذكر قوم) أنهم من الأمم الخالية التي تقطعت مثل (طسم وجديس وعاد وثمود وعبس الأولى وأوبار وجرهم) وكان تفرق أهل اليمن في البلاد وخروجهم عن ديارهم بسبب سيل العرم ، وكان أول ذلك — على ما حملته الرواة — أن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد كان رئيس القوم وكان كاهناً فرأى أن بلاد اليمن تغرق فاظهر غضبة على بعض ولده وباع مرباعه وخرج هو وأهل بيته فصار الى بلاد «عك» ثم ارتحلوا الى « نجران » فحاربتهم مذحج ثم ارتحلوا عن نجران فمروا ﴿ بمكة ﴾ وبها يومئذ « جرهم » فحاربوهم حتى أخرجوهم عن البلد فصاروا الى « الجحفة » ثم ارتحلوا الى يثرب فتخلف بها الأوس والخزرج ابنا حارثة ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر ولحق بهم جماعة من الأزد غير ابني حارثة فصار بعضهم حلفاء وتدخل بعضهم معهم وتفرقت الأزد بيثرب وكانت بيثرب منازل اليهود فنازعتهم وغلبتهم اليهود بكثرتهم وقهروهم حتى كان الرجل من اليهود ليأتي منزل الأنصاري فلا يمكنه دفعه عن أهله وماله حتى دخل رجل منهم يقال له العطيون الى دار مالك بن العجلان فوثب عليه فقتله ثم صار الى بعض ملوك اليمن فشكا اليه ما يلقون من اليهود فسار ذلك الملك اليهم بجيشه حتى قتل من اليهود مقتلة عظيمة فصلحت حال الأوس والخزرج وغرس النخل وأنشأوا المنازل وسار باقي القوم يأمون الشام حتى صاروا الى أرض « السراة » فاقام أزد شنوءة بالسراة وما حولها وخرج منهم قبائل الى عمان فكان أول من صار منهم الى عمان مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، وتزوج

مالك بامرأة من عبد القيس فولدت له عدة أولاد ﴿ فيقال ﴾ إن أصغر ولده قتله كان معه في إبل له فقام مالك بن فهم يطوف في الابل فرفع رأسه فتوهمه ابنه سارقاً فرماه فقتله ، وكان يقال لأمه سليمة فيقال إن مالك بن فهم قال :

أعلمه الرماية كل يوم * فلما اشتد ساعده رماني

ثم لحق بعد مالك بن فهم جماعة من بطون الأزد — منهم الربيعة وعمران بنو عمرو بن عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر ، وهم بارق وغالب ويشكر بن قيس بن صعب ابن دهمان ، وقوم من عامر وقوم من حوالة — بعمان فلما صاروا بعمان انتشروا بالبحرين وهجر وكان بارض تهامة من الأزد الجدرة وهم من ولد عمرو بن خزيمة ابن جشمة بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزد ، وذلك أن عمراً بنى جدار الكعبة فسمي الجادر وسار منهم نفر إلى هراة من أرض خراسان .

وسارت غسان الى الشام حتى نزلت بارض البلقاء وكان بالشام قوم من سليح قد دخلوا ذمة الروم وتنصروا فسألتهم غسان أن تدخل معهم في ذلك فكتبوا الى ملك الروم فاجابهم ملك الروم إلى ذلك ثم ساء مجاورتهم عامله على دمشق فحمل عليهم صاحب الروم بجماعة من العرب من قضاعة من قبل ملك الروم ، ثم إن غسان طلبت الصلح فاجابهم ملك الروم وكان رئيس غسان يومئذٍ جفنة بن علية بن عمرو بن عامر فتنصرت غسان فاقامت بالشام مملكة من قبل صاحب الروم وسار من ولد حوالة بن الهنو بن الأزد الى الموصل فنزلوها وكان أهل اليمن يرون أن بلدهم يغرق من سد مأرب فحصنوه وحرسوه فلما بعث الله عليهم سيل العرم دخل عليهم الماء من جحر لجرذ كان تحفر في السد فغرقهم .

ملوك الشام

وكانت الشام دار ملك بني إسرائيل فيقال إن أول ملك بدمشق ﴿ بالغ ﴾

ابن بعور ، ثم ملك ﴿ يوباب ﴾ وهو أيوب بن زارح الصدّيق وكان من خبره ما قد قصه الله عز وجل ثم ملك ﴿ مينسوس ﴾ وكانت بنوإسرائيل تحاربهم ، ثم ملك ﴿ هوسير ﴾ من أهل « لدّ » ثم انقطعت الممالك فكانت ملوك بني اسرائيل حتى انقرضوا ، وغلبت الروم على ملكها فخرج القوم عن البلاد فكانت قضاعة أول من قدم الشام من العرب فصارت الى ملوك الروم فملكوهم فكان أول الملك (لتنوخ) ابن مالك بن فهم بن تيم الله بن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة فدخلوا في دين النصرانية فملكهم ملك الروم على من ببلاد الشام من العرب فكان أول من ملك منهم ﴿ النعمان ﴾ بن عمرو بن مالك ثم غلبت بنوسليح وهم بنو سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وأقامت بنو سليح زماناً على ذلك فلما تفرقت الأزد وصار من صار منهم إلى تهامة ومن صار إلى يثرب ومن صار الى عمان وغير ذلك من البلدان فصارت غسان الى الشام فقدموا أرض البلقاء فسألوا سليحاً أن يدخلوا معهم فيما دخلوا فيه من طاعة ملك الروم وأن يقيموا في البلاد لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، فكتب رئيس سليح وهو يومئذ « دهمان بن العملق » الى ملك الروم وهو يومئذ ﴿ نوشر ﴾ وكان منزله « أنطاكية » فاجابهم الى ذلك وشرط عليهم شروطاً فاقاموا ثم جرى بينهم وبين ملك الروم مشاجرة بسبب الأتاوة التي يقبضها ملك الروم حتى أن رجلاً من غسان يقال له « جذع » ضرب رجلاً من أصحاب ملك الروم بسيفه فقتله فقال بعضهم [خذ من جذع ما أعطاك] فذهب مثلا فحاربهم صاحب الروم فاقاموا ملياً يحاربونه « ببصرى » من أرض دمشق ثم صاروا الى « المحفق » فلما رأى ملك الروم صبرهم على الحرب ومقاومتهم جيوشه كره أن تكون ثلمة عليهم وطلب القوم الصلح على أن لا يكون عليهم ملك من غيرهم فاجابهم ملك الروم الى ذلك فملك عليهم ﴿ جفنة ﴾ بن علية بن عمرو بن عامر واستقام الذي بينهم وبين الروم وصارت أمورهم واحدة ، وكان أول ملك جل قدره وعلا ذكره من

غسان بعد جفنة بن علية (الحارث) بن مالك بن الحارث بن غضب بن جشم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن ثعلبة بن حارثة بن عدي بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد ، وملك بعده (الحارث) الأكبر بن كعب بن علية ابن عمرو بن عامر ، وكعب هو جفنة وهو ابن مارية وأمه مارية بنت عاديا بن عامر ثم ملك أخوه (الحارث) الأعرج فنزل الجولان ، ثم ملك أخوه (الحارث) الأصغر ، ثم ملك (جبلة) بن المنذر ، ثم ملك (الحارث) بن جبلة (١) ثم ملك [الأيهم] بن جبلة ، ثم (جبلة) بن الأيهم ، وكان الحارث بن أبي شمر بن الأيهم ملكا بالأردن وكان منزل جبلة دمشق ، وفي جبلة بن الأيهم وأهله يقول حسان بن ثابت :

لله درّ عصابة نادمتهم * يوماً بجلق في الزمان الأول
بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الأنوف من الطراز الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل
يغشون حتى ما تهر كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل

---

(١) كان للحارث هذا مقام رفيع عند الروم وكانوا يهابون سطوته ويعجبون بشجاعته وقد بالغوا في تقريبه وترقيته والخلع عليه حتى سموه ملكاً وبطريقاً ، وبلغ من شهرته في الشجاعة وشدة البأس حتى كانت النساء يخوفن أولادهن باسمه فاذا بكى أو تمرّد قالت له أمه « أسكت وإلا أتيتك بالحارث بن جبلة » وهو الذي وقعت بينه وبين المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء اللخمي المعركة الهائلة التي يسميها العرب (يوم ذات الخيار) أو (عين أباغ) فكان من جرائها قتل المنذر ودخول قنسرين في حوزة الحارث بعد أن قتل بعض أبنائه ، والمنذر هذا هو صاحب (الغريين) ويومي البؤس والنعيم ، وهي القصة المشهورة التي ذكرها ياقوت في معجم البلدان في مادة (الغريان) وذكرها غيره من المؤرخين . (م . ص)

يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل

ملوك الحيرة من اليمن

قالت الرواة وأهل العلم إنه لما تفرّق أهل اليمن قدم ﴿ مالك ﴾ بن فهم بن غنم بن دوس حتى نزل أرض العراق في أيام ملوك الطوائف فاصاب قوماً من العرب من معد وغيرهم بالجزيرة فملكوه عشرين سنة ثم أقبل ﴿ جذيمة ﴾ الأبرش فتكهن وعمل صنمين يقال لها [الضيزنان] فاستهوى أحياءً من أحياء العرب حتى صار بهم الى أرض العراق وبها دار أياد بن نزار وكانت ديارهم بين أرض الجزيرة الى أرض البصرة فحاربوه حتى إذا صار الى ناحية يقال لها [بقة] على شط الفرات بالقرب من الأنبار وكانت تملك الناحية إمرأة يقال لها [الزباء] ملكت تلك الناحية وكانت شديدة الزهادة في الرجال فلما صار جذيمة الى أرض الأنبار واجتمع له من أجناده ما اجتمع قال لأصحابه إني قد عزمت على أن أرسل الى الزباء فاتزوجها وأجمع ملكها إلى ملكي فقال غلام له يقال له قصير إن الزباء لو كانت ممن تنكح الرجال لسبقت اليها فكتب اليها وكتبت اليه أن أقبل إلي أزوجك نفسي فارتحل اليها فقال له قصير لم أر رجلاً يزف الى امرأة قبلك وهذه فرسك ﴿ العصا ﴾ قد صنعتها فاركبها وانج بنفسك فلم يفعل فلما دخل عليها كشفت عن فخذها فقالت : أدأب عروس ترى قال : دأب فاجرة ، بظراء غادرة ، فقطعته الزباء وركب قصير الفرس (العصا) ونجا ، ولما قتل جذيمة ملك مكانه ابن أخته ﴿ عمرو ﴾ بن عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن حارث ابن مالك بن عمم (١) بن نمارة بن لخم فقال قصير لعمرو لا تعصني أنت قال قل ما بدا لك قال اجدع انفي واقطع أذني وخلني ففعل ذلك فصار الى الزباء وقال إني كنت من النصح لجذيمة على ما رأيت ولعمرو ابن اخته حتى ملكته فكان جزائي عنده أن فعل بي ما ترين فجئتك لأكون في خدمتك ولعل الله أن يجري قتل عمرو على يدك ولم يزل

---

(١) عمم بميمين واسمه عدي وإنما اشتهر بذلك لأنه أول من اعتم . (م ص)

يحتال لها حتى وجهته في تجارة فاتاها باموال كثيرة مرة بعد مرة فاعجبها ذلك فوثقت به فلما استحكمت ثقتها به صار الى عمرو وقال أقعد الرجال في الصناديق فحمل أربعة آلاف رجل على الفي جمل معهم السيوف ثم أدخلهم مدينتها وفيهم عمرو وفرق الصناديق في منازل أصحابها وأدخل عدة منها دارها فلما كان الليل خرجوا وقتلوا الزباء وخلقاً من أهل مملكتها ، وملك عمرو بن عدي خمساً وخمسين سنة ، ثم ملك [امرؤالقيس] ابن عمرو خمساً وثلاثين سنة ، ثم ملك أخوه ﴿ الحارث ﴾ بن عمرو سبعاً وثمانين سنة ، ثم ملك ﴿ عمرو ﴾ بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي أربعين سنة ، ثم ملك ﴿ المنذر ﴾ بن امرئ القيس وهو المحرق ، وإنما سمي محرقاً لأنه أخذ قوماً حاربوه فحرقهم فسمي لذلك محرقاً ، ثم ملك ﴿ النعمان ﴾ وهو الذي (١) بنى الخورنق فبينما هو جالس ينظر منه الى ما بين يديه من الفرات وما عليه من النخل والأجنة والأشجار إذ ذكر الموت فقال وما ينفع هذا مع نزول الموت وفراق الدنيا فتنسك واعتزل الملك وإياه عنى عدي بن زيد حيث يقول :

وتفكر رب الخورنق إذ أشـ * ـرف يوماً وللهدى تفكير
سره حاله وكثرة ما يمـ * ـلك والبحر معرض والسدير
فارعوى قلبه وقال وما غبـ * ـطة حي الى الممات يصير

(١) هذا هو النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأعور السائح من أشهر ملوك الحيرة ، حكم ٢٨ سنة عاصر فيها من ملوك الفرس يزدجرد الأول وبهرام جور وكان من أشد ملوك العرب نكاية في أعدائه وأبعدهم مغاراً ، غزا الشام مراراً وأكثر من المصائب في أهلها وسبى وغنم وجند الجند على نظام عرف به وكان عنده من الجيش كتيبتان احداهما مؤلفة من رجال الفرس إسمها (الشهباء) والأخرى من تنوخ اسمها [دوسر] فكان يغزو بهما من لا يدين له من العرب ، أنظر أخباره في (العرب قبل الاسلام) لجرجي زيدان . (م . ص)

وملك بعده ﴿ المنذر ﴾ بن النعمان ثلاثين سنة ، ثم ملك ﴿ عمرو ﴾ بن المنذر وهو الذي قتل الحارث بن ظالم عنده خالد بن جعفر بن كلاب فنذر دمه وطلبه فطلب الحارث ابنه وكان مسترضعاً في آل سنان فقتله .

ثم ملك ﴿ عمرو ﴾ بن المنذر الثاني (١) وهو ابن هند وكان يلقب [مضرط الحجارة] وكان قد جعل الدهر يومين يوماً يصيد فيه ويوماً يشرب فاذا جلس لشربه أخذ الناس بالوقوف على بابه حتى يرتفع مجلس شرابه فقال طرفة بن العبد :

فليت لنا مكان الملك عمرو * رغوثاً حول قبتنا تخور
قسمت الدهر في زمن رخي * كذاك الدهر يعدل أو يجور
من الزمرات أسبل قادماها * فضرتها مركنة درور
لعمرك إن قابوس بن هند * ليخلط ملكه نوك كثير
لنا يوم وللكروان يوم * تطير البائسات ولا نطير
فأما يومهن فيوم سوء * تطاردهن بالخسف الصقور
وأما يومنا فنظل ركباً * وقوفاً لا نحل ولا نسير

ولم يزل طرفة يهجوه ويهجو أخاه قابوساً ويذكرها بالتقبيح وينسب باخت عمرو ويذكرها بالتعظيم فكان مما قال فيه :

(١) هو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس الملقب بابن ماء السماء ويسمى المحرق الثاني ويعرف باسم أمه هند بنت عمة امرئ القيس الشاعر الشهير ولدت للمنذر عمراً هذا وقابوساً وكان حكمه ١٦ سنة وكان شديد السلطان وقد غزا بني تميم في دارهم وقتل من بني دارم كثيرين (يوم أوراة) الثاني وبالغ بالعظمة والكبرياء حتى توهم في نفسه الفضل على الناس كلهم وخيل له أنه ليس من أمير في العرب لا يخدمه ويتمنى رضاه وكانت تلك الدعوى سبب قتله ، فقتله عمرو بن كلثوم التغلبي لقضية صدرت من أمه هند مع أم عمرو بن كلثوم ليلى بنت مهلهل بن ربيعة مما هو مسطور في التاريخ .

إن شرار الملوك قد علموا * طراً وأدناهم من الدنس
عمرو وقابوس وابن أمهما * من يأتهم للخنا بمحتبس
يأت الذي لا تخاف سبّته * عمرو وقابوس قينتا عرس
يصبح عمرو على الأمور وقد * خضخض ما للرجال كالفرس

وكان المتلمس (١) حليفاً لطرفة فكان يساعده على هجائه فقال لهما عمرو قد طال ثواكما ولا مال قبلي ولكن قد كتبت لكما إلى عاملي بالبحرين بدفع لكل واحد منكما مائة الف درهم فاخذ كل واحد منهما صحيفة فاستراب المتلمس بامره فلما صارا عند نهر الحيرة لقيا غلاماً عبادياً فقال له المتلمس أتحسن أن تقرأ قال نعم قال اقرأ هذه الصحيفة فقرأها فاذا فيها إذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه فطرح الصحيفة وقال لطرفة في صحيفتك مثل هذا قال ليس يجترئ على قومي بهذا وأنا بذلك البلد أعز منه فمضى طرفة الى عامل البحرين فلما قرأ صحيفته قطع يديه ورجليه وصلبه .

ثم ملك أخوه ﴿قابوس﴾ بن المنذر (٢) ثم ملك ﴿المنذر﴾ بن المنذر أربع سنين

وكان هؤلاء الملوك من قبل الأكاسرة يؤدون اليهم الطاعة ويحملون الخراج وكانت قبائل معدّ مجتمعة عليهم وكان أشدها امتناعاً غطفان وأسد بن خزيمة وكان يأتيهم الرجل من معد على جهة الزيارة فيحيونه ويكرمونه وكان ضمن إياهم من رؤساء القبائل الربيع بن زياد العبسي والحارث بن ظالم المري وسنان بن أبي حارثة والنابغة الذبياني الشاعر ، وكانت الملوك تعظم الشعراء وترفع أقدارهم لما يقولون لهم من المدح

(١) المتلمس لقب جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيد بن دوقن بن حرب بن وهب بن بلى بن أحمس بن ضبعة بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، وهو الشاعر الشهير خال طرفة بن العبد وبصحيفته المذكورة يضرب المثل فيقال (أشأم من صحيفة المتلمس)

(٢) ملك قابوس بن المنذر أربع سنين ، وكان ضعيفاً وفيه لين وسموه فتنة العرس وله مع بني يربوع (يوم طخفة) المشهور .

والذكر فكان النابغة مقدماً عند ملوكهم ثم شبب بامرأة المنذر في قصيدته التي يقول فيها

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد

فنذر المنذر دمه فهرب الى الشام الى ملوك غسان ثم اعتذر الى المنذر بشعره الذي يقول فيه :

فانك كالليل الذي هو مدركي * وإن خلت أن المنتأى منك واسع

ويقول :

نبئت أن أبا قابوس أوعدني * ولا قرار على زأر من الأسد

وكان مع المنذر أهل بيت من بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ، وكان من أهل ذلك البيت عدي بن زيد العبادي وكان خطيباً شاعراً قد كتب العربية والفارسية وكان المنذر قد جعل عندهم ابنه « النعمان » فأرضعوه وكان في حجورهم فكتب كسرى الى المنذر أن يبعث له بقوم من العرب يترجمون الكتب له فبعث بعدي بن زيد وأخوين له فكانوا في كتابه يترجمون له فلما مات المنذر قال كسرى لعدي بن زيد هل بقي أحد من أهل هذا البيت يصلح للملك قال نعم إن للمنذر ثلاثة عشر ولداً كلهم يصلح لما يريد الملك فبعث فأقدمهم وكانوا من أجمل أهل بيت المنذر إلا ما كان من النعمان فانه كان أحمر أبرش قصيراً فكان أهل بيت عدي بن زيد الذين ربوه وأمه سبية يقال لها « سلمى » يقال إنها من كلب فأنزلهم عدي بن زيد كل واحد على حدته وكان يفضل أخوة النعمان عليه في النزل ويريهم أنه لا يرجوه ويخلو بهم رجلاً رجلاً ويقول لهم إن سألكم الملك هل تكفوني العرب فقولوا له لن نكفيكهم إلا النعمان وقال للنعمان إن سألك الملك عن اخوتك فقل إن عجزت عنهم فأنا عن العرب أعجز وكان من بني المنذر رجل يقال له الأسود وكانت أمه من بني الرباب وكان من الرجال وكان يحضنه أهل بيت من الحيرة يقال لهم بنو مرينا كانوا أشرافاً وكان منهم رجل يقال له عدي بن أوس بن مرينا كان مارداً شاعراً وكان يقول للأسود بن المنذر أخي النعمان

إنك قد عرفت أني لك راج وأن طلبتي اليك ورغبتي أن تخالف عدي بن زيد فانه والله ما ينصحك أبداً فلم يلتفت الى قوله فلما أمر كسرى عدي بن زيد أن يدخلهم عليه جعل يدخلهم رجلاً رجلاً فكان يرى رجالاً ما رأى مثلهم فاذا سألهم هل تكفوني ما كنتم تكفون قالوا لن نكفيك العرب إلا النعمان فلما دخل عليه النعمان رأى رجلاً وسيماً فكلمه فقال هل تستطيع أن تكفيني العرب قال نعم قال فكيف تصنع باخوتك قال إن عجزت عنهم فانا عن غيرهم أعجز فملكه وكساه وألبسه اللؤلؤ فلما خرج وقد ملك قال عدي بن أوس بن مرينا للأسود دونك قد خالفت الرأي ومضى النعمان ملكاً على عدي بن مرينا فأمر قوماً من خاصة النعمان وأصحابه أن يذكروا عدي بن زيد عنده ويقولوا إنه يزعم أن الملك عامله وأنه هو ولاه ولولاه ما ولي وكلاماً نحو هذا فلم يزالوا يتكلمون بحضرة النعمان حتى أحفظوه وأغضبوه على عدي بن زيد فكتب النعمان إلى عدي عزمت عليك إلا زرتني فاستأذن كسرى وقدم عليه فلما صار الى النعمان أمر بحبسه في حبس لا يصل اليه فيه أحد وكان له مع كسرى أخوان يقال لأحدهم أبي والآخر سمي وكانا عند كسرى وكان أحدهما يسره هلاكه والآخر يحب صلاحه فجعل عدي يقول الشعر في محبسه ويستعطف النعمان ويذكر له حرمته ويعظه بذكر الملوك المتقدمين فلم ينفعه ذلك وجعل أعداؤه من آل مرينا يحملون عليه النعمان ويقولون له إن أفلت قتلك وكن سبب هلاكك فلما يئس عدي أن يجد عند النعمان خيراً كتب الى أخيه :

ألا ابلغ أبياً على نأيه * وهل ينفع المرء ما قد علم
بأن أخاك شقيق الفؤا * د كنت به والهاً ما سلم
لدى ملك موثق بالحديد * إما بحق وإما ظلم
فلا تلفين كذات الغلا * م إن لا تجد عارماً تعترم
فأرضك أرضك إن تأتنا * تنم نومة ليس فيها حلم

وكتب الى ابنه عمرو بن عدي وكانت له ناحية من كسرى

لمن ليل بذي حبس طويل * عظيم شقه حزن دخيل
وما ظلم امرىء في الجيد غل * وفي الساقين ذو حلق طويل
ألا هبلتك أمك عمرو بعدي * أتقعد لا أفك ولا تصول
ألم يحزنك أن أباك عانٍ * وأنت مغيب غالتك غول
تغنيك ابنة القين بن جسر * وفي كلب فيصحبك الشمول
فلو كنت الأسير ولا تكنه * إذاً علمت معد ما أقول
وإن أهلك فقد أبليت قومي * بلاءً كله حسن جميل
وما قصرت في طلب المعالي * فتقصر في المنية أو تطول

فقام أخوه وابنه ومن معهما الى كسرى فكلماه في أمره فكتب كسرى الى النعمان يأمره بتخلية سبيله ووجه في ذلك رسولاً قال فسأل أبي بن زيد الرسول أن يبتدىء بعدي فابتدأ الرسول به فقال عدي إنك إن فارقتني قتلت قال كلا لا يجترىء النعمان على الملك فبلغ النعمان مصير رسول كسرى إلى عدي فلما خرج من عنده وجه اليه النعمان من قتله ووضع على وجهه وسادة حتى مات ثم قال للرسول إن عدياً قد مات وأعطاه وأجازه وتوثق منه أن لا يخبر كسرى إلا أنه وجده ميتاً وكتب الى كسرى أنه مات .

وكان عمرو بن عدي يترجم الكتب لكسرى وطلب كسرى جارية ووصف صفتها فلم توجد له فقال له عمرو بن عدي بن زيد أيها الملك عند عبدك النعمان بنات له وقرابات على أكثر مما يطلب الملك ولكنه يرغب بنفسه عن الملك ويزعم أنه خير منه فوجه كسرى الى النعمان يأمره أن يبعث اليه ابنته ليتزوجها فقال النعمان أما في عين السواد وفارس ما يبلغ الملك حاجته ولما انصرف الرسول خبر كسرى بقول النعمان فقال كسرى وما يعني بالعين قال عمرو بن عدي بن زيد أراد البقر ذهاباً بابنته عن الملك

فغضب كسرى وقال رب عبد قد صار إلى أكبر من هذا ثم صار أمره الى تباب فبلغت النعمان فاستعد وأمسك عنه كسرى شهراً ثم كتب اليه بالقدوم عليه فعلم النعمان ما أراد فحمل سلاحه وما قوي عليه ولحق بجبلي طيء ، وكانت سعدى بنت حارثة عنده فسأل طيئاً أن يمنعوه من كسرى فقالوا لا قوة لنا به فانصرف عنهم وجعلت العرب تمنع من قبوله حتى نزل في بطن ذي قار في بني شيبان فلقي هانيء بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان فدفع اليه سلاحه وأودعه بنته وحرمته ومضى إلى كسرى فنزل بيابه فامر به فقيد ثم وجه به الى خانقين فلقيه عمرو بن عدي بن زيد فقال يا نعيم (تصغيراً به) لقد شددت لك أواخي لا يقلعها إلا المهر الأرن فقال أرجو أن تكون قد قرنتها بقارح فلما مضى به الى خانقين طرح به تحت الفيلة فداسته حتى قتلته وقرب للأسود فأكلته ، ووجه كسرى الى هانيء بن مسعود أن ابعث الي مال عبدي الذي عندك وسلاحه وبناته فلم يفعل هانيء فوجه اليه كسرى بجيش فاجتمعت ربيعة وكانت وقعة ذي قار فهزمت العرب العجم وكان أول يوم ظفرت فيه العرب بالعجم ﴿ ويروى ﴾ عن رسول الله (ص) أنه قال هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبي نصروا .

حرب كندة

وكانت بين كندة وحضرموت حروب أفنت عامتهم وكانت كندة قد اجتمعت على رجلين أحدهما سعيد بن عمرو بن النعمان بن وهب وكان على بني الحارث بن معاوية عمرو بن زيد ، وشرحبيل بن الحارث على السكون ، واجتمعت حضرموت على عدة رؤساء منهم مسعر بن مستعر ، وسلامة بن حجر ، وشراحيل بن مرة ، وعدة بعد هؤلاء فزال هؤلاء كلهم وطالت الحرب بينهم وفنت رجالهم ودامت حتى ضرستهم وكثر القتل في كندة وملكت حضرموت علقمة بن ثعلب وهو يومئذ غلام فلانت كندة بعض اللين وكرهت محاربة حضرموت ودخل أهل اليمن التشتيت والتفريق فلما

افترق أهل اليمن وانتشروا في البلاد ملك كل قوم عظيمهم وصارت كندة إلى أرض معد فجاورتهم ثم ملكوا رجلاً منهم كان أول ملوكهم يقال له ﴿ مرتع ﴾ بن معاوية بن ثور فملك عشرين سنة ، ثم ملك ابنه ﴿ ثور ﴾ بن مرتع فلم يقم إلا يسيراً حتى مات فملك بعده ﴿ معاوية ﴾ بن ثور ، ثم ملك ﴿ الحارث ﴾ بن معاوية فكان ملكه أربعين سنة ، ثم ملك ﴿ وهب ﴾ بن الحارث عشرين سنة ثم ملك بعده ﴿ حجر ﴾ بن عمرو آكل المرار (١) ثلاثاً وعشرين سنة ، وهو الذي حالف بين كندة وربيعة وكان تحالفهم بالذنائب (٢) ثم ملك بعده ﴿ عمرو ﴾ ابن حجر أربعين سنة ، وعزا الشام ومعه ربيعة فلقيه الحارث بن أبي شمر فقتله ، فملك بعده ﴿ الحارث ﴾ بن عمرو ، وأمه ابنة عوف بن ملحم الشيباني ونزل بالحيرة وفرق ملكه على ولده ، وكان له أربعة أولاد (حجر ، وشرحبيل ، وسلمة الغلفاء ومعدي كرب) فملك حجراً في أسد وكنانة ، وملك شرحبيل على غنم وطيء والرباب ، وملك سلمة الغلفاء على تغلب والنمر بن قاسط ، وملك معدي كرب على

---

(١) المرار بالضم شجر مر من أفضل العشب وأضخمه إذا أكلته الابل قلصت عنها مشافرها فبدت أسنانها . ﴿ قيل ﴾ سمي حجر آكل المرار لكشر كان به ﴿ وقيل ﴾ لأن ابنة كانت له سباها ملك من ملوك سليح يقال له (زياد) بن هبولة من الضجاعمة فقالت له ابنة حجر كأنك بأبي قد جاء كأنه جمل آكل المرار تعني كاشراً عن أنيابه ﴿ وقيل ﴾ إنه كان في نفر من أصحابه في سفر فاصابهم الجوع فاما هو فأكل المرار حتى شبع ونجا وأما أصحابه فلم يطيقوا ذلك حتى هلك أكثرهم ففضل عليهم بصبره على أكله المرار ، توفي حجر بن عمرو هذا سنة ٤٥٠ ميلادية .

(٢) الذنائب موضع بنجد هو على يسار طريق مكة ﴿ وقيل ﴾ هو عن يسار (ولجة) للمصعد الى مكة وبه قبر (كليب) وفيها منازل ربيعة ثم منازل بني وائل (قاله في تاج العروس) (م . ص)

قيس بن عيلان ، وكانوا يجاورون ملوك الحيرة فقتلوا الحارث وقام ولده بما كان في أيديهم وصبروا على قتال المنذر حتى كافئوه فلما رأى المنذر تغلبهم على أرض العرب نفسهم ذلك وأوقع بينهم الشرور فوجه الى سلمة الغلفاء بهدايا ثم دس إلى شرحبيل من قال له إن سلمة أكبر منك وهذه الهدايا تأتيه من المنذر فقطع الهدايا فاخذها ثم أغرى بينهما حتى تحاربا فقتل شرحبيل فكانت معه تميم وضبة فلما قتل خاف الناس أن يقولوا لأخيه سلمة إن أخاك قد قتل وجعل يسمع قولهم فجزع لقتل أخيه وندم على أن المنذر إنما أراد أن يقتل بعضهم بعضاً فقال :

إن جنبي عن الفراش لناب * كتجافي الأسر فوق الظراب
من حديث نمي إلي فما تر * قأ دمعي ولا أسيغ شرابي

وتنكرت بنو أسد بحجر بن عمرو وساءت سيرته فيهم وكانت عنده فاطمة بنت ربيعة أخت كليب ومهلهل فولدت له هنداً فلما خاف على نفسه حملها فاجتمعت بنو أسد على قتله فقتلوه وادعى قبائل من بني أسد قتل حجر ، وكان القائم بامر بني أسد علباء ابن الحارث أحد بني ثعلبة ، وكان امرؤ القيس بن حجر غائباً فلما بلغه مقتل أبيه جمع جمعاً وقصد لبني اسد فلما كان في الليلة التي أراد ان يغير عليهم في صبيحتها نزل بجمعه ذلك فذعر القطا فطار عن مجاثمه فمر ببني أسد فقالت بنت علباء ما رأيت كالليلة قطاً أكثر فقال علباء (لو ترك القطا لغفا ونام) فارسلها مثلاً وعرف ان جيشاً قد قرب منه فارتحل واصبح امرؤ القيس فاوقع بكنانة فأصاب فيهم وجعل يقول يا لثارات ﴿ حجر ﴾ فقالوا والله ما نحن إلا من كنانة فقال :

ألا يا لهف نفسي بعد قوم * هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم ببني ابيهم * وبالأشقين ما كان العقاب
وافلتهن علباء جريضاً * ولو ادركنه صفر الوطاب

وفي هذا الوقت يقول عبيد بن الأبرص الأسدي لامرىء القيس بن حجر في قصيدة طويلة

يا ذا المعيرنا بقتـ * ـل أبيه إذلالاً وحينا
أزعمت أنك قد قتلـ * ـت سراتنا كذباً ومينا
هلا على حجر ابن أم * قطام تبكي لا علينا
إنا إذا عض الثقـا * ف برأس صعدتنا لوينا
نحمي حقيقتنـا وبعـ * ـض القوم يسقط بين بينا

وفي هذا يقول ايضاً عبيد في قصيدة له طويلة :

يا أيهـا السائل عن مجدنا * إنك مستغبيٌّ بنـا جاهل
إن كنت لم تأتك أنباؤنا * فاسأل بنا يا أيها السائل
سائل بنا حجراً غداة الوغى * يوم بؤتى جمعه الحافل
يوم اقوا سعداً على مأقط * وحاولت من خلفه كاهل
فاوردوا سرباً له ذبلا * كأنهن اللهب الشاعل

ومضى امرؤ القيس الى اليمن لما لم يكن به قوة على بني أسد ومن معهم من قيس فاقام زماناً وكان يدمن مع ندامى له فأشرف يوماً فاذا براكب مقبل فسأله من أين أقبلت قال من نجد فسقاه مما كان يشرب فلما أخذت منه الخمرة رفع عقيرته وقال :

سقينا امرأ القيس بن حجر بن حارث * كؤوس الشجا حتى تعوَّد بالقهر
وألهـاه شرب ناعم وقراقر * وأعيـاه ثار كان يطلب في حجر
وذاك لعمري كان أسهل مشرعاً * عليه من البيض الصوارم والسمر

فنزع امرؤ القيس لذلك ثم قال يا أخا أهل الحجاز من قائل هذا الشعر قال عبيد ابن الأبرص قال صدقت ثم ركب واستنجد قومه فامدوه بخمسمائة من مذحج فخرج الى أرض معد فاوقع بقبائل من معد وقتل الأشقر بن عمرو وهو سيد بني أسد وشرب في قحف رأسه ، وقال امرؤ القيس في شعر له :

قولا لدودان عبيد العصا * ما غركم بالأسد الباسل

يا أيها السائل عن شأننا * ليس الذي يعلم كالجاهل
حلت لي الخمر وكنت امرءاً * عن شربها في شغل شاغل

وطلب قبائل معد امرأ القيس وذهب من كان معه وبلغه ان المنذر ملك الحيرة قد نذر دمه فاراد الرجوع الى اليمن فخاف حضرموت وطلبته بنو اسد وقبائل معد فلما علم انه لا قوة به على طلب المنذر واجماع قبائل معد على طلبه ولم يمكنه الرجوع سار الى سعد بن الضباب الأيادي وكان عاملا لكسرى على بعض كور العراق فاستتر عنده حيناً حتى مات سعد بن الضباب فلما مات سعد خرج امرؤ القيس الى جبل طيء فلقي طريف بن ... (١) ... الطائي فسأله ان يجيره فقال والله مالي من الجبلين إلا موضع ناري فنزل بقوم من طيء ، ثم لم يزل ينتقل في طيء مرة وفي جديلة مرة وفي نبهان مرة حتى صار الى تيماء فنزل بالسموءل بن عاديا فسأله أن يجيره فقال له انا لا اجير على الملوك ولا اطيق على حربهم فاودعه ادراعاً وانصرف عنه يريد ملك الروم حتى صار الى قيصر ملك الروم فاستنصره فوجه معه تسعمائة من أبناء البطارقة ، وكان امرؤ القيس قد مدح قيصر فسار الطماح الأسدي الى قيصر فقال له إن امرأ القيس شتمك في شعره وزعم انك علج اغلف فوجه قيصر الى امرئ القيس بحلة قد نضح فيها السم فلما البسها تقطع جلده وايقن بالموت فقال :

تأوبني دائي القديم فغلسا * احاذر ان يزداد دائي فأنكسا
لقد طمح الطماح من بعد ارضه * ليلبسني من دائه ما تلبسا
فلو انها نفس تموت سوية * ولكنها نفس تساقط انفسا

وهذه الأبيات في قصيدة له طويلة ، وقال ايضاً في حاله تلك :

ألا ابلغ بني حجر بن عمرو * وابلغ ذلك الحي الحريدا
باني قد بقيت بقاء نفس * ولم اخلق سلاما او حديدا

(١) بياض في الأصل ، وطريف هذا هو ابن مالك بن جدعان الطائي .

ولو أني هلكت بارض قومي * لقلت الموت حق لا خلودا
ولكني هلكت بارض قوم * بعيداً من دياركم بعيدا
بارض الشام لا نسب قريب * ولا مولى فيسعف أو يجودا

ومات امرؤ القيس بانقرة من أرض الروم .

ولد اسماعيل بن ابراهيم

وإنما أخرنا خبر إسماعيل وولده وختمنا بهم أخبار الأمم لأن الله عز وجل ختم بهم النبوة والملك واتصل خبرهم بخبر رسول الله (ص) والخلفاء ﴿ ذكرت الرواة والعلماء ﴾ أن اسماعيل بن إبراهيم أول من نطق بالعربية وعمر بيت الله الحرام بعد أبيه إبراهيم وقام بالمناسك ، وأنه كان أول من ركب الخيل العتاق وكانت قبل ذلك وحوشاً لا تركب ﴿ وقال بعضهم ﴾ إن إسماعيل أول من شق الله فاه باللسان العربي فلما شب أعطاه الله القوس العربية فرمى عنها وكان لا يرمي شيئاً إلا أصابه فلما بلغ أخرج الله من البحر مائة فرس فاقامت ترعى بمكة ما شاء الله ثم ساقها الله اليه فاصبح وهي على بابه فرسنها فركبها وأنتجها وكانت دواب الناس البراذين وركبها اسماعيل وبنوه وولده وفي إسماعيل يقول بعض شعراء معد :

أبونا الذي لم يركب الخيل قبله * ولم يدر شيخ قبله كيف تركب

ويقال إنما سميت أجياد مكة لأن الخيل كانت فيها فأوحى الله عز وجل الى اسماعيل أن يأتي الخيل فاتاها فلم يبق فرس إلا أمكنته من ناصيتها فركبها وركبها ولده ، فكان اسماعيل أول من ركب الخيل ، وأول من اتخذها ، وأول من نفى أهل المعاصي عن الحرم فقال أعرّبه فسميت العربة بذلك فكان ولد جرهم بن عامر لما صار أخوتهم من بني قحطان بن عامر الى اليمن فملكوا صاروا هم الى أرض تهامة فجاوروا اسماعيل بن إبراهيم فتزوج إسماعيل ﴿ الحنفاء ﴾ بنت الحارث بن مضاض الجرهمي فولدت له اثنى عشر ذكراً وهم (قيدار ونابت وادبيل ومبشام ومسمع ودوما ومسا وحداد

وتيما ويطور ونافس وقيدما) وهذه الأسماء تختلف في الهجاء واللغة لأنها مترجمة من العبرانية ، فلما كملت لاسماعيل مائة وثلاثون سنة توفي فدفن في الحجر فلما توفي إسماعيل ولي البيت بعده نابت بن اسماعيل ﴿ ويقال ﴾ وليه قيدار وبعد قيدار نابت بن اسماعيل ، وافترق ولد اسماعيل يطلبون السعة في البلاد وحبس قوم أنفسهم على الحرم فقالوا لا نبرح من حرم الله ، ولما توفي نابت وقد تفرق ولد اسماعيل فولي البيت ﴿ المضاض ﴾ بن عمرو الجرهمي جد ولد اسماعيل وذلك أن من بقي في الحرم من ولد اسماعيل كانوا صغاراً فلما ولي المضاض نازعه السميدع بن هوبر ثم ظهر عليه المضاض فمضى السميدع الى الشام وهو أحد ملوك العمالقة واستقام الأمر لمضاض حتى توفي ، ثم ملك بعده ﴿ الحارث ﴾ بن مضاض ، ثم ملك ﴿ عمرو ﴾ بن الحارث بن مضاض ثم ملك ﴿ المعتسم ﴾ بن الظليم ، ثم ملك ﴿ الحواس ﴾ بن جحش بن مضاض ثم ملك ﴿ عداد ﴾ بن صداد بن جندل بن مضاض ، ثم ملك ﴿ فسحص ﴾ (١) ابن عداد بن صداد ، ثم ملك ﴿ الحارث ﴾ بن مضاض بن عمرو ، وكان آخر من ملك من جرهم وطغت جرهم وبغت وظلمت وفسقت في الحرم فسلط الله عليهم (الذر) فاهلكوا به عن آخرهم ، وكان ولد اسماعيل منتشرين في البلاد يقهرون من ناواهم غير أنهم كانوا يسلمون الملك لجرهم للخؤولة وكانت جرهم تطيعهم في أيامهم ولم يكن أحد يقوم بامر الكعبة في أيام جرهم غير ولد اسماعيل تعظيما منهم لهم ومعرفة بقدرهم فقام بأمر الكعبة بعد نابت أمين ثم يشجب بن أمين ثم الهميسع ثم أدد فعظم شأنه في قومه وجل قدره وأنكر على جرهم أفعالهم وهلكت جرهم في عصره ثم عدنان بن أدد ثم معدّ بن عدنان ثم افترق ولد عدنان في البلاد ولحق قوم منهم باليمن ، منهم عك والديث والنعمان فولد لعك من بنت أرغم بن جماهر الأشعري ، ثم هلك وبقي ولده بعده فانتموا الى الأخوال والدار ، وكان عدنان أول من وضع الأنصاب وكسى الكعبة ، وكان

---

(١) كذا في الأصل وفي الهامش [فينحاص] (م . ص)

معد بن عدنان أشرف ولد اسماعيل في عصره وكانت أمه من جرهم ولم يبرح الحرم فكان له من الولد عشرة أولادوهم (نزار وقضاعة وعبيد الرماح وقنص وقناصة وجنادة وعوف وأود وسلهم وجنب) وكان معد يكنى أباقضاعة فانتسب عامة ولد معد في اليمن اليه وكان لهم عدد كثير وانتمت قضاعة الى ملك حمير ، وقضاعة فيما يقال ولد على فراش معد ، وكان معد أول من وضع رحلاً على جمل وناقة وأول من زمها بالنساع

وكان نزار بن معد سيد بني أبيه وعظيمهم ومقامه بمكة ، وأمه « ناعمة » بنت جوشم بن عدي بن دبّ الجرهمية ، وكان له من الولد أربعة (مضر وأياد وربيعة وأنمار) وأمهم « سودة » بنت عك بن عدنان ﴿ ويقال ﴾ إن أم مضر وأياد « حبية » بنت عك بن عدنان ، وأم ربيعة وأنمار « جدالة » بنت وعلان بن جوشم الجرهمي ، ولما حضرت نزار الوفاة قسم ميراثه على ولده الأربعة فاعطى مضر وأياد وربيعة وأنمار ماله فمضر وربيعة الصريحان من ولد إسماعيل ، فاعطى مضر ناقته الحمراء وما أشبهها من الحمرة فسمي مضر الحمراء ، وأعطى ربيعة الفرس وما أشبهها فسمي ربيعة الفرس ، وأعطى أياد غنمه وعصاه وكانت الغنم برقاء فسمي أياد البرقاء ويقال أياد العصا ، وأعطى أنمار جارية له تسمى بجيلة فسمي بها ، وأمرهم إن تخالقوا أن يتحاكموا الى الأفعى بن الأفعى الجرهمي فكان منزله بنجران فتحاكموا اليه .

فاما أنمار بن نزار فانه تزوج في اليمن فانتسب ولده الى الخؤولة فمنهم بجيلة وخثعم بخرج من ولد نزار غيرهم .

وأما ربيعة بن نزار فانه فارق اخوته فصار مما يلي بطن عرق إلى بطن الفرات فولد له أولاد منهم أسد وضبيعة وأكلب وتسعة بعدهم ولا ينسبون في اليمن ، وانتشر ولد ربيعة بن نزار وولد ولده حتى كثروا وامتلأت منهم البلاد ، فجماهير قبائل ربيعة ﴿ بهثة ﴾ بن وهب بن جلي بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة ﴿ وعنزة ﴾ بن أسد بن ربيعة ﴿ وعبد القيس ﴾ بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة ﴿ ويشكر ﴾

ابن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى ﴿ وحنيفة ﴾ بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط ﴿ وعجل ﴾ بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر ﴿ وقيس ﴾ بن ثعلبة بن عكابة بن علي بن بكر ﴿ وتيم اللات ﴾ بن ثعلبة بن عكابة

وكانت الحكومة والرئاسة من ربيعة في بني ضبيعة ولد بهثة بن وهب بن جلي بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة ، ثم تحولت الحكومة والرئاسة في ولد عنزة بن أسد بن ربيعة ، ثم تحولت في عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة ، ثم سارت عبد القيس حتى نزلت « اليمامة » بسبب حرب كانت بينهم وبين بني النمر ابن قاسط وكانت أياد باليمامة فاجلوهم ، ثم صارت الرئاسة في النمر بن قاسط ، ثم تحولت من النمر بن قاسط فصارت في بني يشكر بن صعب بن علي بن بكر ، ثم تحولت الرئاسة من يشكر بن صعب فصارت في بني تغلب ، ثم صارت في بني شيبان .

وكانت لربيعة أيام مشهورة وحروب معروفة فمن مشهور أيامهم ﴿ يوم السلان ﴾ فان مذحج أقبلت تريد غزو أهل تهامة ومن بها من اولاد معد فاجتمع ولد معد لحرب مذحج وكان اكثرهم ربيعة فرأسوا عليهم ربيعة بن الحارث بن مرة بن زهير بن جشم ابن بكر فالتقوا ومذحج بالسلان فهزموا مذحجاً وكان لهم الظفر ، وأما [يوم خزاز] فان اليمن أقبلت وعليهم سلمة بن الحارث بن عمرو الكندي فرأست ولد معد كليب بن ربيعة بن الحارث بن مرة فلما رأى سلمة كثرة القوم استجار ببعض الملوك فامده فالتقوا بخزاز وعلى ولد معد كليب ففضت جموع اليمن ، واما ﴿ يوم الكلاب ﴾ فان سلمة وشرحبيل ابني الحارث بن عمرو الكندي تحاربا فكان مع سلمة ربيعة ومع شرحبيل قيس فكثرت ربيعة قاساً فقتلت شرحبيل بن الحارث بن عمرو وكان لهم العلو ، وأما ﴿ ايام البسوس ﴾ فانها بين بني شيبان وتغلب بسبب قتل جساس بن مرة بن ذهل ابن شيبان كليب بن ربيعة بن الحارث بن مرة بن زهير بن جشم التغلبي فاشتبكت الحرب واتصلت حتى افنتهم ودامت اربعين سنة ، واما ﴿ يوم ذي قار ﴾ فانه لما قتل

كسرى أبرويز النعمان بن المنذر بعث الى هانئ بن مسعود الشيباني أن ابعث إلي ما كان عبدي النعمان استودعك من أهله وماله وسلاحه وكان النعمان أودعه ابنه وأربعة آلاف درع فابى هانئ وقومه أن يفعلوا فوجه كسرى بالجيوش من العرب والعجم فالتقوا بذي قار فاتاهم حنظلة بن ثعلبة العجلي فقلدوه بامرهم فقالوا لهانئ ذمتك ذمتنا ولا نخفر ذمتنا فحاربوا الفرس فهزموهم ومن معهم من العرب وكان مع الفرس أياس بن قبيصة الطائي وغيره من اخوة معد وقحطان فاتى عمرو بن عدي بن زيد كسرى وأخبره الخبر فخلع كتفه فمات فكان أول يوم انتصرت فيه العرب من العجم .

وأما أياد بن نزار فانه نزل اليمامة فولد له أولاد انتسبوا في القبائل فيقول النسابون إن ثقيفاً قسي بن النبت بن منبه بن منصور بن يقدم بن أفصى بن دعمي بن أياد وأنهم انتسبوا الى قيس ، وكانت ديار أياد بعد اليمامة الحيرة ومنازلهم الخورنق والسدير وبارق ثم أجلاهم كسرى عن ديارهم فانزلهم تكريت (مدينة قديمة على شط دجلة) ثم أخرجهم عن تكريت الى بلاد الروم فنزلوا بانقرة من أرض الروم ورئيسهم يومئذ كعب (١) بن مامة ثم خرجوا بعد ذالك ، فجماهير قبائل أياد أربعة (مالك وحذاقة وبقدم ونزار) فهذه بطون أياد ، وفيهم يقول الأسود بن يعفر التميمي .

أهل الخورنق والسدير وبارق * والقصر ذي الشرفات من سنداد
الواطئون على صدور نعالهم * يمشون في الدفني والأبراد
عفت الرياح على محل ديارهم * فكأنما كانوا على ميعاد
نزلوا بانقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجيئ من أطواد
بلد تخيرها لطول مقيلها * كعب بن مامة وابن أم دؤاد

وذكر ابو دؤاد الأيادي بعض ذلك ، وكان ابو دؤاد أشعر شعرائهم وبعده لقيط بالعراق فلما بلغه أن كسرى آلى على نفسه أن ينفي أياداً من تكريت وهي من

---

(١) وهذا كعب يضرب به المثل في السخاء والوفاء . (عن الهامش)

أرض الموصل كتب صحيفة بعث بها اليهم وفيها :

سلام في الصحيفة من لقيط * الى من بالجزيرة من أياد
فان الليث يأتيكم بياتاً * فلا يشغلكم سوق النقاد
أتاكم منهم سبعون الفاً * يزجون الكتائب كالجراد

وأما مضر بن نزار فسيد ولد أبيه وكان كريماً حكيماً ﴿ ويروى ﴾ عنه أنه قال لولده من يزرع شراً يحصد ندامة وخير الخير أعجله فاحملوا أنفسكم على مكروهها فيما أصلحكم واصرفوها عن هواها فيما أفسدكم فليس بين الصلاح والفساد إلا صبر ووقاية ﴿ وروي ﴾ أن رسول الله (ص) قال لا تسبوا مضراً وربيعة فانهما كانا مسلمين ﴿ وفي حديث آخر ﴾ فانهما كانا على دين ابراهيم ، فولد مضر بن نزار الياس بن مضر وعيلان بن مضر وامهما الحنفاء بنت اياد بن معد. فولد عيلان بن مضر قيس بن عيلان فانتشر ولده وكثروا وصار فيه العدد والمنعة ، فجماهير قبائل قيس بن عيلان ﴿ عدوان ﴾ بن عمرو بن قيس ﴿ وفهم ﴾ بن عمرو بن قيس ﴿ ومحارب ﴾ ابن خصفة بن قيس ﴿ وباهلة ﴾ بن اعصر بن سعد بن قيس ﴿ وفزارة ﴾ بن ذبيان بن بغيص بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس [وسليم] بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس [وعامر] بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن [ومازن] ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس [وسلول] بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن [وثقيف] وهو قسي بن منبه ابن بكر بن هوازن ، وثقيف ينسب الى اياد بن نزار [وكلاب] بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة [وعقيل] بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة [وقشير] بن كعب ابن ربيعة بن عامر [والحريش] بن كعب بن عامر [وعوف] بن عامر بن ربيعة وكانت الرئاسة والحكومة في قيس وانتقلت في عدوان وكان اول من حكم منهم وراس عامر بن الضرب ثم صارت في فزارة ثم صارت في عبس ثم صارت في بني عامر

ابن صعصعة ، ولم تزل فيهم ، وكانت لقيس أيام مشهورة وحروب متصلة منها يوم البيداء . ويوم شعب جبلة . ويوم الهباءة . ويوم الرقم . ويوم فيف الريح . ويوم اللبط . ويوم رحرحان . ويوم العري . ويوم حرب داحس والغبراء بين عبس وفزارة .

وكان الياس بن مضر قد شرف وبان فضله ، وكان أول من انكر على بني إسماعيل ماغيروا من سنن آبائهم وظهرت منه أمور جميلة حتى رضوا به رضاً لم يرضوا باحد من ولد إسماعيل بعد أدد فردهم إلى سنن آبائهم حتى رجعت سنتهم تامة على أولها ، وهو أول من أهدى البدن الى البيت ، وأول من وضع الركن بعد هلاك ابراهيم فكانت العرب تعظم الياس تعظيم أهل الحكمة وكان للياس من الولد مدركة واسمه (عامر) وطابخة واسمه (عمرو) وقمعة واسمه (عمير) وأمهم جميعاً خندف واسمها (ليلى) بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وكان الياس قد أصابه السل فقالت خندف امرأته لئن هلك لا أقمت ببلد مات به ، وحلفت أن لا يظلها بيت وأن تسيح في الأرض فلما مات خرجت سائحة في الأرض حتى هلكت حزناً ، وكانت وفاته يوم الخميس فكانت تبكيه وإذا طلعت شمس ذلك اليوم بكت حتى تغيب فصارت مثلا ﴿ وقيل ﴾ لرجل من أياد هلكت امرأته ألا تبكيها فقال :

ولو أنه أغنى بكيت كخندف * على الياس حتى ملّها السر تندب
إذا مونس لاحت خراطيم شمسه * بكت غدوةً حتى ترى الشمس تغرب

يعني بقوله مونس يوم الخميس لأن العرب كانت تسمي الأيام بغير أسمائها في هذا الوقت فكانت تسمي الأحد الأول والاثنين أهون والثلاثاء جبار والأربعاء دبار والخميس مؤنس والجمعة عروبة والسبت شيار ، وكانوا يسمون أيام الشهر عشرة أسماء كل ثلاث ليال اسم فالثلاث التي أول الهلال الغرر ثم النفل ثم التسع ثم العشر ثم البيض ثم الظلم ثم الخنس ثم الحنادس ثم المحاق والآخر ليلة السرار إذا استتر الهلال وكانوا يسمون المحرّم مؤتمر وصفر ناجر وربيع الأول خوان وربيع الآخر وبصان

وجمادى الأولى حنين وجمادى الآخرة ربّى ورجب الأصم وشعبان عاذل ورمضان ناتق وشوال وعل وذا القعدة ورنة وذا الحجة برك ، وكان آخرون من العرب يسمون الثلاث ليال من أول الشهر هلال ثم ثلاث قمر حين بقمر ثم ثلاث بهر حين يضيء وبهر لونه وثلاث نقل وثلاث بيض وثلاث درع وثلاث ظلم وثلاث حنادس وثلاث دآدي وليلتان محاق وليلة سرار .

وولد لطابخة بن الياس أد بن طابخة فتفرقت من ولد أد بن طابخة أربع قبائل وهي { تميم } بن مر بن أد { والرباب } وهو عبد مناة بن أد { وضبة } بن أد { ومزينة } بن أد ، وكان العدد في تميم بن مر بن أد حتى امتلأت منهم البلاد وافترقت قبائل تميم فمن جماهير قبائل تميم [كعب] بن سعد بن زيد مناة [وحنظلة]. بن مالك بن زيد مناة ، وهم يسمون البراجم ، وبنو دارم ، وبنو زرارة بن عدس ، وبنو أسد ، وعمرو بن تميم ، فهؤلاء ولد أد بن طابخة بن الياس بن مضر ، وفيهم العدد والمنعة والبأس والنجدة والشعر والفصاحة ، وكانت الرئاسة في تميم وكان أول رئيس فيهم سعد بن زيد مناة بن تميم ثم حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، وكانت لهم أيام مشهورة وحروب معروفة فمنها يوم الكلاب ، ويوم المروت ، ويوم جدود ، ويوم النسار .

وكان مدركة بن الياس سيد ولد نزار قد بان فضله وظهر مجده وخرج أخوه قمعة الى خزاعة فتزوج فيهم وصار ينسب ولده معهم وكان ولده فيهم ، وكان من ولده عمرو بن لحي بن قمعة وهو أول من غير دين ابراهيم ، وولد مدركة بن الياس خزيمة وهذيلاً وحارثة وغالباً ، وأمهم سلمى ابنة الأسود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة وبقال بنت أسد بن ربيعة بن نزار ، وأما حارثة فدرج صغيراً ، وأما غالب فانتسبوا في بني خزيمة ، وأما هذيل بن مدركة فان العدد منهم في بني سعد بن هذيل ثم تميم بن سعد ثم في معاوية بن تميم والحارث بن تميم وهذيل شجعان أصحاب حروب وغارات

ونجدة وفصاحة وشعر .

وكان خزيمة أحد حكام العرب ومن يعد له الفضل والسؤدد ، فولد خزيمة بن مدركة كنانة ، وأمه عوانة بنت قيس بن عيلان ، وأسد ، والهون وأمهم برة بنت مر بن أد بن طابخة أخت تميم بن مرة ، فاما أسد بن خزيمة فان ولده انتشروا في اليمن وهم [جذام ولخم وعاملة بنو عمرو بن أسد] وكانت مضر تدعي جذاماً خاصة ، وبنو أسد مقيمون على أنهم منهم يواصلونهم على ذلك ويعدونهم منهم ، قال امرؤ القيس ابن حجر الكندي :

صبرنا عن عشيرتنا فبانوا * كما صبرت خزيمة عن جذام

وقال عبد المطلب بن هاشم في شعر له :

فقل لجذام إن أتيت بلادهم * وخص بنى سعد بها ثم وائل

أنيلوا وأدنوا من وسائل قومكم * فيعطف منكم قبل قطع الوسائل

وقال عبيد بن الأبرص في شعر له طويل :

أبلغ جذاماً ولخماً إن عرضت لهم * والقوم ينفعهم علم إذا علموا

بانكم في كتاب الله إخوتنا * إذا تقسمت الأرحام والنسم

ويقال إن هذا الشعر لشمعان بن هبيرة الأسدي ، فاما جذام بن عدي بن الحارث فانها مقيمة على نسبها في اليمن فتقول جذام بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن يشجب بن عريب بن مالك بن كهلان ، وكان لأسد بن خزيمة من الولد [دودان وكاهل وعمرو وهند والصعب وتغلب] وكان العدد في دودان ومنه افترقت قبائل بني أسد ، وقبائل بني أسد [قعين وفقعس ومنقذ ودبان ووالبة ولاحق وحرثان ورئاب وبنو الصيداء] وكانت أسد منتشرة من لدن قصور الحيرة الى تهامة ، وكانت لطيئ محالفة متفقة معها ودارهما تكاد أن تكون واحدة ، وكانت محاربة لكندة حتى قتلت حجر بن الحارث بن عمرو الكندي وهرب امرؤ القيس وذلت كندة ثم

حاربت بني فزارة حتى قتلت بدر بن عمرو ثم اختلف الذي بينها وبين طيء فتحارب الحيان أسد وطيء حتى قتلوا لام بن عمرو الطائي وأسروا زيد بن مهلهل وهو زيد الخيل وأخذوا السبايا ، وقال زيد الخيل :

ألا أبلغ الأقيام قيس بن نوفل * وقيس بن أهبان وقيس بن جابر
بني أسد ردوا علينا نساءنا * وأبناءنا واستمتعوا بالأباعر
وبالمال إن المال أهون هالك * إذا طرقت احدى الليالي الغوابر
ولا تجعلوها سنة يقتدى بها * بني أسد واعفوا بأيد قوادر

فأطلقوه وردوا ظعائنهم لما سمعوا هذا الشعر وبقي فرس لزيد وكان زيد يحب الخيل فقال زيد :

يا بني الصيداء ردوا فرسي * إنما يفعل هذا بالذليل
عودوا مهري الذي عودته * دلج الليل وإيطاء القتيل

فردوا عليه فرسه ، وكانت بنو أسد تقول فتلنا أربعة كلهم بنو عمرو وكل سيد قومه ، قتلنا حجر بن عمرو ملك كندة ، ولام بن عمرو الطائي ، وصخر بن عمرو السلمي ، وبدر بن عمرو الفزاري .

والهون بن خزيمة وهو القارة وإنما سموا القارة لأن بني كنانة لما خرجت بنو أسد بن خزيمة من تهامة وخالفوا كنانة وضموا القليل الى الكثير جعلوا بني الهون ابن خزيمة قارة بينهم لاحد دون أحد ﴿ ويقال ﴾ إن بني الهون نزلوا أرضاً منخفضة والعرب يسمون الأرض المنخفضة القارة فقيل لهم أصحاب القارة والقارة المرامي فقال بعضهم ﴿ قد أنصف القارة من راماها ﴾ ويقال إن حرباً جرت بين الهون بن خزيمة وبين بكر بن كنانة فقال رجل من بني بكر أيما أحب اليكم المراماة أو المسابقة فقال رجل منهم :

قد علمت سلم ومن والاها * أنا نصد الخيل عن هواها

قد أنصف القارة من راماها * أما إذا ما فئة نلقاهـا
نردهـا دامية كلاهـا

وقبائل بني الهون بن خزيمة ﴿ عضل وديش ﴾ ابنا يثيع بن الهون بن خزيمة فاما ﴿ الحكم ﴾ بن الهون بن خزيمة فانه صار الى اليمن فحل بلاد منحج فولد له بها أولادومات فانتسب ولده الى حكم بن سعد العشيرة .

وظهر في كنانة بن خزيمة فضائل لا يحصى شرفها وعظمته العرب ﴿ فروي ﴾ أن كنانة أتي وهو نائم في الحجر فقيل له تخير يابا النضر بين الهضيل أو الهذر أوعمارة الجدر أو عز الدهر فقال كل هذا يا رب فأعطيه ، فولد كنانة بن خزيمة ﴿ النضر وحدال وسعداً ومالكاً وعوفاً ومخرمة ﴾ وأمهم « هالة » بنت سويد بن الغطريف وهو حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الغوث ، وعلياً وغزوان ، وأمهما برة بنت مر، وجرولا والحارث وامهما من أزد شنوءة ، وعبد مناة وأمه الذفراء واسمها فكيهة بنت هني بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، فاما مخرمة فيقال إنهم بنو ساعدة رهط سعد بن عبادة، وبنوعبد مناة بن كنانة فهم عدد كنانة ، فمنهم بنو ليث بن بكر بن عبد مناة ، وبنوالدئل بن بكر ، وبنو ضمرة بن بكر . منهم بنو غفار بن مليك بن ضمرة ، وبنوجذيمة بن عامر بن عبد مناة الذين أصابهم خالد بن الوليد بالغميصاء ، وبنو مدلج ابن مرة بن عبد مناة ، ومن بني مالك بن كنانة بن خزيمة بنوفقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة ، ومن بني فقيم كان النسأة وهم القلامس كانوا ينسئون ويحلون ويحرمون ، وكان أولهم حذيفة بن عبد فقيم الذي يسمى القلمس ثم صار ذلك في ولده فقام بعده عباد بن حذيفة ابنه ثم بعد عباد قلع بن عباد ثم أمية بن قلع ثم عوف بن أمية ثم جنادة بن عوف وهو أبو ثمامة ، ومنهم فراس بن غنم ابن مالك بن كنانة ، فهذه جماهير قبائل كنانة .

واما النضر بن كنانة فكان اول من سمي القرشي ﴿ يقال ﴾ إنه سمي القرشي

لتقرشه وارتفاع همته ﴿ وقيل ﴾ لتجارته ويساره ﴿ ويقـــال ﴾ لدابة في البحر تسمى القرش سمته أمه قريشاً تصغير قرش ، فمن لم يكن من ولد النضر بن كنانة فليس بقرشي ، فولد النضر بن كنانة مالكاً ومخلد والصلت ، وكان النضر أبا الصلت وأم ولد النضر عكرشة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ، وأما مخلد فلم يبق منهم أحد يعرف ، وأما ولد الصلت فصاروا في خزاعة ، وكان من ولده كثير بن عبد الرحمان الشاعر وهو الذي يقول في النسب :

أليس أبي بالصلت أم ليس إخوتي * بكل هجان من بني النضر أزهرا

وكان ﴿ مالك ﴾ بن النضر عظيم الشأن وكان له من الولد فهر والحارث وشيبان أمهم [جندلة] بنت الحارث بن مضاض بن عمرو بن الحارث الجرهمي ﴿ ويقال ﴾ إن اسم فهر بن مالك [قريش] وإنما فهر لقب والاسم قريش ، وظهر في فهر بن مالك علامات فضل في حياة أبيه فلما هلك ابوه قام مقامه ، وكان لفهر بن مالك من الولد (غالب والحارث ومحارب وجندلة) أمهم (ليلى) بنت الحارث بن تميم ابن سعد بن هذيل ، فمن ولد الحارث بن فهر ضبة بن الحارث رهط أبي عبيدة بن الجراح ، ومن ولد محارب بن فهر شيبان بن محارب رهط الضحاك بن قيس ، وكان غالب بن فهر أفضلهم وأطهرهم مجداً ﴿ فيروى ﴾ أن فهر بن مالك قال لابنه غالب حين حضرته الوفاة : أي بني إن في الحذر انغلاق النفس ، وإنما الجزع قبل المصائب فاذا وقعت مصيبة تزدجرها وإنما القلق في غليانها فاذا قامت فبرد حر مصيبتك بما ترى من وقع المنية أمامك وخلفك وعن يمينك وعن شمالك وما ترى في آثارها من محق الحياة ثم اقتصر على قليلك وإن قلت منفعته فقليل ما في يدك أغنى لك من كثير مما أخلق وجهك إن صار اليك ، فلما مات فهر شرف غالب بن فهر وعلا أمره وكان له من الولد (لوي وتيم الأدرم) أمهما (عاتكة) بنت مخلد بن النضر بن كنانة (ويعلب ووهب وكثير وحراق) هؤلاء لا بقية لهم . فأما تيم الأدرم فانه أعقب

وكان ﴿ لوي ﴾ بن غالب سيداً شريفاً بين الفضل ﴿ يروى ﴾ أنه قال لأبيه غالب بن فهر وهو غلام حدث : يا أبه رب معروف قل إخلافه ، ونصر - يا أبه - من أحلفه أخمله ، وإذا أخمل الشيء لم يذكر ، وعلى المولى تكبير صغيره ونشره وعلى المولى تصغير كبيره وستره ، فقال له ابوه يا بني إني أستدل بما اسمع من قولك على فضلك ، واستدعي به الطول لك في قومك ، فان ظفرت بطول فعد على قومك وا كف عرب جهلهم بحلمك ، والمم شعثهم برفقك ، فانما يفضل الرجال الرجال بافعالهم فانها على اوزانها واسقط الفضل ومن لم تعل له درجة على آخر لم يكن له فضل وللعليا ابداً على السفلى فضل ، فلما مات غالب بن فهر قام لوي بن غالب مقامه وكان للوي من الولد (كعب وعامر وسامة وخزيمة) وامهم (عائذة) (وعوف والحارث وجشم) امهم (ماوية) بنت كعب بن القين (وسعد) بن لوي أمه (يسرة) بنت غالب بن الهون بن خزيمة ، فأما (سامة) بن لوي فانه هرب من أخيه (عامر) بن لوي وذلك إنه كان بينهما شر فوثب سامة على عامر ففقأ عينه فاخافه عامر فهرب منه فصار الى عمان . فيقال إنه مر ذات يوم على ناقة له فوضعت الناقة مشفرها في الأرض فعلقها افعى ونفضتهـا فوقعت على سامة فنهشت الأفعى سامة فقتلته . فقال فيما يزعمون حين احس بالموت :

عين فابكي لسامة بن لوي * علقت مـا بساقه العـلاقه
لم يروا مثـل سامة بن لوي * يوم حـلوا به قتيـلاً لناقه
بلغا عامراً وكعباً رسولاً * أن نفسي اليهما مشتاقه
إن تكن في عمان داري فاني * ماجد قد خرجت من غير فاقه
رب كاس هرقت يا بن لوي * حذر الموت لم تكن مهراقه
رمت دفع الحتوف يا بن لوي * ما لمن رام ذاك بالحتف طاقه

فأما خزيمة بن لوي وهو ﴿ عائذة ﴾ فانه نزل في شيبان فانتسب ولده في ربيعة

وأما ﴿ الحارث ﴾ وهو جشم وسعد فانهم نزلوا في هزان فانتسبوا فيهم ، وفيهم يقول جرير بن الخطفي :

بني جشم اسم لهزان فانتموا * لأعلى الروابي من لوي بن غالب

وأما ﴿ عوف ﴾ بن لوي فانه خرج فيما يزعمون في ركب من قريش حتى إذا كان في أرض غطفان أبطأ به بعيره فانطلق من كان معه من قومه فاتاه ثعلبة بن سعد بن ذبيان فاحتبسه وجعله له أخاً فصار نسبه في عوف بن سعد بن ذبيان ، قال الحارث بن ظالم وهو من بني مرة بن عوف :

وما قومي بثعلبة بن سعد * وما بفزارة الشعر الرقابا
وقومي إن سألت بني لوي * بمكة علموا مضر الضرابا
سفهنا باتباع بني بغيض * وترك الأقربين لنا انتسابا

وقال الحارث بن ظالم في ذلك ايضاً :

إذا فارقت ثعلبة بن سعد * وأخوتهم نسبت إلى لؤي
إلى نسب كريم غير [.....] * وحي هم أكارم كل حي
فان يعهد بهم نسبي فمنهم * قرابين الآله بنو قصي

وللحارث بن ظالم في هذا شعر كثير ، وقد كان عمر بن الخطاب دعا بني عوف إلى أن يردهم إلى نسبهم في قريش فشاوروا علي بن أبي طالب (ع) فقال لهم أنتم أشراف في قومكم فلا تكونوا مستلحقين في قريش ، فاما عامر بن لؤي فانه كان له من الولد (حسل بن عامر ومعيص بن عامر وعويص بن عامر) وأمهم امرأة من (قرن) وليس لعويص بن عامر بقية والبقية في حسل ومعيص .

فاما ﴿ كعب ﴾ بن لؤي فكان أعظم ولد أبيه قدراً و أعظمهم شرفاً وكان أول من سمى يوم الجمعة بالجمعة وكانت العرب تسميه (عروبة) فجمعهم فيه وكان يخطب عليهم فيقول : إسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا أن الليل ساج ، والنهار ضاح

والأرض مهاد ، والسماء عماد ، والجبال أوتاد ، والنجوم أعلام ، والأولون كالآخرين ، والأبناء ذكر ، فصلوا أرحامكم ، واحفظوا أصهاركم ، وثمروا أموالكم ، فهل رأيتم من هالك رجع ، او ميت نشر ، الدار أمامكم والظن غير ما تقولون ، وحرمكم زينوه وعظموه وتمسكوا به ، فسيأتي نبأ عظيم ، وسيخرج منه نبي كريم ، ثم يقول

نهار وليل كل أوب بحادث * سواء علينا ليلها ونهارها
يأوبان بالأحداث حين تأوبا * وبالنعم الضافي علينا ستورها
صروف وأنباء تغلب أهلها * لهـا عقد ما يستحل مريرها
على غفلة يأتي النبي محمد * فيخبر أخباراً صدوقاً خبيرها

ثم يقول يا ليتني شاهد نجوى دعوته ، لو كنت ذا سمع وذا بصر ويد ورجل لتنصبت له تنصب الجمل . ولأرقلت إرقال المحل . فرحاً بدعوته . جذلاً بصرخته فلما مات كعب أرخت قريش من موت كعب . وكان لكعب من الولد مرة وهصيص وأمهما وحشية ابنة شيبان بن محارب بن فهر بن مالك . وعدي بن كعب وأمه حبيبة بنت بجالة بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان . فعدي بن كعب رهط عمر بن الخطاب . وولد هصيص بن كعب سهما وجمحاً .

وكان مرة بن كعب سيداً هماماً فتزوج هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة . وكان سرير أول من نسأ الشهور فولدت هند لمرة كلاباً ثم تزوج مرة .... بنت سعد بن بارق فولدت له تيماً ويقظة . فتيم بن مرة رهط ابي بكر ومخزوم ابن يقظة بن مرة رهطه ايضاً . وشرف كلاب بن مرة وجل قدره واجتمع له شرف الأب والجد من قبل الأم لأنهم كانوا يجيزون الحج ويحرمون الشهور ويحللونها فكانوا يسمون النسأة والقلامس ، وكان لكلاب بن مرة من الولد قصي وزهرة وفيهما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : صريحا قريش ابنا كلاب . وأمهما فاطمة بنت سعد بن سيل الأزدي وكان سعد بن سيل أول من حليت له السيوف

بالذهب والفضة وله يقول الشاعر :

لا أرى في الناس شخصاً واحداً * فاعلموا ذاك كسعد بن سيل

فلما مات كلاب تزوجت فاطمة بنت سعد بن سيل ربيعة بن حرام العذري فخرج بها الى بلاد قومه فحملت قصياً معها وكان اسمه « زيد » فلما بعد من دار قومه سمته « قصياً » فلما شب قصي وهو في حجر ربيعة قال له رجل من بني ضنيرة : الحق بقومك فانك لست منا فقال ممن انا فقال سل أمك فسألها فقالت : انت اكرم منه نفساً وولداً ونسباً انت ابن كلاب بن مرة وقومك آل الله وفي حرمه ، وكانت قريش لم تفارق مكة إلا أنهم لما كثروا قلت المياه عليهم فتفرقوا في الشعاب فكره قصي الغربة وأحب أن يخرج الى قومه فقالت له أمه لا تعجل حتى يدخل الشهر الحرام فتخرج في حجاج قضاعة فاني أخاف عليك فلما دخل الشهر الحرام شخص معهم حتى قدم مكة وأقام قصي بمكة حتى شرف وعز وولد له الأولاد ، وكانت حجابة البيت الى خزاعة وذلك أن الحجابة كانت الى أياد فلما أرادوا الرحيل عن مكة حملوا الركن على جمل فلم ينهض الجمل فدفنوه وخرجوا وبصرت بهم امرأة من خزاعة حين دفنوه فلما بعدت أياد اشتد ذلك على مضر وأعظمته قريش وسائر مضر فقالت الخزاعية لقومها اشرطوا على قريش وسائر مضر أن يصيروا اليكم حجابة البيت حتى أدلكم على الركن ففعلوا ذلك فلما أظهروا الركن صيروا اليهم الحجابة فقدم قصي بن كلاب مكة والحجابة الى خزاعة والاجازة الى صوفة وهو الغوث بن مر أخي تميم ، وكان الحج وإجازة الناس من عرفات اليه ثم صارت الى عقبه من بعده ، وبنو القيس بن كنانة ينسئون الشهور ويحلون ويحرمون فلما رأى قصي ذلك جمع اليه قومه من بني فهر بن مالك وحازهم اليه فلما حضر الحج حال بين صوفة وبين الاجازة وقامت معه خزاعة وبنو بكر وعلموا أن قصياً سيصنع بهم كما صنع بصوفة وأنه سيحول بينهم وبين أمر مكة وحجابة البيت وانحازوا عنه وصاروا اليه فلما رأى ذلك أجمع لحربهم وبعث الى أخيه من أمه دراج

ابن ربيعة العذري فاتاه أخوه بمن قـدر عليه من قضاعة ﴿ وقيل ﴾ وافى دراج وقصي قد نصب لحرب القوم ودراج يريد البيت فاعان أخاه بنفسه وقومه فاقتتلوا قتالا شديداً بالأبطح حتى كثرت القتلى في الفريقين ثم تداعوا الى الصلح وأن يحكم ما بينهم رجل من العرب فيما اختلفوا فيه فحكموا يعمر بن عوف بن كعب بن ليث بن بكر بن كنانة فقضى بينهم بان قصياً أولى بالبيت وأمر مكة من خزاعة وأن كل دم أصابه قصي من خزاعة وبني بكر موضوع يشدخه تحت قدميه وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش ففيه الدية فودوا خمساً وعشرين بدنة وثلاثين حرجاً (١) وأن يخلوا بين قصي وبين البيت ومكة فسمي يعمر « الشدّاخ » ولم يكن بمكة بيت في الحرم إنما كانوا يكونون بها نهاراً فاذا أمسوا خرجوا فلما جمع قصي قريشاً وكان أدهى من رأي من العرب أنزل قريشاً الحرم وجمعهم ليلاً وأصبح بهم حول الكعبة فمشت اليه أشراف كنانة وقالوا إن هذا عظيم عند العرب ولو تركناك ما تركتك العرب فقال والله لا أخرج منه فثبت وحضر الحج فقال لقريش قد حضر الحج وقد سمعت العرب ما صنعتم وهم لكم معظمون ولا أعلم مكرمة عند العرب أعظم من الطعام فليخرج كل انسان منكم من ماله خرجاً ففعلوا فجمع من ذلك شيئاً كثيراً فلما جاء أوائل الحج نحر على كل طريق من طرق مكة جزوراً ونحر بمكة وجعل حظيرة فجعل فيها الطعام من الخبز واللحم وسقى الماء واللبن وغدا على البيت فجعل له مفتاحاً وحجبةً وحال بين خزاعة وبينه فثبت البيت في يد قصي ثم بنى داره بمكة وهي أول دار بنيت بمكة وهي دار الندوة ﴿ وروى بعضهم ﴾ أنه لما تزوج قصي الى حليل بن حبشية الخزاعي « حبى » ابنته وولدت له أوصى حليل عند موته بولاية البيت الى قصي وقال إنما ولدك ولدي وأنت أحق بالبيت ، وكانت حبى بنت حليل بن حبشية قد ولدت لقصي بن كلاب (عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى وعبد قصي) ﴿ وقال آخرون ﴾ دفع حليل بن حبشية المفتاح الى ابي غبشان وهو سليمان بن

(١) الحرج بفتحتين جمع الحرجة ، جماعة الغنم أو الابل .

عمرو بن بوي بن ملكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر فاشتراه قصي منه وولاية البيت بزق خمر وقعود (١) فقيل (أخس من صفقة أبي غبشان) ووثبت خزاعة فقالت لا نرضى بما صنع ابو غبشان فوقعت بينهم الحرب فقال بعضهم :

ابو غبشان أظلم من قصي * وأظلم من بني فهر خزاعه
فلا تلحوا قصياً في شراه * ولوموا شيخكم إذ كان باعه

فولي قصي البيت وأمر مكة والحكم ، وجمع قبائل قريش فامر لهم بابطح مكة وكان بعضهم في الشعاب ورؤوس الجبال فقسم منازلهم بينهم فسمي مجمعاً وفيهم يقول الشاعر (٢)

أبوكم قصي كان يدعي مجمعاً * به جمع الله القبائل من فهر

وملكه قومه عليهم فكان قصي أول من أصاب الملك من ولد كعب بن لويه فلما قسم أبطح مكة أرباعاً بين قريش هابوا أن يقطعوا شجر الحرم ليبنوا منازلهم فقطعها قصي بيده ثم استمروا على ذلك ، وكان قصي أول من أعز قريشاً وظهر به فخرها ومجدها وسناها وتقرشها فجمعها وأسكنها مكة وكانت قبل متفرقة الدار قليلة العز ذليلة البقاع حتى جمع الله ألفتها وأكرم دارها وأعز مثواها ، وكانت قريش كلها بالأبطح خلا بني محارب والحارث ابنى فهر وبني تيم بن غالب وهو الأدرم وبني عامر ابن لوي فانهم نزلوا الظواهر ، ولما حاز قصي شرف مكة كلها وقسمها بين قريش واستقامت له الأمور ونفى خزاعة هدم البيت ثم بناه بنياناً لم يبنه أحد وكان طول جدرانه تسع أذرع فجعله ثماني عشرة ذراعاً وسقفها بخشب الدوم (٣) وجريد النخل وبنى

(١) القعود — بفتح القاف — من الابل : ما يقتعده الراعي في كل حاجة والقعود ايضاً الفصيل . وايضاً البكر الى أن يثني ، جمعه أقعدة وقعد وقعدان وقعائد [المنجد]

(٢) هو حذافة بن نصر بن غانم العدوي يخاطب أبا لهب .

(٣) الدوم — بفتح الدال المهملة وسكون الواو شجر يشبه النخل وضخام الشجر

دار الندوة ، وكان لا ينكح رجل من قريش ولا يتشاورون في أمر ولا يعقدون لواء بالحرب ولا يعذرون (١) غلاماً إلا في دار الندوة ، وكانت قريش في حياته وبعد وفاته ترى أمره كالدين المتبع ، وكان أول من حفر بمكة بعد اسماعيل بن ابراهيم فحفر العجول (٢) في أيام حياته وبعد وفاته ﴿ ويقال ﴾ إنها في دار أم هاني بنت أبي طالب ، وكان قصي أول من سمى الدابة الفرس وكانت له دابة يقال لها العقاب السوداء ، وكان لقصي من الولد عبد مناف ، وكان يدعى القمر وهو السيد النهر (٣) واسمه المغيرة ، وعبد الدار ، وعبد العزى ، وعبد قصي ﴿ ويقال ﴾ إن قصياً قال سميت اثنين بالآهي وآخر بداري وآخر بنفسي ، وقسم قصي بين ولده فجعل السقاية والرئاسة لعبد مناف والدار لعبد الدار والرفادة لعبد العزى وحافتي الوادي لعبد قصي ، وقال قصي لولده من عظم لئيماً شاركه في لؤمه ، ومن استحسن مستقبحاً شركه فيه ، ومن لم تصلحه كرامتكم فدلوه بهوانه ، فالدواء يحسم الداء .

ومات قصي ودفن بالحجون ، ورأس عبد مناف بن قصي وجل قدره وعظم شرفه ولما كبر أمر عبد مناف بن قصي جاءته خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة يسألونه الحلف ليعزوا به فعقد بينهم الحلف الذي يقال له حلف الأحابيش (٤) وكان

---

(١) يقال عذر الغلام عذراً إذا ختنه .

(٢) العجول بفتح العين المهملة بئر بمكة ، وقيل إن الذي حفرها عبد شمس لا قصي .

(٣) نهر ككتف ، يقال رجل نهر صاحب نهار على النسب كما قالوا عمل وطعم قال الشاعر (لست بليلي ولكني نهر) وهو كناية عن وضاءة وجهه

(٤) قيل إنما سموا بالأحابيش لأنهم تحالفوا في جبل حبشي الذي باسفل مكة على ستة أميال منها فسموا باسم الجبل ، وقال ابن اسحاق الأحابيش هم بنو الهون وبنو الحرث من كنانة وبنو المصطلق من خزاعة تحبشوا أي تجمعوا فسموا بذلك ، ذكره السهيلي في شرح « السيرة » (م . ص)

مدبّر بني كنانة الذي سأل عبـد مناف عقد الحلف عمرو بن هالل بن معيص بن عامر وكان تحالف الأحابيش على الركن يقوم رجل من قريش والآخر من الأحابيش فيضعان أيديهما على الركن فيحلفان بالله القاتل وحرمة هذا البيت والمقام والركن والشهر الحرام على النصر على الخلق جميعاً حتى يرث الله الأرض ومن عليها وعلى التعاقد وعلى التعاون على كل من كادهم من الناس جميعاً ما بل بحر صوفة وما قام حراو ثبير وما طلعت شمس من مشرقها الى يوم القيامة ، فسمي حلف الأحابيش .

فولد عبد مناف بن قصي هاشماً — واسمه عمرو ، وكان يقال له عمرو العـلا وسمي هاشماً لأنه كان يهشم الخبز ويصب عليه المرق واللحم في سنة شديدة نالت قريشاً — وعبـد شمس والمطلب ونوفلاً وأبا عمرو وحنة وتماضر وأم الأخثم وأم سفيان وهالة وقلابة ، وأمهم جميعاً — إلا نوفلاً وأبا عمرو -- عاتكة بنت مرة ابن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم ، فولدت له هؤلاء ، وهي التي جرت حلف الأحابيش (........) وأم نوفل وأبي عمرو واقدة بنت أبي عدي وهو عامر بن عبد نهم من بني عامر بن صعصعة ﴿ ويقال ﴾ إن هاشماً وعبـد شمس كانا توأمين فخرج هاشم وتلاه عبـد شمس وعقبه ملتصق بعقبه فقطع بينهما بموسى ﴿ فقيل ﴾ ليخرجن بين ولد هاذين من التقاطع ما لم يكن بين أحد .

وشرف هاشم بعد أبيه وجل أمره واصطلحت قريش على أن يولّى هاشم بن عبد مناف الرئاسة والسقاية والرفادة فكان إذا حضر الحج قام في قريش خطيباً فقـال :.

« يامعشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته الحرام وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته فهم أضياف الله وأحق الضيف بالكرامة ضيفه وقد خيركم الله بذلك وأكرمكم به ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره فأكرموا ضيفه وزواره فانهم يأتون شعثاً غبراً من كل بلد على ضوامر كالقداح وقد أعيوا وتفلوا (١) وقملوا وأرملوا

(١) يقال تفل الرجل أنتن ريحه لترك الطيب والأدهان . (م . ص)

فاقروهم واغنوهم » فكانت قريش ترافد على ذلك وكان هاشم يخرج مالا كثيراً ويأمر بحياض من أدم فتجعل في موضع زمزم ثم يسقي فيها من الآبار التي بمكة فيشرب منها الحاج ، وكان يطعمهم بمكة ومنى وعرفة وجمع ، وكان يثرد لهم الخبز واللحم والسمن والسويق ويحمل لهم المياه حتى يتفرق الناس الى بلادهم فسمي هاشماً، وكان أول من سن الرحلتين رحلة الشتاء الى الشام ورحلة الصيف الى الحبشة الى النجاشي وذلك أن تجارة قريش لا تعدو مكة فكانوا في ضيق حتى ركب هاشم الى الشام فنزل بقيصر فكان يذبح في كل يوم شاة ويضع جفنة بين يديه ويدعو من حواليه ، وكان من أحسن الناس وأجملهم ، فذكر لقيصر فأرسل اليه فلما رآه وسمع كلامه أعجبه وجعل يرسل اليه فقال هاشم أيها الملك لي قوم وهم تجار العرب فتكتب لهم كتاباً يؤمنهم ويؤمن تجاراتهم حتى يأتوا بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه ففعل قيصر ذلك وانصرف هاشم فجعل كلما مرّ بحي من العرب أخذ من أشرافهم الايلاف (١) أن يأمنوا عندهم وفي أرضهم فأخذوا الايلاف من مكة والشام ، قال الأسود بن شعر الكلبي كنت عسيفاً لعقيلة من عقائل الحي أركب الصعبة والذلول لا أليق مطرحاً من البلاد أرتجي فيه ربحاً من الأموال أن لا يرغب اليه من الشام بخرثيه (٢) وأثاثه أريد كبة (٣) العرب فعدت ودهم الموسم فدفعت اليها مسدفاً فحبست الركاب حتى انجلى عني قميص الليل وإذا جزر تنحر وأخرى تساق ، وأكلة وحسه على الطهاة (. . . . . . .) ألا عجلوا فبهرني ما رأيت فتقدمت أريد عميدهم وعرف رجل شأني فقال أمامك فدنوت فاذا رجل على عرش سام تحته نمرقة قد كار عمامة سوداء وأخرج من ملاثها جمة فينانة (٤) كأن الشعرى تطلع من جبينه وفي يده مخصرة وحوله مشيخة جلة منكسو الأذقان ما منهم أحد يفيض بكلمة ودونهم خدم

---

(١) الايلاف العهد (٢) الخرثي بضم الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة ارداُ المتاع وسقطه (٣) الكبة بفتح الكاف وتشديد الباء الموحدة الجماعة من الناس .
(٤) الجمة بضم الجيم وتشديد الميم مجتمع شعر الرأس ، وفينانة طويلة حسنة (٥)

مشمرون الى أنصاف وإذا برجل مجهر على نشز من الأرض ينادي : يا وفد الله هلموا الى الغداء وإنسيان على طريق من طعم يناديان يا وفد الله من تغـدّى فليرجع الى العشاء وقد نمي اليّ من حبر من أحبار اليهود أن النبي الأمي هذا أوان توكفه فقلت لأعرف ماعنده يا نبي الله فقال مه وكأن وقد له فقلت لرجل كان الى جانبي من هذا فقال أبو نضلة هاشم بن عبد مناف فخرجت وأنا أقول : هذا والله المجد لا مجد آل جفنة ، ومر مطرود بن كعب الخزاعي برجل مجاور في بني هاشم وبنات له وامرأة في سنة جديبة فخرج يحمل متاعه ورحله هو وولده وامرأته لا يأويه أحد فقال مطرود الخزاعي :

يا أيها الرجل المحول رحله * هلا نزلت بآل عبد مناف

هبلتك أمك لو حللت بدارهم * ضمنوك من جوع ومن اقراف

عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

نسبوا اليه الرحلتين كليهما * عند الشتاء ورحلة الأصياف

الآخذون العهد في آفاقها * والراحلون لرحلة الايلاف

وخرج هاشم بتجارات عظيمة يريد الشام فجعل يمر بأشراف العرب فيحمل لهم التجارات ولا يلزمهم لها مؤنة حتى صار الى « غزة » فتوفي بها ، ولما هلك هاشم ابن عبد مناف جزعت قريش وخافت أن تغلبها العرب فخرج عبد شمس الى النجاشي ملك الحبشة فجدد بينه وبينه العهد ثم انصرف فلم يلبث أن مات بمكة ودفن بالحجون وخرج نوفل الى العراق وأخذ عهداً من كسرى ثم أقبل فمات بموضع يقال له سلمان وقام بأمر مكة المطلب بن عبد مناف .

وكان لهاشم من الولد عبد المطلب والشفاء أمها سلمى بنت عمرو بن زيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ، واسم النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو ابن الخزرج ، ونضلة بن هاشم أمه أميمة بنت عدي بن عبد الله ، وأسد أبو فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب (ع) وأمه قيلة بنت عامر بن مالك بن المطلب

وأبو صيفي انقرض نسله إلا من رقيقة بنت أبي صيفي ، وصيفي درج صغيراً ، وأمها هند بنت عمرو بن ثعلبة بن الخزرج ، وضعيفة وخالدة وأمها واقدة بنت أبي عدي وحنة بنت هاشم وأمها أم عدي بنت حبيب بن الحارث الثقفية ، وكان هاشم لما أراد الخروج الى الشام حمل امرأته سلمى بنت عمرو إلى المدينة لتكون عند أبيها وأهلها ومعه ابنه عبد المطلب فلما توفي أقامت بالمدينة ، وكان المطلب بن عبد مناف قد قام بامر مكة بعد أخيه هاشم فلما كبر عبد المطلب بلغ المطلب مكانه ووصف له حاله ، ومر رجل من تهامة بالمدينة فاذا غلمان يتناضلون وإذا غلام فيهم إذا أصاب قال انا ابن هاشم انا ابن سيد البطحاء فقال له الرجل من انت يا غلام قال انا شيبة بن هاشم بن عبد مناف فانصرف الرجل حتى قدم مكة فوجد المطلب بن عبد مناف جالساً في الحجر فقال يابا الحارث علمت أني جئت من يثرب فوجدت غلماناً يتناضلون وقص عليه ما رأى من عبد المطلب ، قال وإذا أظرف غلام ما رأيته قط قال المطلب اغفلته أما والله لا ارجع الى اهلي حتى أتيته فخرج المطلب حتى أتى المدينة عشاءً ثم خرج على راحلته حتى اتى بني عدي بن النجار فلما نظر الى ابن اخيه قال هذا ابن هاشم قال القوم نعم وعرف القوم المطلب قالوا هذا ابن اخيك فان اردت اخذه الساعة لا تعلم امه فانها إن علمت حلنا بينك وبينه فأناخ راحلته ثم دعاه يا ابن اخي انا عمك فقد اردت الذهاب بك الى قومك فاركب فما كذب عبد المطلب ان جلس على عجز الراحلة وجلس المطلب على الرحل ثم بعثها فانطلقت فلما علمت امه عاقت تدعو حربها «١» فأخبرت ان عمه ذهب به ودخل المطلب مكة وهو خلفه والناس في اسواقهم ومجالسهم فقاموا يرحبون به ويحيونه ويقولون من هذا معك فيقول عبدي ابتعته بيثرب ثم خرج حتى اتى الحزورة «٢» فابتاع له

«١» الحرب بفتحتين الهلاك والويل .

«٢» الحزورة بتخفيف الواو بوزن قسورة ، قال السهيلي في [روض الأنف] هو اسم سوق كانت بمكة وادخلت في المسجد لما زيد فيه . [م ٠ ص]

حلة ثم أدخله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم فلما كان العشي البسه ثم جلس في مجلس بني عبدمناف وأخبرهم خبره وجعل بعد ذلك يخرج في تلك الحلة فيطوف في سكك مكة وكان أحسن الناس فتقول قريش هذا عبد المطلب فلج اسمه عبدالمطلب وترك شيبة ولما حضر رحيل المطلب الى اليمن قال لعبدالمطلب انت يابن أخي أولى بموضع أبيك فقم بامر مكة فقام مقام المطلب ، فتوفي المطلب في سفره ذلك بردمان (١) فقام عبد المطلب بامر مكة وشرف وساد وأطعم الطعام وسقى اللبن والعسل حتى علا اسمه وظهر فضله وأقرت له قريش بالشرف فلم يزل كذلك .

قال محمد بن الحسن : لما تكامل لعبدالمطلب مجده وأقرت له قريش بالفضل رأى وهو نائم في الحجر آتيا أتاه فقال له قم يا أبا البطحاء واحفر زمزم ، حفيرة الشيخ الأعظم ، فاستيقظ فقال اللهم بين لي في المنام مرةً أخرى فرآه يقول قم فاحفر برةً قال وما برة ، قال مضنة ضن بها على العالمين وأعطيتها ، ثم رأى قائلا يقول له قم يا ابا الحارث فاحفر زمزم ، لا تنزف ولا تذم ، تروي الحجيج الأعظم ، ثم رأى ثالثة قم فاحفر ، قال وما أحفر ، قال احفر بين الفرث والدم ، عند مبحث الغراب الأعظم ، وقرية النمل فاذا أبصرت الماء فقل هلمَّ الى الماء الرواء ، أعطيته على رغم الأعدا ، فلما استيقن عبد المطلب أنه قد صدق جلس عند البيت مفكراً وذبحت بقرة بالحزورة فافلتت وأقبلت تسعى حتى طرحت نفسها موضع زمزم فسلخت هناك وقسم لحمها وبقي الفرث والدم ، فقال عبد المطلب الله اكبر ثم سعى لينظر فاذا قرية نمل مجتمع في الأرض فانطلق فاتى بمعول وابنه الحارث وحيده فاجتمعت اليه قريش فقالوا ما هذه قال أمرني ربي أن أحفر ما يروي الحجيج الأعظم فقالوا له أمر ربك بالجهل لم تحفر في مسجدنا ، قال بذلك امرني ربي فلم يحفر إلا قليلا حتى بدا الطي فكبر واجتمعت قريش فعلمت لما رأت الطي أنه قد صدق ، وليس له من الولد إلا الحارث

(١) ردمان : موضع باليمن من حصون الجيمة . (مراصد الاطلاع)

فلما رأى وحدته قال اللهم إن لك علي نذراً إن وهبت لي عشرة ذكور أن أنحر لك أحدهم وحفر حتى وجد سيوفاً وسلاحا وغزالا من ذهب مقرطاً مجزعاً ذهباً وفضة فلما رأت قريش ذلك قالوا يا ابا الحارث (. « ١ » .) من فوق الأرض ومن تحتها فاعطنا من هذا المال الذي أعطاك الله فانها بئر أبينا اسماعيل فأشركنا معك فقال إني لم أومر بالمال إنما أمرت بالماء فامهلوني فلم يزل يحفر حتى بدا الماء فكبر ثم قال بحرها لا تنزف وبنى عليها حوضاً وملأه ماء ونادى هلم الى الماء الروا ، أعطيته على رغم العدا ، وكانت قريش تفسد ذلك الحوض وتكسره فرأى في المنام أن قم فقل اللهم إني لا أحله لمغتسل ولكن لشارب حل ، فقام عبد المطلب فقال ذلك فلم يكن يفسد ذلك الحوض أحد إلا رمي بداء من ساعته فتركوه ، ولما استقام له الماء دعا ستة قداح فجعل لله قدحين أسودين وجعل للكعبة قدحين أبيضين وجعل لقريش قدحين أحمرين ثم أخذها بيده واستقبل الكعبة ثم أفاض وهو يقول :

يا رب انت الأحد الفرد الصمد * إن شئت ألهمت الصواب والرشد
وزدت في المال وأكثرت الولد * إني مولاك على رغم معد

ثم ضرب فخرج الأسودان لله فقال قال ربكم هو مالي ثم أفاض وهو يقول :

لاهم أنت الملك المحمود * وانت ربي المبدئ المعيد
من عندك الطارف والتليد * إن شئت ألهمت بما تريد

. فخرج الأبيضان للكعبة فقال أخبرني ربي أن المال كله له فحلى به الكعبة وجعله صفائح على باب الكعبة ، وكان أول من حلى الكعبة ، ولما رأت قريش ما أعطيه نفست ذلك عليه فقالت إنا لشركاء معك لأنها بئر أبينا إسماعيل فقال هذا شيء خصصت به دونكم فنافروه الى كاهنة بني سعد فقضت له عليهم ﴿ وروى بعضهم ﴾

(١) بياض في الأصل ، وذكر المؤرخون منهم ابن الأثير في الكامل : أنه لما رأت قريش ذلك قالت (يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق فقال لا ...)

أن ماء عبد المطلب نفد في الطريق ومياه القوم فخافوا الهلكة فقال عبد المطلب ليحفر كل رجل منا لنفسه حفيراً ثم ليقعد فيه حتى يأتيه الموت ففعلوا ثم قال إن إلقاء نا بايدينا لعجز فلو ركبنا وطلبنا الماء فلما استوى على راحلته انفجرت تحت صدرها عين ماء فقال ردوا الماء فقالوا لقد قضى الله علينا ولا حاجة في أن نناويك فانصرفوا ، ولما رأت قريش أن عبد المطلب قد حاز الفخر طابت أن يحالف بعضها بعضاً ليعزوا ، وكان أول من طلب ذلك بنو عبد الدار لما رأت حال عبد المطلب فمشت بنو عبد الدار الى بني سهم فقالوا امنعونا من بني عبد مناف فلما رأى ذلك بنو عبد مناف اجتمعوا خلا بني عبد شمس ﴿ فان الزبيري قال ﴾ لم يكن ولد عبد شمس في حلف المطيبين ولا ولد عبد مناف وإنما كان فيهم هاشم وبنو المطلب وبنو نوفل ﴿ وقال آخرون ﴾ كانت بنو عبد شمس معهم فاخرجت لهم أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب طيباً في جفنة ثم وضعتها في الحجر فتطيب بنو عبد مناف وأسد وزهرة وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر فسموا حلف المطيبين ، فلما سمعت بذلك بنو سهم ذبحوا بقرة وقالوا من ادخل يده في دمها ولعق منه فهو منا فادخلت ايديها بنو سهم وبنو عبد الدار وبنو جمح وبنو عدي وبنو مخزوم فسموا اللعقة ، وكان تحالف المطيبين ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً وقالت اللعقة قد اعتدنا لكل قبيلة قبيلة ، وكان عبد المطلب لما حفر زمزم صار الى الطائف فاحتفر بها بئراً يقال لها ﴿ ذا الهرم ﴾ فكان يأتيه احياناً فيقيم بذلك الماء فاتى مرة فوجد به حيين من قيس عيلان وهم بنو كلاب وبنو الرباب فقال عبد المطلب الماء مائي وانا احق به وقال القيسيون الماء ماؤنا ونحن احق به ، قال فاني انافركم الى من شئتم يحكم بيني وبينكم فنافروه الى سطيح الغساني وكان كاهن العرب يتنافرون اليه فتعاهد القوم وتعاقدوا على ان سطيحاً إن قضى بالماء لعبد المطلب فعلى كلاب وبني الرباب مائة من الابل لعبد المطلب وعشر (١) لسطيح وإن سطيح قضى بالماء للحيين فعلى عبد

(١) كذا في الأصل ولعل الصحيح وعشرون لسطيح فراجع . (م ص)

المطلب مائة من الابل للقوم وعشرون لسطيح فانطلقوا وانطلق عبد المطلب بعشرة نفر من قريش فيهم حرب بن أمية فجعل عبد المطلب لا ينزل منزلاً إلا نحر جزوراً وأطعم الناس فقال القيسيون إن هذا الرجل عظيم الشأن جليل القدر شريف الفعل وإنما نخشى أن يطمع حاكمنا بهذا فيقضي له بالماء فانظروا لا ترضوا بقول سطيح حتى تخبئوا خبئاً فان أخبرنا ما هو رضينا بحكمه وإلا لم نرض به فبينا عبد المطلب في بعض الطريق إذ فني ماؤه وماء أصحابه فاستسقى القيسيين من فضل مائهم فابوا أن يسقوهم وقالوا انتم الذين تخاصمونا وتنازعونا في مائنا والله لا نسقيكم ، فقال عبد المطلب فيهلك عشرة من قريش وأنا حي لأطلبن لهم الماء حتى ينقطع خيط عنقي وأبلي عذراً فركب راحلته وأخذ الفلاة فبينا هو فيها إذ بركت راحلته وبصرته القوم فقالوا هلك عبد المطلب فقال القرشيون كلا والله لهو أكرم على الله من ان يهلكه وانما مضى لصلة الرحم فانتهوا اليه وراحلته تفحص بكركرها على ماء عذب روي قد ساح على ظهر الأرض فلما رأى القيسيون ذلك اهرقوا اسقيتهم واقبلوا نحوهم ليأخذوا من الماء فقال القرشيون كلا والله الستم الذين منعتمونا فضل مائكم فقال عبد المطلب خلوا القوم فان الماء لا يمنع فقال القيسيون هذا رجل شريف سيد وقد خشينا ان يقضى له علينا فلما وصلوا الى سطيح قالوا إنا قد خبأنا لك خبئاً واخذ إنسان منهم تمرة في يده فقال فأخبرنا ماهو فقال : خبأتم لي ما طال فسمك ، ثم اينع فما هلك ، القِ التمرة من يدك ، فقالوا له قاتله الله اخبئوا له خبئاً هو اخفى منه فأخذ إنسان جرادة فقالوا له إنا قد خبأنا لك خبئاً فاخبرنا ما هو قال : خبأتم لي ما رجله كالمنشار ، قالوا إي ، قال ما طار فسطع ، ثم قبض فوقع ، فترك الصيد انقع ، قالوا ما له قاتله الله اخبئوا له خبئاً هو اخفى من هذا فاخذوا راس جرادة فجعلوه في خرز مزادة ثم علقوه في عنق كلب لهم يقال له سوار ثم ضربوه حتى ذهب ثم رجع على الطريق فقالوا قد خبأنا لك خبئاً فاخبرنا ما هو قال : خبأتم لي راس جرادة ، في خرز مزادة ، بين عنق سوار والقلادة ، قالوا اقض بيننا قال قد قضيت اختصمتم

أنتم وعبد المطلب في ماء بالطائف يقال له ﴿ ذو الهرم ﴾ فالماء ماء عبد المطلب ولا حق لكم فيه فادوا الى عبد المطلب مائة من الابل والى سطيح عشرين ففعلوا وانطلق عبد المطلب ينحر ويطعم حتى دخل مكة فنادى مناديه يا معشر أهل مكة إن عبد المطلب يسألكم بالرحم لما قام كل رجل منكم حدثته نفسه أن يغنيني عن هذا الغرم فأخذ مثل ما حدثته نفسه ففعلوا وأخذوا من بعير واثنين وثلاثة على قدر ما حدثت كل امرئ منهم نفسه وفضلت بعد ذلك جزائر فقال عبد المطلب لابنه ابي طالب أي بني قد أطعمت الناس فانطلق بهذه الجزائر فانحرها على أبي قبيس حتى يأكلها الطير والسباع ففعل ابو طالب ذلك فأصابها الطير والسباع قال ابو طالب :

ونطعم حتى يأكل الطير فضلنا * إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد

قال أبو إسحاق وغيره من أهل العلم تزوج عبد المطلب النساء فولد له الأولاد ولما كمل عشرة رهط قال اللهم إني كنت نذرت لك نحر أحدهم وإني أقرع بينهم فأصب بذلك من شئت فأقرع فصارت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب وكان أحب ولده اليه وكان ولده العشرة الحارث وبه يكنى وقثم ، وأمهما صفية بنت جندب من ولد عامر بن صعصعة ، والزبير وابو طالب وعبد الله والمقوم وهو عبد الكعبة ، أم الأربعة فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وحمزة أمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، والعباس وضرار ، أمهما نتيلة بنت جناب بن كليب بن النمر بن قاسط ، وأبو لهب وهو عبد العزى ، وأمه لبنى بنت هاجر بن مناف بن ضاطر الخزاعي والغيداق وهو جحل ، وأمه ممنعة بنت عمرو بن مالك بن نوفل الخزاعي ، وكن بناته ستاً أم حكيم البيضاء وعاتكة وبرة وأروا وأميمة ، أمهن جميعاً فاطمة بنت عمرو ابن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وصفية أمها هالة بنت أهيب .

فانطلق عبد المطلب بعبد الله ليذبحه وأخذ الشفرة واتبعه ابنه الحارث فلما سمعت ذلك قريش لحقته وقالت يا أبا الحارث إنك إن فعلت ذلك صارت سنة في قومك ولم

نزل الرجل يأتي بولده الى هاهنا ليذبحه فقال إني عاهدت ربي وإني موف له بما عاهدته فقال له بعضهم أفده فقام وهو يقول :

عاهدت ربي وانا موف عهده * أخاف ربي إن تركت وعده

والله لا يحمد شيء حمده

ثم أحضر مائة من الابل فضرب بالقداح عليها وعلى عبد الله فخرجت على الابل فكبر الناس وقالوا قد رضي ربك فقال عبد المطلب :

لاهمّ رب البلد المحرم * الطيب المبارك المعظم

أنت الذي أعتقني في زمزم

ثم قال إني معيد القداح فاعادها فخرجت على الابل فقال :

لاهمّ قد أعطيتني سؤالي * أكثرت بعد قلة عيالي

فاجعل فداه اليوم جلّ مالي

ثم ضرب بالقداح ثالثة فخرجت على الابل فنحرها ونادى مناديه ألا فخذوا لحمها وانصرف عنها ووثب الناس يأخذونها فلذلك يقول مرة بن خلف النهمي :

كما قسمت نهباً ديات ابن هاشم * ببطحاء بسل حيث يعتصب البرك

وصارت الدية من الابل على ما سن عبد المطلب ، ولما قدم ﴿ أبرهة ﴾ ملك الحبشة صاحب الفيل مكة ليهدم الكعبة فهاربت قريش في رؤوس الجبال فقال عبد المطلب لو اجتمعنا فدفعنا هذا الجيش عن بيت الله فقالت قريش لا بد لنا به فاقام عبد المطلب في الحرم وقال لا أبرح من حرم الله ولا اعوذ بغير الله فأخذ اصحاب أبرهة ابلاً لعبد المطلب وصار عبد المطلب الى ابرهة فلما استأذن عليه قيل له قد أتاك سيد العرب وعظيم قريش وشريف الناس ، فلما دخل عليه أعظمه ابرهة وجل في قلبه لما رأى من جماله وكماله ونبله فقال لترجمانه قل له سل ما بدا لك فقال إبلاً لي اخذها اصحابك فقال لقد رايتك فأجللتك واعظمتك وقد تراني حيث نهدم مكرمتك وشرفك فلم تسألني

الانصراف وتكلمني في إبلك فقال عبد المطلب أنا رب هذه الابل ولهذا البيت الذي زعمت تريد هدمه رب يمنعك منه فرد الابل وداخله ذعر لكلام عبد المطلب فلما انصرف جمع ولده ومن معه ثم جاء الى باب الكعبة فتعلق به وقال :

لاهمّ إن تعف فانهم عيالك . (١) . إلا فشيء ما بدا لك

ثم انصرف وهو يقول :

لا همّ إن المرء يمـ * ـنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدواً محالك
ولئن فعلت فانه * أمر تتم به فعالك

وأقام بموضعه فلما كان من غد بعث ابنه عبد الله ليأتيه بالخبر ودنا وقد اجتمعت اليه من قريش جماعة ليقاتلوا معه إن أمكنهم ذلك فأتى عبد الله على فرس شقراء يركض وقد جردت ركبته فقال عبد المطلب قد جاءكم عبد الله بشيراً ونذيراً والله ما رأيت ركبته قط قبل هذا اليوم فأخبرهم ما صنع الله باصحاب الفيل ، وقال عبد المطلب لما كان من أصحاب الفيل ما كان :

أيها الداعي لقد أسمعتني * ثم ما بي عن نداكم من صمم
هل بدا لله أمر أم لـه * سنة في القوم ليست في الأمم
قلت والأشرم تردى خيله * إن ذا الأشرم غرّ بالحرم
إن للبيت لرباً مانعاً * من يرده بأثام يصطلم

(١) كذا في الأصل وفيه من اختلال الوزن والقافية ما لا يخفى ، وقد أورد البيت ابن كثير الشمي في تاريخه كما يلي :

إن كنت تاركهم وقبـ * ـلتنا فأمر ما بدا لك

وجعله من جملة الأبيات التالية ، ومثله ابن الأثير في الكامل (ج ١) ولم يوجد فيما بايدينا من المصادر رواية البيت مستقلاً وبوجه صحيح . (م . ص)

رامه تبع فيما قد مضى * وكذا حمير والحي قدم
فانثنى عنه وفي أوداجه * جارح أمسك منه بالكظم
هلكت بالبغي فيه جرهم * بعد طسم وجديس وجثم
وكذا الأمر بمن كاد بحر * ب فأمر الله بالأمر اللمم
نعرف الله وفينا سنة * صلة الرحم وإيفاء الذمم
لم تزل لله فينا حجة * يدفع الله بها عنا النقم
نحن أهل الله في بلدته * لم يزل ذاك على عهد ابرهم

أديان العرب

وكانت أديان العرب مختلفة بالمجاورات لأهل الملل والانتقال الى البلدان والانتجاعات فكانت قريش وعامة ولد ﴿ معد ﴾ بن عدنان على بعض دين إبراهيم يحجون البيت ويقيمون المناسك ويقرون الضيف ويعظمون الأشهر الحرم وينكرون الفواحش والتقاطع والتظالم ويعاقبون على الجرائم فلم يزالوا على ذلك ما كانوا ولاة البيت وكان آخر من قام بولاية البيت الحرام من ولد معد ثعلبة بن أياد بن نزار بن معد، فلما خرجت أياد وليت خزاعة حجابة البيت فغيروا ما كان عليه الأمر في المناسك حتى كانوا يفيضون من عرفات قبل الغروب ومن جمع بعد أن تطلع الشمس وخرج عمرو بن لحي — واسم لحي ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر — الى أرض الشام وبها قوم من العمالقة يعبدون الأصنام فقال لهم ما هذه الأوثان التي أراكم تعبدون قالوا هذه أصنام نعبدها نستنصرها فننصر ونستسقي بها فنسقى فقال ألا تعطوني منها صنماً فاسير به الى أرض العرب عند بيت الله الذي تفد اليه العرب فأعطوه صنماً يقال له ﴿ هُبَل ﴾ فقدم به مكة فوضعه عند الكعبة فكان أول صنم وضع بمكة ثم وضعوا به [إساف ونائلة] كل واحد منهما على ركن من أركان البيت فكان الطائف إذا طاف بدأ بأساف فقبله وختم به ، ونصبوا على الصفا صنماً يقال له ﴿ مجاور الريح ﴾ وعلى المروة صنماً يقال له

﴿ مطعم الطير ﴾ فكانت العرب إذا حجت البيت فرأت تلك الأصنام سألت قريشاً وخزاعة فيقولون نعبدها لتقربنا الى الله زلفى ، فلما رأت العرب ذلك اتخذت أصناماً فجعلت كل قبيلة لها صنماً يصلون لها تقرباً الى الله فيما يقولون ، فكان لكلب بن وبرة وأحياء قضاعة ﴿ ود ﴾ منصوباً بدومة الجندل بحرش « بجرش خ ل » وكان لحمير وهمدان ﴿ نسر ﴾ منصوباً بصنعاء ، وكان لكنانة ﴿ سواع ﴾ وكان لغطفان ﴿ العزى ﴾ وكان لهند وبجيلة وخثعم ﴿ ذو الخلصة ﴾ وكان لطيء [الفلس] منصوباً بالحبس ، وكان لربيعة وأياد ﴿ ذو الكعبات ﴾ بسنداد من أرض العراق وكان لثقيف (اللات) منصوباً بالطائف ، وكان للأوس والخزرج (مناة) منصوباً بفدك مما يلي ساحل البحر ، وكان لدوس صنم يقال له (ذو الكفين) ولبني بكر بن كنانة صنم يقال له (سعد) وكان لقوم من عنزة صنم يقال له (شمس) وكان للأزد صنم يقال له (رئام) فكانت العرب إذا أرادت حج البيت الحرام وقفت كل قبيلة عند صنمها وصلوا عنده ثم تلبوا حتى تقدموا مكة فكانت تلبياتهم مختلفة ، وكانت تلبية قريش : لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك تملكه وما ملك ، وكانت تلبية كنانة : لبيك اللهم لبيك اليوم يوم التعريف يوم الدعاء والوقوف ، وكانت تلبية بني أسد : لبيك اللهم لبيك يا رب أقبلت بنو أسد أهل التواني والوفاء والجلد اليك ، وكانت تلبية بني تميم : لبيك اللهم لبيك لبيك عن تميم قد تراها قد اخلقت أثوابها وأثواب من وراءها وأخلصت لربها دعاءها ، وكانت تلبية قيس عيلان : لبيك اللهم لبيك لبيك أنت الرحمان أتتك قيس عيلان راجلها والركبان ، وكانت تلبية ثقيف : لبيك اللهم إن ثقيفاً قد أتوك وأخلفوا المال وقد رجوك ، وكانت تلبية هذيل : لبيك عن هذيل قد أدلجوا بليل في إبل وخيل ، وكانت تلبية ربيعة : لبيك ربنا لبيك لبيك إن قصدنا اليك ﴿ وبعضهم ﴾ يقول : لبيك عن ربيعة سامعة لربها مطيعة ، وكانت حمير وهمدان يقولون : لبيك عن حمير وهمدان والحليفين من حاشد وألهان ، وكانت تلبية

الأزد : لبيك رب الأرباب تعلم فصل الخطاب لملك كل مثاب ، وكانت تلبية مذحج : لبيك رب الشعرى ورب اللات والعزى ، وكانت تلبية كندة وحضرموت لبيك لاشريك لك تملكه او تهلكه أنت حكيم فاتركه ، وكانت تلبية غسان : لبيك رب غسان راجلها والفرسان ، وكانت تلبية بجيلة : لبيك عن بجيلة في بارق ومخيلة وكانت تلبية قضاعة : لبيك عن قضاعة لربها دفاعة سمعاً له وطاعة ، وكانت تلبية جذام : لبيك عن جذام ذوي النهى والأحلام ، وكانت تلبية عك والأشعريين :

نحج للرحمان بيتاً عجبا * مستتراً مضبباً محجبا

وكانت العرب في أديانهم على صنفين (الحمس) و (الحلة) فاما الحمس فقريش كلها ، وأما الحلة فخزاعة لنزولها مكة ومجاورتها قريشاً ، وكانوا يشددون على أنفسهم في دينهم فاذا نسكوا لم يسلئوا سمناً ولم يدخروا لبناً ولم يحولوا بين مرضعة ورضاعها حتى تعافه ولم يجزوا شعراً ولا ظفراً ولم يدهنوا ولم يمسوا النساء ولا الطيب ولم يأكلوا لحماً ولم يلبسوا في حجهم وبراً ولا صوفاً ولا شعراً ، ويلبسون جديداً ويطوفون بالبيت في نعالهم لا يطأون أرض المسجد تعظيماً له ولا يدخلون البيوت من أبوابها ولا يخرجون الى عرفات ويلزمون مزدلفة ويسكنون في حال نسكهم قبب الأدم ، وكانت الحلة — وهي تميم وضبة ومزينة والرباب وعكل وثور وقيس عيلان كلها ما خلا عدوان وثقيف وعامر بن صعصعة وربيعة بن نزار كلها وقضاعة وحضرموت وعك وقبائل من الأزد — لا يحرمون الصيد في النسك ويلبسون كل الثياب ويسلئون السمن ولا يدخلون من باب بيت ولا دار ولا يأويهم ما داموا محرمين ، وكانوا يدهنون ويتطيبون ويأكلون اللحم فاذا دخلوا مكة بعد فراغهم نزعوا ثيابهم التي كانت عليهم فان قدروا على أن يلبسوا ثياب الحمس كراءً أو عارية فعلوا ولا طافوا بالبيت عراة وكانوا لا يشترون في حجهم ولا يبيعون ، فهاتان الشريعتان اللتان كانت العرب عليهما ثم دخل قوم من العرب في دين اليهود وفارقوا هذا الدين ، ودخل آخرون في

النصرانية ، وتزندق منهم قوم فقالوا بالثنوية ، فاما من تهوّد منهم فاليمن بأسرها كان « تبع » حمل حبرين من أحبار اليهود الى اليمن فابطل الأوثان وتهود من باليمن وتهود قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير ، وتهود قوم من بني الحارث بن كعب وقوم من غسان وقوم من جذام وأما من تنصر من أحياء العرب فقوم من قريش من بني أسد بن عبد العزى منهم عثمان ابن الحويرث بن أسد بن عبد العزى وورقة بن نوفل بن أسد ، ومن بني تيم بنو امرىء القيس بن زيد مناة ، ومن ربيعة بنو تغلب ، ومن اليمن طيء ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسان ولخم ، وتزندق حجر بن عمرو الكندي .

حكام العرب

وكان للعرب حكام ترجع اليها في أمورها وتتحاكم في منافراتها ومواريثها ومياهها ودمائها لأنه لم يكن دين يرجع الى شرائعه فكانوا يحكمون أهل الشرف والصدق والأمانة والرئاسة والسن والمجد والتجربة ، وكان أول من استقضي اليه فحكم الأفعى ابن الأفعى الجرهمي وهو الذي حكم بين بني نزار في ميراثهم ، ثم سليمان بن نوفل ، ثم معاوية ابن عروة ، ثم سخر بن يعمر بن نفاثة بن عدي بن الدئل ، ثم الشداخ — وهو يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة — وسويد بن ربيعة ابن حذار بن مرة بن الحارث بن سعد ، ومخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد ابن عمرو بن تميم ، وكان يجلس على سرير من خشب فسمي ذا الأعواد ، وأكثم ابن صيفي بن رباح بن الحارث بن مخاشن ، وعامر بن الضرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس ، وهرم بن قطبة بن سيار الفزاري ، وغيلان ابن سلمة بن معتب الثقفي ، وسنان بن أبي حارثة المري ، والحارث بن عباد بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة ، وعامر بن الضحيان بن الضحاك بن النمر بن قاسط ، والجعد بن صبرة الشيباني ، ووكيع بن سلمة بن زهير الأيادي وهو صاحب الصرح بالحزورة

وقس بن ساعدة الأيادي ، وحنظلة بن نهد القضاعي ، وعمرو بن حممة الدوسي وكان في قريش حكام منهم عبد المطلب ، وحرب بن أمية ، والزبير بن عبد المطلب وعبد الله بن جدعان ، والوليد بن المغيرة المخزومي .

أزلام العرب

وكانت العرب تستقسم بالأزلام في كل أمورها وهي « القداح » ولا يكون لها في سفر ومقام ولا نكاح ولا معرفة حال إلا رجعت الى القداح ، وكانت القداح سبعة فواحد عليه ﴿ الله عز وجل ﴾ والآخر (لكم) والآخر (عليكم) والآخر (نعم) والآخر (منكم) والآخر (من غيركم) والآخر (الوعد) فكانوا إذا أرادوا أمراً رجعوا الى القداح فضربوا بها ثم عملوا بما تخرج القداح لا يتعدونه ولا يجوزونه وكان لهم أمناء على القداح لا يثقون بغيرهم ، وكانت العرب إذا كان الشتاء ونالهم القحط وقلت ألبان الابل استعملوا الميسر وهي الأزلام وتقامروا عليها وضربوا بالقداح وكان قداح الميسر عشرة سبعة منها لها أنصب وثلاثة لا أنصب لها فالسبعة التي لها أنصب يقال لأولها (الفذ) وله جزء (والتوأم) وله جزءان (والرقيب) وله ثلاثة أجزاء (والحلس) وله أربعة أجزاء (والنافس) وله خمسة أجزاء (والمسبل) وله ستة أجزاء (والمعلى) وله سبعة أجزاء ، والثلاثة التي لا أنصب لها أغفال ليس عليها اسم يقال لها (المنيح والسفيح والوغد) فكانت الجزور تشترى بما بلغت ولا ينقد الثمن ثم يدعى الجزار فيقسمها عشرة أجزاء فاذا قسمت أجزاؤها على السواء أخذ الجزار أجزاءه وهي الرأس والأرجل وأحضرت القداح العشرة واجتمع فتيان الحي فاخذ كل فرقة على قدر حالهم ويسارهم وقدر احتمالهم فيأخذ الأول الفذ وهو الذي فيه نصيب واحد من العشرة أجزاء فاذا خرج له جزء واحد أخذ من الجزور جزءاً وإن لم يكن يخرج له غرم ثمن جزء من الجزور وأخذ الثاني التوأم وله نصيبان من أجزاء الجزور فان خرج أخذ جزءين من الجزور وإن لم يخرج غرم ثمن الجزءين وكذلك سائر القداح على مقتضينا

منها فما خرج أخذ صاحبه ما فيه وما لم يخرج غرم ما فيه من الأجزاء فاذا عرف كل رجل منهم قدحه دفعوا القداح الى رجل أخس لا ينظر اليها معروف أنه لم يأ كل لحماً قط بثمن ويسمى ﴿ الحرضة ﴾ ثم يؤتى بالمجول — وهو ثوب شديد البياض — فيجعل على يده ويعمد الى السلفة — وهي قطعة من جراب — فيعصب بها على كفه لئلا يجد مس قدح يكون له في صاحبه هوى فيخرجه ، ويأتي رجل فيجلس خلف الحرضة يسمى ﴿ الرقيب ﴾ ثم يفيض الحرضة بالقداح فاذا نشز منها قدح استله الحرضة فلم ينظر اليه حتى يدفعه الى الرقيب فينظر لمن هو فيدفعه لصاحبه فيأخذ من أجزاء الجزور على نصيبه منها فان خرج من الثلاثة الأغفال شيء رد من ساعته وإن خرج أولاً الفذ أخذ صاحبه نصيبه وضربوا بباقي القداح على التسعة الأجزاء الأخر فان خرج التوأم أخذ صاحبه جزءين وضربوا بباقي القداح على الثمانية الأجزاء الأخر فان خرج المعلى أخذ صاحبه نصيبه وهو السبعة الأجزاء التي بقيت وخرجوا وفقاً ووقع غرم ثمن الجزور الى من خاب سهمه وهم أربعة صاحب الرقيب والحلس والنافس والمسبل ، ولهذه الأقداح ثمانية عشر سهماً فيجزأ الثمن على ثمانية عشر جزءاً وأخذ كل واحد من الغرم مثل الذي كان نصيبه من اللحم لو فاز قدحه ، وإن خرج المعلى أول القداح أخذ صاحبه سبعة أجزاء الجزور وكان الغرم على أصحاب القداح التي خابت واحتاجوا أن ينحروا جزوراً أخرى لأن في قداحهم المسبل وله ستة أجزاء ولم يبق من اللحم إلا ثلاثة أجزاء ، ولا ينبغي لمن خاب قدحه في الجزور الأولى أن يأ كل منها شيئاً فانه يعاب به ، فان نحروا الجزور الثانية وضربوا عليها القداح فخرج المسبل أخذ صاحبه ستة أجزاء الجزور الأخرى الثلاثة الباقية من الجزور الأولى وثلاثة أجزاء من الجزور الثانية ولزمه الغرم في الجزور الأولى ولم يلزمه في الثانية شيء لأن قدحه قد فاز وبقي من الجزور الثانية سبعة أجزاء فيضرب عليها بقداح من بقي فان خرج النافس أخذ صاحبه خمسة أجزاء ولم يغرم من ثمن الجزور الثانية شيئاً لأن قدحه قد فاز ولزمه الغرم من الأولى وبقي جزءان من اللحم

وفيما بقي من القداح الحلس له أربعة أجزاء فيحتاجون أن ينحروا جزوراً أخرى لتتمة أربعة ، ولا ينبغي لمن خاب قدحه في الجزور الثانية أن يأكل منها شيئاً لأنه يعاب به وإن نحروا الجزور الثالثة وفاز الحلس أخذ صاحبه أربعة أجزاء جزأين من الجزور الثانية وجزأين من الجزور الثالثة ولم يغرم من الجزور الثالثة شيئاً لأنه فاز قدحه وبقي ثمانية أجزاء من الجزور الثالثة فضرب بباقي القداح عليها حتى يخرج قداحهم وفقاً لأجزاء الجزور ، فهذا حساب غرمهم الثمن كما وصفت ، وربما كانت أجزاء اللحم موافقة لأجزاء القداح فلا يحتاجون الى نحر شيء إنما ينحر الجزور إذا قصرت اجزاء اللحم عن بعض القداح فان عاد بعض من فاز قدحه ثانية فخاب غرم من ثمن الجزور التي خاب قدحه منه على هـــذا الحساب فان فضل من أجزاء اللحم شيء وقد خرجت القداح كلها كانت تلك الأجزاء لأهل المسكنة من العشيرة ، فهذا تفسير الميسر وكانوا يفتخرون به ويرون أنه من أفعال الكرم والشرف ، ولهم في هذه أشعار كثيرة يفتخرون بها .

شعراء العرب

وكانت العرب تقيم الشعر مقام الحكمة وكثير العلم فاذا كان في القبيلة الشاعر الماهر المصيب المعاني المخير الكلام أحضروه في أسواقهم التي كانت تقوم لهم في السنة ومواسمهم عند حجهم البيت حتى تقف وتجتمع القبائل والعشائر فتسمع شعره ويجعلون ذلك فخراً من فخرهم وشرفاً من شرفهم ، ولم يكن لهم شيء يرجعون اليه من أحكامهم وأفعالهم إلا الشعر فبه كانوا يختصمون وبه يتمثلون وبه يتفاضلون وبه يتقاسمون وبه يتناضلون وبه يمدحون ويعابون ، فكان ممن قدم شعره في جاهليـة العرب على ما أجمعت عليه الرواة وأهل العلم بالشعر وجاءت به الآثار والأخبـار من شعراء العرب في جاهليتها مع من أدركه الاسلام فسمي «مخضرماً» (١) فانهم دخلوا مع من تقـدم فسموا الفحول

(١) المخضرمة في الأصل قطع طرف الأذن ، وفي الحـديث (خطبنا —

وقدموا على تقدم أشعارهم في الجودة وإن كان بعضهم أقدم من بعض وهم على ما بينا من أسمائهم ومراتبهم على الولاء ﴿ فأولهم ﴾ امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن . . . (١) . . .

والنابغة الذبياني وهو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان .

وزهير بن أبي سلمى ، واسم أبي سلمى ﴿ ربيعة ﴾ بن رباح بن قرط بن الحارث

— رسول الله « ص » على ناقة مخضرمة) أي قطع طرف أذنها ، وكان أهل الجاهلية يخضرمون نعمهم فلما جاء الاسلام أمروا أن يخضرموا من غير الموضع الذي يخضرم منه أهل الجاهلية ، ومنه قيل لمن أدرك الخضرمتين المخضرم ، وقال ابن خالويه خضرم خلط ومنه المخضرم الذي أدرك الجاهلية والاسلام كذا في (تاج العروس) في مادة « خضرم » .

(١) بياض في الأصل ، وحجر آكل المرار هو ابن عمرو بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن ثور الاكبر ، وهو كندة بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد ، هكذا نسبه الآمدي في « المؤتلف والمختلف » ص ٩ ولكن شارح القاموس في تاج العروس بمادة (مرر) جعل آكل المرار لقب حجر بن معاوية الأكرم بن الحرث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن ثور وهو كندة ، وقد ناقض ما ذكره في مادة (حجر) من أنه لقب حجر بن معاوية بن ثور وهو كندة . وابن سلام الجمحي في « طبقات الشعراء » ص ٢٤ جعله ابن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة ، وعلى كل فان امرأ القيس هذا هو رافع لواء الشعراء الى النار كما روي ذلك في حديث ، وهو صاحب المعلقة الشهيرة التي مطلعها : (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) ويعرف بالملك الضليل ، توفي نحو ٨٠ سنة قبل الهجرة . (م . ص)

ابن مازن بن ثعلبة بن ثود بن هذمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أد .

والأعشى ، وهو أعشى وائل وهو ﴿ ميمون ﴾ بن قيس بن جندل بن شراحيل ابن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة .

وعبيد بن الأبرص بن حنتم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد .

ومهلهل وهو ﴿ امرؤ القيس ﴾ بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل .

وعلقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس بن عبد بن ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم

والحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد بن عبد الله بن مالك بن عبد بن سعد بن جشم ابن عامر بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل .

وعمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب ابن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل .

وسعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن علي بن بكر بن وائل .

والأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم .

وسويد بن أبي كاهل بن حارثة بن حسل بن مالك بن عبد بن سعد بن جشم بن عامر ابن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل .

وأوس بن حجر بن مالك بن حزن بن عمرو بن خلف بن نمير بن أسيد بن عمرو ابن تميم بن مر .

وذو الاصبع العدواني وهو ﴿ حرثان ﴾ بن حارث بن محرث بن ثعلبة بن سيار بن ربيعة بن هبيرة بن ثعلبة بن ظرب بن عباد بن يشكر بن عدوان ، وهو الحارث بن عمرو ابن قيس بن عيلان .

وبشر بن أبي خازم وهو ﴿ عمرو ﴾ بن عوف بن حنش بن ناشرة بن أسامة ابن والبة .

وعنترة بن شداد بن معاوية بن نزار بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض .

وعبدة بن الطبيب التميمي (١)

والمتلمس وهو ﴿ جرير ﴾ بن عبد المسيح بن عبد الله بن ز . بن دوفان بن حرب ابن وهب بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار .

وابو دؤاد الأيادي وهو ﴿ حوثرة ﴾ بن الحارث بن الحجاج .

والمرقش الاكبر وهو ...... (٢)

والمرقش الأصغر وهو ﴿ ربيعة ﴾ بن معاوية بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة .

والسيب بن عاس بن عمرو بن قضاعة بن عمرو بن زيد بن ثعلبة بن عدي بن مالك ابن جشم بن مالك بن جماعة بن جلي .

وعدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن محروف بن عامر بن عصية بن

(١) عبدة بن يزيد [الطبيب] بن عمرو بن علي من تميم من المخضرمين شهد الفتوح وقتال الفرس مع المثنى بن حارثة والنعمان بن مقرن بالمدائن وغيرها وهو صاحب المرثية التي منها : (وما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما) توفي نحو سنة ٢٥ هجرية .

(٢) بياض في الأصل ، واسم المرقش الاكبر عوف وقيل عمرو ، وقيل ربيعة ابن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة من بني بكر بن وائل ، شاعر جاهلي عشق ابنة عمه [أسماء] بنت عوف وقال فيها شعراً كثيراً واتصل مدة بالحارث ابي شمر الغساني ونادمه ومدحه واتخذه الحارث كاتباً له توفي قبل الهجرة بـ ٧٥ سنة . (م .)

امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم .

وسلامة بن جندل بن عبد عمرو بن عبد الحارث ، وهو « مقاعس » بن عمرو ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

وسحيم بن وثيل بن عمرو بن كرز بن وهيب بن حميري بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

والجميح الأسدي وهو « منقذ » بن الطماح بن قيس بن طريف بن عمرو بن قعين

وحاتم الطائي وهو « حاتم » بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس ابن عدي بن أخزم بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث .

وطفيل الخيل وهو « طفيل » بن عوف بن خليف بن ضبيس بن مالك بن سعد ابن عوف بن هلال بن غنم بن غني .

والسفاح وهو « سلمة » بن خالد بن كعب بن زهير بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب .

وتأبط شراً وهو « ثابت » بن جابر بن سفيان بن عدي بن كعب بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان .

وابن المضلل الأسدي وهو « جلد » بن قيس بن مالك بن منقذ بن طريف ابن عمرو بن قعين .

وكعب الأمثال الغنوي وهو كعب بن سعد بن علقمة بن ربيعة بن زيد بن أبي مليل ابن رفاعة بن مسلم بن سعد . والحكم بن (... « ١ » ...)

« ١ » بياض في الأصل ، ولعل الحكم هذا هو ابن المقداد بن الحكم بن الصباح أحد بني مخاشن بن عصيم ثم أحد بني زهرة بن قيس بن عمرو بن ثومة بن مخاشن بن لأي ابن شمخ بن فزارة ، شهد الحرب المعروفة بـ « بنات قين » وكان فارساً ويعرف بالاسم الفزاري وبالحكم بن زهرة ، وهي أمه ، ترجمه الآمدي في (المؤتلف والمختلف) ص ٤٣

ابن جرول بن حبيب الأعظم بن عبد العزى بن خزيمة بن رزام بن مازن بن ثعلبة ابن سعد بن ذبيان .

وأعشى بني أسد وهو (قيس) بن بجرة بن منقذ بن طريف بن عمرو بن قعين .

وابن الزبعري السهمي وهو ﴿ عبد الله ﴾ بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم من قريش .

و ... « ١ » ... قطن بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة .

وابن دجاجة الفقيم وهو ﴿ بكر بن بزيد ﴾ بن أنس بن امرئ القيس .

وسويد بن سلامة بن حديج بن قيس بن عمرو بن قطن بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة .

وقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن الحارث بن مازن بن قطيعة ابن عبس بن بغيض .

ومقيس بن صبابة أخو بني كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن كنانة وأدرك الاسلام وأسلم ثم ارتد فقتل يوم فتح مكة كافراً .

والمسيب بن الرفيل بن حارثة بن حيان بن قيس بن أبي جابر بن زهير بن جناب ابن هبل الكلبي .

والبراض بن قيس بن رافع بن قيس بن جدي بن ضمرة الكناني .

وسبرة بن عمرو بن أهنان بن دثار بن فقعس .

(١) بياض في الأصل ، والذي ينتمي الى قطن بن نهشل من الشعراء الجاهليين — غير سويد بن سلامة الذي ذكره — إثنان (احدهما) نهشل بن حري بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل ، ذكره ابن قتيبة في (الشعر والشعراء) وأنشد له أبياتاً و (ثانيهما) ابو الغول علباء بن جوشن من بني قطن بن نهشل ، ذكره الآمدي في (المختلف والمؤتلف) وابن قتيبة في (الشعر والشعراء) وأنشد له أبياتاً .

وشافع بن عبد العزى الضمري — وسراقة بن مالك بن جشم المدلجي .

ومصروف ، واسمه ﴿ عمرو ﴾ بن قيس بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل .

وابن رميلة الضبي — وقيس بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل

ومرداس بن أبي عامر بن جارية بن عبيد بن عبس بن رفاعة بن الحارث بن بهثة ابن سليم بن منصور

ومن شعراء الجاهلية الفحول المتقدمين الذين أدركوا الاسلام — النابغة الجعدي وكان في السن مثل النابغة الذبياني ، واسمه ﴿ قيس ﴾ بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن عامر بن صعصعة .

وتميم بن أبي بن مقبل بن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان بن عبد الله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وكعب بن زهير وهو ﴿ ربيعة ﴾ بن رياح بن قرط بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أد .

وعبد الله بن عامر بن كرب الكندي .

وأبو سمال الأسدي واسمه ﴿ شمعان ﴾ بن هبيرة بن مساحق .

وزيد بن مهلهل وهو ﴿ زيد الخيل ﴾ بن يزيد بن منهب بن عبد رضى بن المخلس بن ثور بن عدي بن كنانة بن مالك بن نبهان بن عمرو بن الغوث .

والحطيئة واسمه ﴿ جرول ﴾ بن أوس بن مالك بن جوية بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس .

وضرار بن الخطاب بن مرداس بن كبير بن عمرو المحاربي .

والشماخ بن ضرار بن سنان بن أمية بن عمرو بن جحش بن بجالة بن مازن

ابن ثعلبة بن سعد بن ذبيان .

وأبو ذؤيب الهذلي وهو خويلد بن خالد بن محرّث بن زبيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن تميم بن سعد بن هذيل .

وابو كبير الهذلي وهو « عامر » بن الحليس .

والحرث بن عمرو بن جرجة بن يربوع بن فزارة .

وعبد بني الحسحاس وهو « سحيم » بن هند بن سفين بن ثعلبة بن ذودان بن أسد بن خزيمة (١) .

أسواق العرب

كانت أسواق العرب عشرة أسواق يجتمعون بها في تجاراتهم ويجتمع فيها سائر الناس ويأمنون فيها على دمائهم وأموالهم فمنها « دومة الجندل » يقوم في شهر ربيع الأول ورؤساؤها غسان وكلب أي الحيين غلب قام ، ثم « المشقر » بهجر يقوم سوقها في جمادى الأولى تقوم بهـا بنو تميم رهط المنـذر بن ساوى ، ثم « صحار » يقوم في أول يوم من رجب ولا يحتاج فيهـا الى خفارة ، ثم يرتحلون من صحار الى « ربا » يعشرهم فيها الجلندي وآل الجلندي ، ثم سوق « الشحر » شحر مهرة فيقوم سوقها تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود النبي عليه السلام ، ولم تكن بها خفـارة وكانت مهرة تقوم بها ، ثم سوق « عدن » يقوم في أول يوم من شهر رمضان ويعشرهم بها الأبناء ومنها كان يحمل الطيب الى سائر الآفاق ، ثم سوق « صنعاء » يقوم في النصف من شهر رمضان يعشرهم بها الأبناء ، ثم سوق « الرابية » بحضرموت ولم

(١) تجد أخبار هؤلاء الشعراء في « الأغاني » لأبي الفرج ، ومعجم الشعراء للمرزباني ، والمختلف والمؤتلف للآمدي ، وطبقـات الشعراء لابن سلام الجمحي ، والشعر والشعراء لابن قتيبـة الدينوري ، وتاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان وغيرها من المعاجم . (م ص)

يكن يصل اليها إلا بخفارة لأنها لم تكن أرض مملكة وكان من عز فيها بز ، وكانت كندة تخفر فيها ، ثم سوق ﴿ عكاظ ﴾ بأعلى نجد يقوم في ذي القعدة وبنزلها قريش وسائر العرب إلا أن أكثرها مضر ، وبها كانت مفاخرة العرب وحمالاتهم ومهادناتهم ثم سوق (ذي المجاز) وكانت ترتحل من سوق عكاظ وسوق ذي المجاز الى مكة لحجهم ، وكان في العرب قوم يستحلون المظالم إذا حضروا هذه الأسواق فسموا المحلون ، وكان فيهم من ينكر ذلك وينصب نفسه لنصرة المظلوم والمنع من سفك الدماء وارتكاب المنكر فيسمون الذادة المحرمون ، وأما المحلون فكانوا قبائل من أسد وطيء وبني بكر بن عبد مناة بن كنانة وقوم من بني عامر بن صعصعة ، وأما الذادة المحرون فكانوا من بني عمرو بن تميم وبني حنظلة بن زيد مناة ، وقوم من هذيل ، وقوم من بني شيبان وقوم من بني كلب بن وبرة فكانوا هؤلاء يلبسون السلاح لدفعهم عن الناس ، وكان العرب جميعاً بين هؤلاء تضع أسلحتهم في الأشهر الحرم (. . . . . .) وكانت العرب تحضر سوق عكاظ وعلى وجوهها البراقع فيقال إن أول عربي كشف قناعه ﴿ ظريف ﴾ بن غنم العنبري ففعلت العرب مثل فعله .

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني أوله مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فهرس مواضيع الكتاب

فهرس الخطأ والصواب

ص	س	الخطأ	الصواب
٠١	١٢	خقلت	خلقت
٠٢	٠٩	ثم	ثم
٠٣	٠٢	بنوحان	ينوحان
٠٣	٠٧	وولدهوولده	وولدهوولدوولده
٠٨	٠٢	ثلاث	ثلاثة
٠٩	٠٢	يعدةً	يعدّه
١٤	٢٢	وضربالله	وضرب
٣٣	١٨	أنظروا	أنظر
٣٣	٢٢	الله	اليه
٤٨	٠٧	سبسطبة	سبسطية
٤٨	١٤	ناول	تناول
٦٣	٠٧	بريد	يريد
٦٥	٢١	الأرجيهر	الأرجيهر
٧٨	٠٩	القيظحمايات	القيظ حميات
٧٨	١١	حمايات	حميات
٨٠	٠١	فيالحمايات	فيالحميات
٨٠	٠١	الحمايات	الحميات
٨٠	٠٣	الحمايات	الحميات
٨٨	٠٩	المشتاء	الشتاء
١٠١	٧	ثللاثة	ثلاثة
١٠١	٩	زيارة	زيادة
١٠٣	١٠	ولشبه	والشبه
١٠٣	١٥	الجد	الجدة
١٠٤	١٥	النقائص	النقائض
١٠٦	١٤	ومواضع	والمواضع
١٠٩	٠٨	لياتة	ليلته
١١١	١٨	راتبه	رانبة
١١٩	٠٣	عسرين	عسرين
١٣٥	١١	الملك	ملك
١٣٥	١٢	مظفراً	ظفراً
١٣٨	٢٠	فقدم	فى امره فقدم
١٤٠	٠٥	نزا	فعزا
١٤٣	٠٩	٩ زوران	زروان
١٤٤	١٤	والزابيبن	والزابيين
١٤٤	١٥	ورستقباذ	ورستقباذ
١٤٦	١٨	الروات	الرواة
١٥٧	١٣	الروات	الرواة
١٦٢	١٤	الصاب	الصات
١٦٣	٠١	وبكلا	ويكلا
١٦٥	٠٧	الروات	الرواة
١٦٩	٠٣	الروات	اللرواة
١٧٤	٢٢	تأنا	تأتنا
١٨١	٠٧	الروات	الرواة
١٨١	١٧	فاناهم	فاتاها
٢٠٤	١٤	الاعظم	الاعصم
٢١٦	١١	عخذ	اخذ
٢١٦	١٢	ألى	على
٢٢٠	١٥	المخضرميين	المخضرمين
٢٢٣	٠٣	يربوع	يربوع
٢٢٣	٢١	المخضرميين	المخضرمين

TARIKH AL-YAQUBI

AUCTORE

ahmed ibn abi jakub ibn wadhih al - katib

AL-YAQUBI

SE VEND - AU LIBRAIRE AL MURTADAWIYAH AL NAJAF IRAQ
AU LIBRAIRE AL MUTHANNA PROPIENAIRE QASIM
RAJAB BAGHDAD

IMPRIMERIE - GARY AL NAJAF IRAQ

1939